في الثقافة والحرب

دراسات

دراسات في
الوحدة العسكرية العربية

محمود شيت خطاب

دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ١٩٨٧



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة الشؤون الثقافية العامة
العنوان:
العراق - بغداد - اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

دراسات فى

الوحدة العسكرية العربية

تأليف

محمود شيت خطاب

محاضرات ألقاها على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية «قسم فلسطين»
فى القاهرة

الطبعة الرابعة ـ لسنة ١٩٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنَّ هذه أمَّتكم أمةً واحدةً وأنا ربُّكم فاعْبدُون »

[القرآن الكريم]

(٢١ : ٩٢)

الاهـــــداء

إلى القائد الذى يجاهد من أجل الوحدة ، ويوحد من أجل الجهاد ، فيستعيد القدس وفلسطين من إسرائيل بالوحدة والجهاد .

أهدى هذا الكتاب .

محمود شيت خطاب


مقدمة

لا أزال أذكر حين كنت تلميذاً فى المتوسطة (١٩٣٣ - ١٩٣٥) ، أن الأساتذة كانوا يلقون محاضرات مستفيضة عن الوحدة العربية ، وعن أهميتها للعرب ، وعن السدود والحدود التى أقامها المستعمر فى البـــلاد العربية ، ليجعل من الدولة الواحدة دويلات ، ومن الكيان الواحد كيانات .

وكان التلاميذ الصغار ، ينتهزون الفرص السانحة للخروج فى مظاهرات صاخبة : تطالب بالوحدة ، وتهاجم التفرقة ، وتحث على التقارب بين العرب.

وأصبحت طالباً فى الكلية العسكرية عام ١٩٣٧ ، فكان الحديث المفضل فى محاضرات الضباط المعلمين ، هو حديث الوحدة العربية ، وأهمية إخراج فكرتها إلى حيّز التنفيذ .

ولم يكن حديث الوحدة يقتصر على الضباط المعلمين وعلى طلاب الكلية العسكريه وحدهم ، بل كان يشمل ضباط الصف المعلمين أيضاً فى أوقات التدريب العملى فى ميدان العرض وفى التمارين التعبوية وفى المعسكرات .

كان ضباط الصف المعلمون ، يتقنون التدريب العملى إتقاناً فائقاً ، ولكنّ ثقافتهم العامة كانت قليلة جداً ، وكان قسم منهم لايكاد يحسن القراءة والكتابة ، ولكنهم كانوا مشبّعين بأفكار الوحدة وما يمت إليها بصلة ؛ فكانوا يتدفقون حماسة عندما يجدون فرصة للتحدث عنها ، وكان الضباط القادة صغاراً وكباراً يشجعونهم على التطرق إليها بين حين وآخر كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

وحين كان طلاب الكلية العسكرية يتساءلون فيما بينهم ، أوفيما بينهم

وبين معلميهم من الضباط وضباط الصف : «لماذا لاتنبثق الوحدة فوراً بين العرب ! ؟» ، كان الجواب على تساؤلهم : «إنّ الحكام الخونة ، هم الذين يحولون بين العرب وبين أملهم المنشود فى الوحدة الناجزة التى تحطم السدود والقيود ، وتعيد إلى العرب مكانتهم المرموقة بين الأمم» .

— ٢ —

وأصبحت ضابطاً فى الجيش ، وعملت فى شمال العراق وجنوبه وفى سهوله وجباله ، وفى الوحدات الفعالة وفى المقرات ، فكان حديث الوحدة يرافقنى صباح مساء ، وكان الضباط يتقنونه كما يتقنون واجباتهم العسكرية سواء بسواء .

وكان العسكريون كلهم تقريباً وعلى رأسهم الضباط ، يعيشون مع أحداث العالم العربى ساعة بساعة ، وكانوا يعرفون ما يحدث فى الوطن العربى الكبير وينفعلون بتلك الأحداث ، فإذا ألمّ بالمغرب العربى ما يقضّ مضجعه ، تداعى له المشرق العربى بالسهر والحمى ، وإذا حاق بالمشرق العربى سوء ، اهتزّ له المغرب العربى بالألم والحسرة .

وكان فى الجيش بعثة عسكرية بريطانية يعمل أفرادها مفتشين ومدربين ظاهرياً ، ولكنهم كانوا فى الواقع يرصدون حركات الضباط وسكناتهم ويعدّون عليهم أنفاسهم .

ولست أنسى يوم زار ضابط من ضباط هذه البعثة البريطانية عام (١٩٣٩) كتيبة المنصور الثانية فى معسكر المنصور[١] ، فصادف ضابطاً

---

(١) فى المنطقة الكائنة بين جلولاء والسعدية على سفح جبل حمرين الغربى فى لواء ديالى العراق

عراقياً فى الشكنة ، فسأله عن مقر قائد[٢] كتيبة المنصور الثانية المقدم الخيال صبرى عبد القادر الهاشمى ، فأشار الضابط العراقى إلى مقر القائد ثم انصرف إلى واجبه لايلوى على شىء .

ولمح قائد الكتيبة من بعيد إشارة الضابط العراقى ، فاستدعاه إلى مقره وعاقبه لأنه كلم الضابط البريطانى ، ولاتزال فى سجل ذلك الضابط الذى لاغبار على إخلاصه ووطنيته هذه العبارة : « ثلاثة أيام قطع راتب ، لتكلمه مع الضابط البريطانى » .

— ٣ —

واندلعت ثورة عام ١٩٤١ فى العراق وهى الثورة التى يطلق عليها اسم ثورة رشيد عالى الكيلانى ، ضد الاستعمار البريطانى ، وكانت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) فى عامها الثالث ، وكانت ثورة العراق تهديداً مباشراً لخطوط مواصلات الحلفاء فى أحرج أيام الحرب ، فزج البريطانيون قواتهم الضاربة فى جبهة العراق للقضاء على ثورته بسرعة وقسوة وبشدة وعنف .

ولم يكن الجيش العراقى يومها يمتلك القوة الجوية والدروع ، وكان تسليحه الرئيس بالبنادق التى يمتد عمرها إلى عام (١٩١٧) ؛ ولكن هذا الجيش قاوم القوة الجوية البريطانية وسلاح دروعها المتفوقين فواقاً هائلاً على قوات الجيش العراق ؛ وبقى يقاتل البريطانيين فى معارك ضارية شهراً واحداً لم يحقق البريطانيون خلاله تقدماً يزيد عن ستين كيلومتراً هى المسافة التقريبية بين قاعدة (الحبانية) ومشارف (أبى غريب) على بعد عشرين كيلومتراً من غرب بغداد .

---

(٢) كان لقب الأمر يطلق على آمرى الحضائر والفضائل والسرايا والوحدات والأولوية ، وقد وحدت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، فجعلت كلمة قائد عوضا عن آمر ، فأصبح القائد هو الذى يتولى المناصب القيادية فى الوحدات الصغرى وفى التشكيلات الكبرى .

وفقد الجيش العراقى كثيراً من الشهداء ، ولكنه خرج فى النهاية مرفوع الجبين موفور الكرامة ، مقدراً من أعدائه قبل أصدقائه .

كانت كتائب الخيالة فى بساتين (أبى غريب) ، وكانت الطائرات تزورها مرة أو مرتين يومياً ، وكانت الخيل تهيج حين تتساقط القنابل عليها ، وكان الضباط والجنود يطاردون خيلهم الهائجة تحت وابل من القصف الشديد ليعيدوها إلى أماكنها الأصلية .

ولست أذكر مطلقاً ، أنّ ضابطاً أو جندياً تردّد أو أصابه الخوف والهلع من قنابل الطائرات .

على العكس ، أذكر أن الضباط حين كان القصف الجوى يزداد عنفاً وشدة ، كانوا يبادرون إلى الخروج من خنادقهم إلى العراء ، ليعطوا مثالا شخصياً لرجالهم فى الشجاعة والصمود .

والذى أذكره أن الخسائر فى الجيش العراقى لم تكن كبيرة ، كأنّ القنابل والصواريخ وأسلحة الدمار الأخرى لا تصيب بنيرانها غير الجبناء الرعاديد .

— ٤ —

وحدثت مظاهرات وطنية وانتفاضات فى العراق بين فترة وأخرى ، فكان الجيش مع القوى الوطنية فى كل مظاهرة وفى كل انتفاضة ، وكان يؤيد المطالب الوطنية علناً بكل مايستطيع من دعم مادى أو معنوى .

وشهد هذا الجيش حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، فأعطى لإسرائيل دروساً قاسية فى معركة (جنين) وفى معارك أخرى .

وكان بامكانه أن يخدم القضية الفلسطينية أكثر مما فعله ، لو كان أمره بيده كما هو معروف .

وفى أيام الأعتداء الثلاثى على الجمهورية العربية المتحدة ، انفجر الشعب العراقى فى مظاهرات صاخبة مؤيدة لمصر ومطالبة باسنادها .

وفى الموصل بالذات تساقط الشهداء من المتظاهرين فى هجومهم على الشرطة ، ولكن المظاهرات سارت بسلام بعد تسلم الجيش مهمة الأمن فى المدينة ، وكان الجيش مع الشعب فى آلامه وآماله جهراً متحدياً السياسة العليا فى العراق حينذاك .

ولست أنسى يوم جاءنى لفيف من ضباط الجيش فى الموصل بعيد تأميم قناة السويس ، يعرضون على اختراق الحدود العراقية السورية للالتحاق بالجيش المصرى والاشتراك معه فى الدفاع عن أرض الكنانة ، أذكر منهم الرائد الشهيد يونس خليل والنقيب الشهيد هاشم فائق الدبونى ، فوعدتهم أن نذهب سوية إذا اقتضى الأمر .

وعند إعلان الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨ ، أعلن الضباط العراقيون بأنهم مع الوحدة قلباً وقالباً .

وحين جرى الانفصال عام ١٩٦١ ، أصيب الضباط بصدمة مؤلمة .

وفى أيام قاسم العراق ، أصبح الضباط فى العراق قسمين : القسم الأكبر منهم يقاوم انحراف قاسم لأنه كان يقاوم الوحدة ، والقسم القليل منهم يؤيد قاسم العراق لأنه استجاب لانحرافهم الشعوبى .

وما كانت ثورة الموصل فى آذار (مارس) ١٩٥٩ التى أعلنها الشهيد الشواف ، إلا إعلاناً عن احتجاج الضباط الوحدويين على انحراف قاسم العراق .

لقد كان تسعون بالمائة من ضباط الجيش العراقى قد وحدوا صفوفهم فى تنظيم (عفوى) ضد انحراف قاسم ، ولم يجمع كل أولئك العدد الضخم من الضباط غير الوحدة والأمل فى تحقيقها .

وتساقط آلاف الشهداء فى الموصل بعد إخفاق ثورة الشواف ، وازدحمت سجون قاسم ومعتقلاته بثمانين ألف معتقل ، وتحمل المعتقلون صنوف التعذيب والارهاب ، وشهدت ساحة (أم الطبول) ثلاث وجبات من الشهداء أعدموا رمياً بالرصاص .

وكان هتاف الشهداء والمعذبين والمعتقلين واحداً لا يتغير : الوحدة !

وحاول قاسم العراق إرهاب الوحدويين بالاعدام تارة وبالتعذيب تارة وبالاعتقال والابعاد تارة ، ولكن محاولاته على الرغم من شدتها وقسوتها باءت بالاخفاق .

أعدم قاسم يوم ٢٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٩ الوجبة الثالثة من الضباط فى ميدان رمى أم الطبول ، فخرجت عصر ذلك اليوم أضخم مظاهرة شهدتها بغداد تنادى بسقوط قاسم وتتحدى بطشه وجبروته : « يابغداد ثورى ثورى ... خلى قاسم يلحق نورى »[٣] .

وبعد شهور قليلة ، تصدى لقاسم العراق فى شارع الرشيد[٢] شباب فى عمر الورد ، وفتحوا عليه النار ، وأصلوه ناراً حامية ، ولكنه نجا من الموت بأعجوبة .

— ٥ —

وبدأ الضباط يتكتلون سراً للاطاحة بقاسم وحكمه ، ولم يكن هؤلاء الضباط من حزب واحد أو من اتجاه معين أو يعملون لجهة معينة ، وكان كل ما يجمع صفوفهم ويوحد كلمتهم هو : إيمانهم بالوحدة وكرههم لأعدائها .

لم يكن أحدهم حين يفاتح زميله للتعاون معه من أجل القضاء على حكم قاسم يسأله عن ميوله السياسية أو حزبه السياسى أو اتجاهه العقيدى ... كل الذى كان يعرفه عنه أنه مؤمن بالوحدة كافر بالإنحراف .

---

(٣) هزج باللغة العامية معناه : « ثورى يابغداد ثورى ! لكى يلحق قاسم العراق نورى السعيد ويلاقى نفس مصيره » .

(٢) أكبر شوارع بغداد وأقدمها ؛ وهو باسم هرون الرشيد .

وتزايد عدد الضباط المتكتلين من أجل إنهاء حكم قاسم العراق ، وأصبح لهم أنصار خارج الجيش وداخله ، وكانوا لا ينفكون يقولون : إننا مع كل من يستطيع القضاء على حكم الانحراف والعمالة .

وانعزل حكم قاسم عن الشعب ، وأصبح يعيش فى محيط ضيق مؤلف من رجال معدودين ربطوا مصيرهم بمصيره فى قلعة مدججة بالسلاح هى وزارة الدفاع ، فأصبح قاسم ميتاً وهو على قيد الحياة .

ولما تسامع الناس بثورة ١٤ رمضان المبارك عام ١٩٦٣ ، أيدوا الثورة بكل طاقاتهم ، ولم يتخلف عن تأييدها غير المنحرفين الذين أساءوا إلى أنفسهم قبل أن يسيئوا إلى غيرهم فى مجازر الموصل وكركوك ومدن العراق الأخرى ، فأصبحت حياتهم مرتبطة بحياة قاسم العراق وبقاؤهم مرتبطاً ببقـائه .

وانتهى حكم قاسم ليبدأ حكم جديد شعاره الأول : الوحدة ، واجتمع فى القاهرة ممثلو كل من الجمهورية العربية المتحدة وسورية والعراق لإقرار اتفاقية وحدوية تبدأ بهذه الأقطار الثلاثة ثم تشمل الأقطار العربية كلها بالتدريج .

وانبثق عن هذا الاجتماع اتفاقية ١٧ نيسان ١٩٦٣ الوحدوية ، ولكن هذه الاتفاقية رأت النور على الورق فقط ، أما فى المجالات العملية فلم يلمس لها الناس أثراً .

وبعد تلك الاتفاقية ، جرت محاولات وحدوية أخرى ، ولكنها لم تثمر الثمر المؤمل منها حتى اليوم .

إنّ الطلاب والتلاميذ الذين كانوا يخرجون فى المظاهرات قبل أكثر من ثلث قرن مطالبين بالوحدة منادين بها منددين بالذين يحولون دون تحقيقها ، قد أصبحوا قادة العرب .

وقد ابيضت عيون المخلصين العرب ، وهم يجاهدون لأزاحة أعداء الوحدة عن طريقهم ، فلما نجحوا فى إزاحة أولئك الأعـــداء وأصبحت بأيديهم مقاليد الأمور ، لم يستطيعوا أن يحققوا الوحدة التى كانوا يطالبون بها من قبل .

وقد كنت فى القاهرة خلال شهر شباط (فبراير) ١٩٦٧ ، فدعيت إلى الحفل الكبير الذى أقامه الوحدويون بمناسبة العيد القومى للجمهورية العربية المتحدة وهو يوم ٢٢ شباط الذى أعلنت فيه الوحدة بين مصر وسورية .

وقبل حضورى هذا الحفل أصغيت إلى إذاعتى دمشق والقاهرة ، فوجدتها تنددان بالانفصال وتحملان على الانفصاليين أيضاً .

كما قرأت قبل حضورى هذا الحفل ما نشرته الصحافة العربية ، فوجدتها تندد بالانفصال وتحمل على الانفصاليين أيضاً .

وفى الحفل سألت قسماً من الوحدويين ، وكانوا من سورية ومصر والعراق : « مادمتم جميعاً تنددون بالانفصال وتحملون على الانفصاليين ، فلماذا لا تعيدون الوحدة إلى ما كانت عليه قبل الانفصال ؟ ! » .

ولم أحظ بالطبع على هذا التساؤل بجواب مقنع ، ولا أزال أتساءل : « المسؤولون يريدون الوحدة ، والشعب يريدها ، فلماذا لا يتم أمرها ؟ ! » .

المسؤولون يريدونها استناداً إلى تصريحاتهم الرسمية التى نشرتها الصحف ، وأذاعتها الاذاعات ، وسمعها الناس فى كل مكان .

والشعب يريدها ، إستناداً إلى مظاهراته وتصريحات منظماته الوطنية لأنه صاحب المصلحة فى إقرارها .

وتذكرت قصة رجل الدين الذى وعظ الناس فامتلك قلوبهم التى تجاوبت مع عيونهم فانهمرت دموعاً غزيرة .

وأنهى الرجل موعظته وأراد الانصراف إلى أهله ، ولكنه وجد كتابه الذى كان يعظ الناس به والذى كان إلى جانبه مسروقاً .

وفتش الرجل عن الكتاب فلم يجد له أثراً ، فقال للذين أنصتوا إلى موعظته : « كلكم يبكى ، فمن سرق المصحف ؟! » .

والوحدة المسكينة أيضاً ، كل العرب يريدونها ، فمن حال دون تحقيقها ؟

— ٧ —

فى العراق مثلا ، كان من أسباب تذمر الشعب من حكامه قبل ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ ، هو ابتعادهم عن الخط العربى ، فكان من أعظم آمال الضباط أن يعيدوا العراق بعد الثورة إلى مكانه الطبيعى فى حظيرة الدول العربية ؛ ويسعوا إلى تحقيق الوحدة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

وكان من أهم أسباب ثورة الموصل على حكم قاسم العراق ، هو انحرافه عن الخط العربى وتأييده للشعوبيين وأعداء الوحدة .

وفى عيد الفطر المبارك بعد أيام من ثورة الموصل ، انفجر المعتقلون فى معتقل أبى غريب يرددون :

يا بلاد العرب جددى عهد النبى

متحدين بذلك الأرهاب القاسمى الأحمر ، وكان يومذاك فى أوج العتيد .

وكان من أول أسباب ثورة ١٤ رمضان عام ١٩٦٣ على حكم قاسم العراق ، هو الدعوة إلى الوحدة .

وما يقال عن ضباط الجيش العراقى وجنوده ، يقال عن ضباط الجيوش العربية الأخرى وجنودها .

وما يقال عن الشعب العراقى ، يقال عن الشعب العربى من تطوان إلى بغداد (٥) .

ومع ذلك بقيت الوحدة فى متاهات النزعات والأهواء ، تقاومها المصالح الشخصية والرغبات الأنانية ، دون أن يكون للمصلحة العربية العليا أى دخل فى الموضوع .

ولست بصدد تعداد أسباب تأخر الوحدة حتى اليوم ، فربما كان من سمات العرب أنهم لا يقدمون على تنفيذ أمر مصيرى له آثار حاسمة كالوحدة مالم يضطروا إلى ذلك اضطراراً .

واليوم تحتم عليهم ضرورة البقاء أمة ذات سيادة ومكانة ، أن يقبلوا على الوحدة العسكرية ، وأن يضعوا تحت أقدامهم كل مايحول دون تحقيقها ، وإلاّ فسيكونون بعد سنوات عبيداً فى بلادهم أو لاجئين فى بلاد أخرى .

إنّ إسرائيل لهم بالمرصاد ، وأطماعها التوسعية تشمل كل بلادهم ، فهل يعتبرون بما حاق بهم من نكسة قاصمة للظهر فى حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ ، أم لا يزالون بحاجة إلى مزيد من النكسات .. والنكبات ؟!

الوحدة العسكرية من التاريخ
العربي الاسلامي



— ١ —

القاعدة الثابتة التي لا يمكن أن تتغير ، ليس بالنسبة إلى العرب وحدهم بل بالنسبة إلى شعوب العالم كلها ، هي أن الشعب — كل شعب — لا يكون قوياً ما لم يكن موحد الصفوف والأهداف .

ولم نسمع بأمة من الأمم ، استطاعت أن تكون قوية لها مكانة مرموقة بين الأمم ، وهي متفرقة الصفوف والأهداف .

الوحدة تجعل من الأمة قوة ضاربة لا تغلب من قلة أبداً ، والفرقة تجعل من الأمة غثاء كغثاء السيل لا قيمة لها في حرب ولا في سلام .

ولو أردنا أن نضرب الأمثال من الأمم غير العربية ، لضاق بنا المقام ولاحتجنا إلى مجلدات ، وحسبنا أن نذكر أن المانيا وإيطاليا مثلا ، كانتا مستعمرتين للنمسا قبل الوحدة تارة ولفرنسا تارة أخرى ، ولكنهما أصبحتا بعد الوحدة دولتين من الدول العظمى ، وقد استطاعتا أن تفرضا على الدول احترامهما بعد الوحدة وهددتا العالم كله بسيطرتهما القاهرة خلال النصف الأول من الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٢) .

والولايات المتحدة الأمريكية نفسها كانت مستعمرة كبيرة من مستعمرات بريطانيا ، ولكنها بالوحدة استطاعت أن تنال استقلالها أولا ، وأن تتضخم قوتها بعد ذلك حتى أصبحت أقوى قوة وأعظم مكانة من بريطانيا نفسها سيدتها أمس .

— ٢ —

وقد كان للعرب دول محلية قبل الإسلام في اليمن السعيد وفي العراق وسورية ، عاشت فترة من الزمن ، ولكنها لم تترك لها أثراً ذا قيمة عالمية ، كما فعل العرب بعد الاسلام .

وكان الموقف العربى قبل الأسلام يتلخص فيما يلى :

اليمن السعيد فيه نفوذ الأحباش والفرس ، وفيه قبائل مستقلة — خاصة فى الجبال — عن هذين النفوذين .

وفى العراق دولة المناذرة ، خاضعة للفرس .

وفى الشام دولة الغساسنة خاضعة للروم .

وفى الجزيرة[1] عرب خاضعون للروم .

وفى نجد والحجاز قبائل عربية ، كل قبيلة مستقلة عن الأخرى .

كان العرب حينذاك فى جاهلية فكرية ، وفى جاهلية إستعمارية ، وفى جاهلية عصبية ، وفى جاهلية دينية ، وفى جاهلية التمــــزق والتفرق والتناحر والأختلاف .

وجاء الأسلام، فوحّد صفوف العرب وجمع كلمتهم وحدّد أهدافهم ، فأصبحوا فى شبه الجزيرة العربية صفـًّا واحداً يعملون بقيادة واحدة هى قيادة الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلم يلتحق النبى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، إلاّ وكان عرب شبه الجزيرة العربية التى تتصل بتخوم أرض الشام ومشارف العراق من الشمال وبالبحر الأحمر من الغرب وبالمحيط الهندى من الجنوب وبالخليج العربى من الشرق — وحدة تحت لواء الإسلام .

وارتدّ قسم من العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، فقاتلهم أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، حتى استطاع أن يعيد الوحدة إلى عرب شبه الجزيرة العربية ، وبذلك أصبحوا قوة هائلة وجدت لها متنفساً فى الفتح الإسلامى العظيم .

وفى أواخر أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، توجـّـهت طلائع الفتح

---

(١) جزيرة ابن عمر .

الإسلامى إلى العراق وأرض الشام ، فاستطاع المثنى بن حارثة الشيبانى وخالدبن الوليد رضى الله عنهماأن يربحا معارك كثيرة فى العراق، كما استطاع جيش المسلمين فى (اليرموك) أن يربح معركة حاسمة فى أرض الشام .

وأرتفع مدّ الفتح الأسلامى إرتفاعاً مذهلاً فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فاستطاع قادة الفتح الإسلامى فى أيامه فتح العراق والجزيرة وأرض الشام ومصر وليبيا وشطراً من بلاد فارس .

وبقى مدّ الفتح الإسلامى طاغياً عاتياً فى النصف الأول من حكم عثمان ابن عفّان رضى الله عنه ، فلما نشب الشغب فى النصف الثانى من حكمه بين المسلمين توقف الفتح واستطاع الفرس استعادة قسم من بلادهم فى خراسان من المسلمين .

وبقى الفتح الإسلامى مجمداً فى أيام الفتنة الكبرى ، بل أصبحت البلاد الإسلاميةمهددة بالغزو من الروم،فزحف قيصر الروم فى جموع كثيرةوخلق عظيم على بلاد الشام ؛ وخاف معاوية بن أبى سفيان أن تشغله هذه الحملة عما يحتاج إلى تدبيره وإحكامه ، فوجّه إلى الروم وصالحهم على مائة ألف دينار ، وهكذا أصبح الطالب مطلوباً بفضل التفرق والأنقسام .

وحين أستتبّ الأمر لمعاوية،أغزى أمراءالشام على الصوائف[٢]، فسبوا فى بلاد الروم سنة بعد سنة ، عند ذاك طلب قيصر الروم الصلح على أن يضعف ما يقدمه للمسلمين من مال ، فلم يجبه معاوية إلى طلبه .

وأستأنف الفتح الإسلامى سيره المتدفّق فى الشرق والغرب بعد أن وضعت الفتنة الكبرى أوزارها، فاستعاد العرب المسلمون فتح (سجستان) وفتحوا (كابل) ، كما اجتازت رايات المسلمين نهر (جيحون) وفتحوا (بخارى) و (سمرقند) و (ترمذ) . كما فتح عقبة بن نافع (تونس)

(٢) الصوائف : الغزوات التى تخرج صيفاً .

واختط القيروان وسكن المسلمون (إفريقيّة) وأسلم البربر واتصل الاسلام ببلاد السودان وبالمحيط الأطلسي .

وفى الشمال حاصر المسلمون القسطنطينية ، وهناك توفى أبو أيوب الأنصارى صاحب رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولايزال قبره هناك محفوظاً مشهوراً إلى اليوم(٣)

وكان هذا الفتح كله بفضل الوحدة أيضاً .

— ٣ —

وبعد معاوية بن أبى سفيان ، بدأت الفتن الداخلية : استشهاد الحسين بن على رضى الله عنه ، وحركات المختار بن أبى عبيد الثقفى وبعده مصعب بن الزبير ، وثورة الخوارج ، وثورة عبد الله بن الزبير .. إلخ ، فاضطربت أمور العرب المسلمين وتفرقت كلمتهم ، فكان من نتيجة ذلك أنّ الروم استعادوا إفريقيّة من المسلمين ، كما استطاع قيصر القسطنطينية أن يهدد بلاد الشام فاضطر عبد الملك بن مروان إلى عقد هدنة مع الروم .

وفى المشرق توقّف الفتح تماماً ، واستعاد الفرس من المسلمين خراسان وسجستان .

وبعد حروب دامية ، استطاع عبد الملك بن مروان أن يعيد الوحدة عام ثلاثة وسبعين الهجرية ، فأرسل حسّان بن النعمان الغسانى لاستعادة إفريقية ، ففتح (قرطاجنة) وأتمّ تحرير المغرب العربى من الروم .

وفى سنة ثلاث وسبعين الهجرية ـ وهو عام الوحدة ـ عيّن عبد الملك أخاه محمد بن مروان والياً على الجزيرة وإرمينية ، وقطع النقود التى كان

---

(٣) أنظر التفاصيل فى : قادة فتح الشام ومصر [١٨١ — ١٨٢] .

يرسلها الى الروم لقاء سكوتهم عن حرب المسلمين ، واستطاع المسلمون سنة أربع وسبعين الهجرية الانتصار على الروم وتوغلوا فى بلادهم .

وفى سنة ثمان وسبعين الهجرية استعاد المسلمون خراسان وسجستان وفتحوا مدناً أخرى[٤] .

واستطاع موسى بن نُصَيْر فتح المغرب الأقصى وفتح طنجة وغزا صقلية وفتح الأندلس[٥] .

وكان ذلك كله بفضل الوحدة .

— ٤ —

وبعد الوليد بن عبد الملك توقّف الفتح الاسلامى حتى سنة انهيار الدولة الأموية وهى سنة اثنتين وثلاثين ومائة الهجرية ، حيث بدأت صفحة الدولة العباسية فى التاريخ .

وبعد سنة من مولد الدولة العباسية ، أى سنة ثلاث وثلاثين ومائة الهجرية ، استطاع الروم الانتصار على المسلمين فى (ملطية) واستعادوها منهم ، فهدموا المدينة والجامع وأجلوا المسلمين الذين بقوا على قيد الحياة عن هذه المدينة[٦] .

وتوالت الفتن والمشاكل ، منها طائفية ومنها سياسية ، لعلّ أعظمها كان انفصال الأندلس سنة تسع وثلاثين ومائة الهجرية عن الدولة العباسية[٧] ، فأصبحت الدولة الاسلامية الواحدة دولتين : دولة فى المشرق ودولة فى المغرب .

وكانت الدولتان قويتين فى ابتداء أمرهما ، ولكنّ استقلال الأمصار

---

(٤) أنظر التفاصيل فى: قادة فتح المغرب العربى [٢/٩٩ — ١٠١] .
(٥) أنظر التفاصيل فى : قادة فتح المغرب العربى [١/٢٣٢ — ٢٧٣] .
(٦) العبر (١/١٧٩)
(٧) الطبرى (٦/١٤٤)

عنهما بالتدريج أدىّ فى النهاية إلى سقوط الدولة العباسية بيـــد التتار وخروج العرب من الأندلس واستيلاء الصليبيين على قسم كبير من سورية ولبنان وفلسطين وشمال إفريقيـة.

ومرّ على العرب فترة كان لهم فى كل بلد دولة ، وهذا التفرق هو الذى أدىّ بهم إلى الضعف والهوان، فطمع فى بلادهم الصليبيون وغير الصليبيين، ولولا نور الدين الشهيد ومن بعده صلاح الدين الأيوبى اللـّذان جاهدا من أجل الوحدة ووحـّدا من أجل الجهاد، لما استطاع العرب استعادة القسم الأكبر مما اغتصبه الصليبيون من بلادهم .

— ٥ —

وبقى العرب ضعفاء لتفرقهم ، مستعبدين لغيرهم من الأمم ، حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨، فاحتلّ المستعمرون بلادهم ، وأقاموا الحدود والسدود بين الأقطار العربية، وشجـّعوا الروح الأقليمية والطائفية على مبدأ : «فرِّق تسد» ، وأشاعوا التحلل الخلقى، ونشروا المبادىء الوافدة ، وجعلوا العرب يشيحون بوجوههم عن تراثهم العريق، وعمـّقوا فى عقولهم آثار الاستعمار الفكرى البغيض ؛

ثم خلقوا إسرائيل فى أقدس بقعة من بلاد العرب ، لتـكون قاعدة ضخمة لهم يعتمدون عليها فى أيام السلام والحرب .

لقد قدّر الاستعمار أنّ العرب لن يبقوا فى سبات عميق إلى قيام الساعة ، ولمس عزم العرب على أخذ حقوقهم كاملة من المستعمرين ، فخلقوا إسرائيل لتكون عوناً لهم على إضعاف العرب واستنزاف طاقاتهم المادية والمعنوية كلما أرادوا تطوير بلادهم والتحرر والانطلاق من ربقة الاستعمارين القديم والجديد .

إسرائيل قاعدة للاستعمار فى الشرق الأوسط فى أيام السلام ، لأنّ

العرب مضطرون إلى تقوية جيوشهم عدداً وسلاحاً ، وهذا يحتاج إلى المال الوفير والجهد المضنى ، وما أحوج العرب إليهما فى تطوير بلادهم لولا وجود إسرائيل .

وإسرائيل قاعدة للإستعمار فى الشرق الأوسط فى أيام الحرب ، لأنّ الاستعمار يزودها بالسلاح وبالخبرات الفنية لتكون قوية دائماً ، قادرة على ضرب الدول العربية التى تخرج على مصالح الأستعمار وتعمل من أجل بلادها ومصالحها العليا .

وهى قاعدة للإستعمار أيضاً فى حالة نشوب حرب عالمية ثالثة بين الشرق والغرب ، لذلك فمن مصلحة الاستعمار أن تكون إسرائيل قوية وأن تتوسع على حساب البلاد العربية .

إنّ الاستعمار الذى خرج من باب الدول العربية ، دخل إلى الشرق الأوسط من نافذة إسرائيل .

لهذا دأب المستعمرون على الادعاء ، بأنّ إسرائيل خلقت لتبقى .

ذلك لأنّ بقاءها من مصلحة الاستعمار .

والاستعمار كما هو معلوم مسيطر سيطرة كاملة على الهيئات الدولية وعلى مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة بالذات .

فلا مجال للعرب أن يأخذوا حقوقهم بالوسائل السياسية فى أروقة الأمم المتحدة أو فى المجالات السياسية الأخرى .

وعلى ذلك لم يبق أمام العرب غير طريق واحد ، هو أن يأخذوا حقوقهم بالقوة ... وبالقوة وحدها .

وسبيل القوة هى الوحدة العسكرية بين العرب .

ومرة ثانية . . .

إذا لم يضع العرب الوحدة العسكرية فى حيز التنفيذ فوراً ، فأنهم بعد سنوات سيكونون إما لاجئين خارج بلادهم ، أو عبيداً فى بلادهم .

وقد أعذر من أنذر .

عبرة الاتفاقيات العسكرية العربية
قبل حرب ١٩٦٧

— ١ —

أحب أن أبادر إلى ذكر ، أنّ التعاون العسكرى بين العرب شىء ، والوحدة العسكرية بين العرب شىء آخر .

التعاون العسكرى العربى يخضع للظروف والملابسات ، فهو أمل قد يتحقّـق وقد لا يتحقق ، ورجاء قد يلبّى وقد لا يلبّى .

والوحدة العسكرية العربية لاتخضع للظروف والملابسات ، فهى أمر وتنفيذ ، وهى واجب وفرض .

وقد تتوافر الجهود وتتيسر النيات الطيبة ، فيكون التعاون العسكرى العربى واقعاً ملموساً .

ولكن لافائدة من أى تعاون عسكرى لا يكون بموجب خطـــة مرسومة وإعداد مسبّق طويل .

وبالوحدة العسكرية العربية ، تتيسر الخطط المرسومة المدبرة ، ويتيسر الأعداد المسبق الطويل .

وبالوحدة العسكرية العربية ، تصبح الجيوش العربية جيشاً واحداً ، يعمل بقيادة واحدة ، لتحقيق هدف واحد .

إن التضامن العربى ، والتعاون العربى ، قد يفيدان فى المجالات العربية الأخرى غير العسكرية .

أما فى المجال العسكرى ، فلا فائدة ترتجى على نطاق حيوى مصيرى ، إلاّ بالوحدة العسكرية العربية .

إنّ العمل العسكرى الذى يمكن أن يؤتى ثمراته مرتين ، ويجعل من العرب قوة ضاربة : تفرض السلام المشرّف ، وتدافع عن الوطن العربى

الكبير، وتصون حقوق العرب، وترفعهم إلى المكانة اللائقة بهم وبأمجادهم وبماضيهم العريق، وتضييق الخناق على إسرائيل وعلى مَنْ وراء إسرائيل.

هذا العمل العسكرى، هو الوحدة العسكرية، ولاشىء غير الوحدة العسكرية.

— ٢ —

ولعلّ ما لاقاه العرب من إسرائيل بالذات فى حرب ١٩٤٨، وفى حرب ١٩٥٦، وفى حرب ١٩٦٧، خير حافز لوضع الوحدة العسكرية بين العرب فى حيِّز التنفيذ.

كان من جملة أسباب اندحار الجيوش العربية فى حرب عام ١٩٤٨، عدم وجود وحدة عسكرية، وبالتالى عدم وجود قيادة عربية موحّدة.

لقد شهد تلك الحرب جيش مصر وجيش سورية وجيش العراق وجيش لبنان وجيش العربية السعودية ومتطوعون من اليمن ومن البلاد العربية الأخرى ومن الدول الإسلامية مثل الباكستان وتركيا وحتى من يوغسلافيا، كما شهدها جيش التحرير الفلسطينى الذى كان يعمل فى أرض فلسطين قبل دخول الجيوش العربية النظامية إليها. كما شهدها متطوعون من الفلسطينيين، كانوا يعملون بتعاون وثيق مع جيوش كل من مصر وسورية والعراق، فماذا كانت النتيجة ؟

قيادة جيش التحرير الفلسطينى كانت فى دمشق، وكان جيش التحرير على أرض المعركة، فكان هذا الجيش يعمل بقيادات الوحدات الفرعية، ولم يكن لقيادته العامة أى تأثير على عملياته الفعلية فى الميدان، إلاّ فى نطاق تزويده بالقضايا الإدارية والسلاح، وقد أخفقت فى هذا المجال أيضا، لبعدها الشاسع عن قواتها الفعّالة، واستحالة سيطرتها على سير الأحداث فى ميدان القتال.

أما الجيوش النظامية ، فقد كان لها قيادة عامة مرتجلة ، بدأت عملها قبيل دخول هذه الجيوش أرض فلسطين ، ولكن لم يصغ أحد لآرائها ومقترحاتها ، ولا أقول لأوامرها .

كما أن هذه القيادة المرتجلة ، لاقت الأمرّين من بعض رؤساء وملوك الدول العربية ، فبدلاً من أن يتعاون الجميع على معاونتها لتؤدى واجبها على أحسن مايرام ، تعاون أكثر رؤساء وملوك الدول العربية بقصد أو بدون قصد على عرقلة جهودها وإحباط أعمالها .

وأخيراً لاقت هذه القيادة مصيرها المرتقب، فقد استقال بعض قادتها، ودبّ الخلاف بين أعضائها، وعانت أزمة ثقة فى صفوفها، فانهارت بسرعة كما ينهار البناء المشيّد على جرف هارٍ !!

والنتيجة الحتمية لعدم وجود قيادة عربية موحّدة ، أن الجيوش العربية دخلت فلسطين عام ١٩٤٨ خلافاً لأى مبدأ من مبادىء الحرب .

كان دخول تلك الجيوش خلافاً لمبدأ (المباغتة) ، فقد كانت تحركاتها مكشوفة للعدو وكانت أسرارها العسكرية لاتخضع لأبسط مبادىء الكتمان.

وكان دخول تلك الجيوش خلافاً لمبدأ (حشد القوى) ، فقد دخلت فلسطين أجزاء متعاقبة فى فترات زمنية متعاقبة ، ولم يتكامل حشد أى جيش عربى من تلك الجيوش فى المكان والزمان المناسبين .

وكان دخول تلك الجيوش خلافاً لمبدأ (الأمن) ، فقد كانت المعلومات المتيسرة عند العدو عن الجيوش العربية مستقاة من مصادر موثوقة شتى ، لعلّ أهمها ما كان لدى الدول الاستعمارية من كشوف وبيانات عن جيوش العرب . فقد كان العرب يستوردون الأسلحة من دول الغرب ، وكانوا يقدمون لتلك الدول كشوفاً بما عندهم من سلاح وذخيرة ، وقد ثبت أن بعض تلك الكشوف وصلت إلى إسرائيل !!

وكان دخول تلك الجيوش أرض فلسطين خلافاً لمبدأ (المرونة) ، فقد كانت أكثر الجيوش العربية لاتمتلك وسائط النقل ، وقد جرى نقل بعضها إلى فلسطين بالسيارات المدنية ، فكانت تلك الجيوش محرومة من قابلية الحركة .

وكان دخول تلك الجيوش خلافاً لمبدأ (التعاون) ، وقد قاتلت تلك الجيوش منفردة ، فاستطاعت إسرائيل أن تضربها على انفراد .

كان مع قسم من الجيوش العربية مدفعية عيار (٢٥) رطلاً ولم يكن معها ذخيرة ، وكان مع قسم منها ذخيرة (٢٥) رطلاً ولم يكن لديها مدافع .

وكان مع قسم من الجيوش العربية مدرعات لاتحتاج إليها ، لأنها كانت تقاتل فى منطقة وعرة تحدّد استخدام تلك الدروع .

وكان قسم من الجيوش العربية بدون مدرعات ، وكانت بأمسّ الحاجة إلى هذا الصنف من السلاح ، لأنها كانت تقاتل فى أرض مكشوفة .

وعندما هاجمت إسرائيل الجيش المصرى ، كانت الجيوش العربية (متفرجة) لاتبدى نشاطاً ولا حركة !!

وكانت الجيوش العربية بدون خطط عسكرية مرسومة تؤمن(التعاون) الوثيق فيما بينها ، بل كانت بعض الجيوش العربية بدون خطط عسكرية على الإطلاق .

وقد دخل كل جيش عربى من اتجاه حدوده ، والذى لاحدود له مع الأرض المقدسة دخلها على غير هدى وبصيرة ، وكثيراً ما كان يستعين بالأدلاء المدنيين كما كان يفعل الأقدمون قبل عشرات القرون .

وقد ضيّعت بعض الجيوش العربية كثيراً من وقتها الثمين فى معالجة أهداف تعبوية للعدو لاقيمة لها من الناحية العسكرية ، فمضى وقتها الثمين بدون مبرر فى أحرج الظروف والأحوال .

تلك هى مجمل الأخطاء العسكرية الشنيعة التى وقعت فيها الجيوش العربية فى حرب عام ١٩٤٨ ، لأنها بدون قيادة موحدة وبدون وحدة عسكرية .

ولو كان للعرب وحدة عسكرية ، لـكان من المستحيل عليها أن تقع فى مثل تلك الأخطاء .

— ٣ —

بعد حرب عام ١٩٤٨ بين العرب وإسرائيل ، كان من الطبيعى أن تدرك الدول العربية الأهمية القصوى للشئون العسكرية ، وأن تدرك أنّ الوحدة العسكرية هى الطريق السوى الذى يؤدى إلى النصر .

ولـكنّ العرب اكتفوا بـ (التعاون) العسكرى دون الوحدة العسكرية ، فكيف كان ذلك ؟

فى ١٧ حزيران (يونيو) ١٩٥٠ ؛ عقدت معـــاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى، وكانت هذه المعاهدة أول خطوة خطتها الدول العربية فى سبيل (التعاون) العسكرى العربى (أنظر الملحق أ) .

ولكنّ المعاهدة لم تصبح نافذة المفعول رسمياً إلّا بعد مرور أكثر من سنتين على توقيعها ضمن نطاق الجامعة العربية، أي في آب (أغسطس) ١٩٥٢، وذلك بعد أن تمت مصادقة المجالس النيابية لجميع الـدول الموقعـة عليها، وهي مصـر والعراق واليمن وسورية ولبنان والأردن والمملكة العربية السعودية .

وهذه المعاهدة جعلت الوسائل العسكرية إحدى الوسائل لصد الاعتداء الإسرائيلي ، ولكن ليس فى نصوصها مايلزم الدول العربية بشكل قاطع على إستخدام قواتها المسلحة للدفاع عن أية دولة عربية منها تتعرض للعدوان المسلّح !

وليس فى نصوص هذه المعاهدة تعهد صريح بإعلان الحرب بصورة تلقائية على أية دولة تهاجم بقواتها المسلحة إحدى الدول العربية !

والواقع أنّ خلوّ هذه المعاهدة من تعهدات ملزمة صريحة كهذه ، كان سبباً في تنصل قسم من الحكومات العربية من مساعدة مصر مساعدة فعّالة عندما تعرضت للعدوان الثلاثي في خريف عام ١٩٥٦ ، وقد امتنعت قسم من الدول العربية حتى عن قطع العلاقات السياسية مع بريطانيا وفرنسا !

وبموجب هذه المعاهدة التي أطلق عليها اسم : « ميثاق الضمان الجماعي » شكلت ثلاث لجان عسكرية .

اللجنة العسكرية الدائمة مؤلفة من ممثلي هيئة أركان حرب جيوش الدول العربية المتعاقدة ، واجبها تنظيم خطط الدفاع المشترك وتهيئة وسائله وأساليبه ، ورفع التقارير إلى مجلس الدفاع المشترك عن طريق رؤساء أركان الجيوش العربية .

مما تقدم يظهر أنّ هذه اللجنة ليست قيادة عسكرية ، ولم يصرّح لها بموجب المعاهدة باتخاذ تدابير عسكرية في حالة الطوارىء .

واللجنة الاستشارية العسكرية مؤلفة من رؤساء أركان الجيوش العربية ، واجبها استشاري كما نصّ على ذلك اسمها .

ومع أنه كان في وسع هذه الهيئة أن تؤلف قيادة مشتركة ، لأنّ أعضاءها هم ذوو رتب عالية في الجيوش العربية ، إلاّ أنّ المعاهدة لم تكلفهم بهذا الواجب .

ومجلس دفاع مشترك مؤلف من وزراء مدنيين يجتمعون بضع مرات في السنة ، ليقرروا السياسة العليا للدول العربية .

ولا يفترض أن تكون لدى هؤلاء قابلية لقيادة الجيوش العربية أو معالجة الحالات العسكرية الطارئة .

إنّ هذه المعاهدة كانت غير ذات جدوى للعرب من الناحية العسكرية.

وتوقفت هذه الأجهزة العسكرية الثلاث عن الاجتماع ، وأخفق (التعاون) العسكري العربي ضمن الجامعة العربية بعد عام ١٩٥٤ ، مما حدا بالدول العربية إلى أن تحاول التعاون فيما بينها خارج نطاق الجامعة العربية، وذلك بعقد اتفاقيات عسكرية ثنائية أو ثلاثية بينها .

ففي عام ١٩٥٥ جرت مباحثات عسكرية بين مصر وسورية انتهت بتوقيع اتفاقية ثنائية بينهما للدفاع المشترك ، وكان ذلك في دمشق بتاريخ ٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٥ .

وبعد أسبوع من هذا التاريخ ، وقعت مصر اتفاقية ثنائية أخرى مع المملكة العربية السعودية ، وكان ذلك في القاهرة بتاريخ ٢٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٥ .

وفي عام ١٩٥٦ ، حدث نشاط عسكري ملحوظ بين الدول العربية ، وكان الباعث إليه توقّع قيام إسرائيل بالهجوم على إحدى الدول العربية المجاورة لها .

ففي ٢١ نيسان (أبريل) ١٩٥٦ ، تمّ التوقيع على اتفاقية للدفاع المشترك بين مصر والمملكة العربية السعودية واليمن في مدينة (جدة) .

وفي ٦ آذار (مارس) ١٩٥٦ ، عقدت اتفاقية للدفاع المشترك بين مصر والأردن في القاهرة .

وفي ٣٠ آذار (مارس) ١٩٥٦ ، عقدت اتفاقية عسكرية بين سورية والأردن .

وعلى أثر الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على الأردن ، عقد مؤتمر عسكري في (الرياض) حضره ممثلون عن العراق وسورية ولبنان والأردن .

وبعد مداولات دامت ثلاثة أيام ، صدر بيان مشترك جاء فيه : « إنّ

المؤتمر بحث موضوع الحرس الوطني الأردني وتزويده بالاحتياجات اللازمة له لاستكمال وسائل الدفاع »، وأن : « المؤتمر اتفق بإجماع الآراء على الاجراءات التي تحقق أهداف هذا الاجتماع »، وكان ذلك خلال شهر أيلول (ديسمبر) ١٩٥٦ .

وعلى أثر اعتداء إسرائيلي على الأردن في ١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٦، طلبت الحكومة الأردنية مساعدة العراق، فأرسل العراق وفداً عسكرياً إلى الأردن، للبحث في تنسيق التعاون بين الجيشين الأردني والعراقي لصد الاعتداءات الصهيونية .

وفي ١١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٦، قامت إسرائيل باعتداء جديد على الأردن في منطقة (قلقيلية)، وكان هذا الاعتداء بنطاق واسع، إذ استخدمت إسرائيل فيه لواء مشاة تسنده الدبابات والمدفعية والطائرات.

وعلى أثر هذا الاعتداء، جرت مباحثات بين الأردن والعراق، صدر على أثرها بيان في ١٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٦، تعهد العراق بموجبه مساعدة الأردن فوراً إذا نشب القتال بينه وبين إسرائيل، وأرسل العراق قوة عسكرية مختلطة تنفيذاً لذلك .

وفي ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٦، تمّ التوقيع في (عمّان) على اتفاقية عسكرية بين مصر وسورية والأردن، تقرر بموجبها تنسيق التعاون العسكري بين هذه الدول الثلاث ضد الخطر الاسرائيلي، وتوحيد قيادة جيوشها .

وقد تمّ تأليف القيادة العامة الموحدة للجيوش المصرية والسورية والأردنية، فكانت هذه المحاولة أول محاولة عربية في تاريخ العرب الحديث لتوحيد القيادة العسكرية لثلاث دول عربية منذ وقت السّلم .

ولكن قبل أن يتبلور هذا (التعاون) العسكري بين هذه الدول الثلاث

وقبل أن تتمكن قيادتها الموحدة من إعداد خطط (التعاون) العسكرى المشترك بينها، وقع العدوان الثلاثى على مصر.

— ٥ —

وفى شباط (فبراير) ١٩٥٨؛ أعلنت الوحدة بين مصر وسورية، كما أعلن الاتحاد الهاشمى بين العراق والأردن بعد ذلك بقليل.

وتمّ نتيجـة لذلك توحيد الجيشين المصرى والسورى، كما بدأت الاستعدادات لتوحيد الجيشين الأردنى والعراقى.

غير أن قيام ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ فى العراق، أدىّ إلى إلغاء الإتحاد الهاشمى وتوقّف الوحدة العسكرية بين العراق والأردن.

كما أنّ الحركة الإنفصالية التى حدثت فى سورية بتاريخ ٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٦١، أدّت إلى فصل الجيش السورى عن الجيش المصرى.

غير أنّ سنيّ الوحدة الثلاث بين مصر وسورية، عملت الكثيرلتوحيد هذين الجيشين من وجهة التنظيم والتسليح والتجهيز والتدريب وأساليب القتال.

وفى بداية كانون الثانى (يناير) ١٩٦٢، جرت محادثات بين سورية والعراق، اتفق فيها القطران على: «البدء بمحادثات لتنسيق الأمور العسكرية بقصد إقامة تعاون دفاعى عسكرى بين البلدين من أجل سلامتهما وسلامة العالم العربى وتحرّره».

وبعد ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ فى العراق، تجددت محاولة إقامة تعاون عسكرى بين العراق وسورية.

وفى ٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٣، صدر ميثاق الوحدة العسكرية بين سورية والعراق، وهو ينصّ على: «إقامة وحدة عسكرية كاملة بين

القطرين ، تشمل القوات المسلّحة كافة ، وتشكيل مجلس أعلى للدفاع مؤلف من : القائد العام للقوات المسلحة للجيش الموحدّ ، وثلاث أعضاء من كل قطر يعينهم المجلس الوطنى لقيادة الثورة » .

كما ينص أيضاً على تأليف قيادة عامة للجيشيين ، مقرها مدينة (دمشق) وقد دعا الميثاق الدول العربية الشقيقة الانضمام إليه .

وفى ١٨ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٣ ، حيث تبدل الحكم فى العراق أصبح هذا الميثاق ملغياً بصورة تلقائية .

وفى ٢٩ آب (أغسطس) ١٩٦٢ ، وضعت الأسس لتحالف سعودى - أردنى ، يدعو إلى تنسيق سياسة البلدان العربية فى الخارج وتحقيق وحدة عسكرية بين القطرين وإقامة قيادة عسكرية مشتركة بينهما .

ومن الواضح أنّ هذه الاتفاقيات الثنائية أو الثلاثية ، لم تجد العرب شيئاً من الناحية العسكرية .

— ٦ —

بعد توقّف الجامعة العربية عن نشاطها العسكرى مدة سبع سنوات ، استأنف العرب نشاطهم العسكرى ضمن نطاق الجامعة العربية مرة أخرى .

ففى ٣٠ كانون الثانى (يناير) ١٩٦١ ، إجتمع وزراء خارجية العرب فى بغداد ؛ وقرّروا دعوة الهيئة الاستشارية العسكرية المؤلفة من رؤساء أركان الجيوش العربية للاجتماع فى أقرب وقت ممكن ، منضماً إليهم رؤساء أركان الجيوش العربيةغير المشتركة فى ميثاق الضمان الجماعى العربى ، وذلك لبحث العمل المضاد الذى تبنى عليه الخطة المفصلة لمنع إسرائيل من تنفيذ مشاريعها العدوانية .

وتلبية لهذه الدعوة، إجتمع رؤساء أركان الجيوش العربية فى ٢٢ نيسان (أبريل) فى القاهرة؛ كما اجتمع فيها مجلس الدفاع المشترك فى حزيران (يونيو) من السنة نفسها، دون فائدة تذكر.

وفى الفترة بين ١٣ — ١٧ كانون الثانى (يناير) ١٩٦٤، عقد مؤتمر القمة الأول فى القاهرة حضره ملوك ورؤساء الدول العربية، وكان من أهم مقرراته:

(ا) إنشاء قيادة عربية موحدة.

(ب) إنشاء هيئة خاصة من ممثلين شخصيين للملوك والرؤساء العرب، لمتابعة تنفيذ مقررات المؤتمر.

(ح) إنشاء هيئة خاصة للاشراف على تنفيذ المشروع العربى، لاستخدام مياه نهر الأردن.

وفى الفترة من ٥ — ١١ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٤، انعقد مؤتمر القمة الثانى فى الاسكندرية، وكان من أهم مقرراته:

(ا) قيام منظمة التحرير الفلسطينية.

(ب) تأليف مجلس عربى مشترك للبحوث الذرية.

(ح) الاجتماع بصورة دورية فى أيلول «سبتمبر» من كل عام.

وفى الفترة من ٩ — ١٢ كانون الثانى «يناير» ١٩٦٥، اجتمع رؤساء وزراء العرب فى القاهرة.

وقد جاء فى البيان المشترك الصادر بعد المؤتمر:

(أ) اتفاق كامل على وسائل تنفيذ الخطط العربيـة والمقررات السرية وتذليل ما اعترض بعضها من مصاعب.

(ب) أختصار المدة لتنفيذ مشروعات تحويل نهر الأردن ستة أشهر ، وإقامة مضخه الوزانى فى لبنان .

(حـ) تأييد منظمة تحرير فلسطين .

(د) مجابهة أية دولة أجنبية تسعى لإقامة علاقات جديدة مع إسرائيل.

وفى الفترة بين ١٣ — ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٥ ، عقد مؤتمر القمة الثالث فى (الدار البيضاء) حضره ملوك ورؤساء الدول العربية ـ عدا تونس ـ وكان من أهم مقرراته :

(أ) التزام الملوك والرؤساء العرب بميثاق التضامن العربى ـ القاعدة الأساسية لوحدة العمل المشترك ، للتحرر من الاستعمار والصهيونية وجميع مظاهر السيطرة الأجنبية، ودعم التقدم العربى إقتصادياً وسياسيا ، تأكيداً لوحدة المبادىء والأهداف ، وتوحيداً لجميع الجهود والطاقات العربية لخدمة القضايا الأساسية والمصالح القومية العليا .

(ب) التزام الملوك والرؤساء بالحفاظ على وحدة التراب الوطنى للأقطار العربية ، ويستنكرون كلّ محاولة استعمارية وانفصالية ترمى إلى انتقاص بعض أطرافها ، وقرروا مؤازرة الأقطار العربية بناء على طلبها بكل الطاقات ودرء كلّ محاولة من هذا النّـوع .

(حـ) عالج المؤتمر الجوانب المختلفة لقضية فلسطين، واتفق على الخطط العربية فى سبيل تحريرها .

(د) دعم منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطينى .

(هـ) أقر المؤتمر الخطة العربية الموحدة للدفاع عن قضية فلسطين فى الأمم المتحدة والمحافل الدولية، ومقاومة المحاولات الرّامية إلى تصفية قضية اللاّجئين .

(و) أقرّ المؤتمر دعم القيادة العربية الموحدة ، والمضى فى أعمال استثمار مياه نهر الأردن وروافده طبقاً للخطة المرسومة .

ولكنّ الذى حدث بعد هذا المؤتمر ، أنّ الخلافات الحادة نشبت بين الدول العربية ، حتى وصلت تلك الخلافات إلى درجة المهاترات .

كما أنّ محاولات إضعاف القيادة العربية بدأت بعد ذلك المؤتمر خلافاً لمقرراته الصريحة .

ومن يومها أصبحت القيادة العربية تضعف وتضعف ، حتى أصبحت مجمدة قبيل حرب عام ١٩٦٧ .

وللتاريخ أذكر أن القيادة العربية الموحدة ، بذلت قصارى جهدها حتى عام ١٩٦٧ للقيام بواجباتها العسكرية .

وكان بالامكان الاستفادة من هذه القيادة فى حرب ١٩٦٧ . ولكنّ العرب لم يستفيدوا منها فى تلك الحرب .

لقد بذل قائدها الحصيف الفريق الأول على على عامر جهوداً جبارة ، ولكنّ خطط القيادة العربية الموحدة بقيت حبراً على ورق .

ولكن هل كان بالإمكان الأفادة من هذه القيادة مع وجود الاختلافات العربية وعدم وجود وحدة عسكرية بين الجيوش العربية وعدم وجود مسئوول سياسى أو مسؤولين سياسيين ترتبط بهم هذه القيادة ؟

لقد كانت الأفادة منها كما ينبغى بمثل تلك الظروف أمراً مستحيلا .

— ٧ —

فماذا جرى بعد مؤتمر القمة الثالث حتى حرب ١٩٦٧ ؟ .

من وراء الجامعة العربية ، ومن وراء القيادة العربية الموحدة ، جرى اتفاق عسكرى ثنائى بين الجمهورية العربية المتحده وسورية بتاريخ أول مايس (مايو) ١٩٦٧ .

واجتمعت القيادة السياسية بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق فى القاهرة بتاريخ ٢١ مايس « مايو » ١٩٦٧ ، وقررت مساهمة العراق بارسال قوة برية وطائرات للاشتراك مع الجيش المصرى فى سيناء ؛ وقد تحركت القوة البرية العراقية من بغداد إلى القاهرة بالطائرات بتاريخ ٣١ مايس « مايو » ١٩٦٧ .

وفى ٣٠ مايس « مايو » ١٩٦٧ ، جرى اتفاق ثنائى بين الجمهورية العربية المتحدة والأردن .

ووافق العراق على هذه الإتفاقية هاتفياً وأرسل قطعاته العسكرية إلى الأردن ، فوصلت طلائعها الجبهة يوم ٦ حزيران ١٩٦٧ .

ومن الواضح أنّ هذه الاتفاقيات العسكرية الثنائية والثلاثية جاءت متأخرة جداً ، كما أنها لم تشمل العرب كلهم ، لذلك لم تستطع كل الدول العربية حشد قواتها العسكرية فى الزمان والمكان المناسبين لمجابهة إسرائيل فى حرب ٥ حزيران « يونيو » ١٩٦٧ .

فما هى الدروس التى يمكن أن نضعها أمام العرب للاستفادة منها فى حاضرهم ومستقبلهم العسكرى ؟

(أ) إنّ الجامعة العربية بأجهزتها الراهنة لايمكن أن تنهض بالوحدة

العسكرية أو التعاون العسكري ، وبالأمكان تعديل ميثاق الجامعة العربية لتكون أكثر فائدة للعرب فى ظروفهم الراهنة .

ولعلّ تعيين أمين عام للجامعة العربية من العسكريين ذوى الكفاية العسكرية العالية والماضى المجيد ، يؤدى إلى التركيز على أهمية الوحدة العسكرية العربية والعمل من أجلها على هدى وبصيرة .

وسنتطرق بالبحث إلى : كيف يمكن أن تصبح الجامعة العربية قيادة سياسية وعسكرية عربية ـ .

(ب) إنّ التضامن العربى والتعاون العربى عسكرياً ، لا يمكن أن يتقدم خطوة واحدة إلى الأمام أو يفيد العرب ، ما لم توحد الجيوش العربية بكل مافى الوحدة العسكرية من معان .

(ح) إنّ القيادة العربية الموحدة هى النواة الصالحة لوضع الوحدة العسكرية العربية فى حيز التنفيذ .

وهذه القيادة ليست البديل للوحدة العسكرية ولكنها أول الطريق إليها . لذلك فلابد من دعم هذه القيادة مادياً ومعنوياً .

(ء) الوحدة العسكرية العربية بدون قيادة سياسية تخفق حتماً .

فلابد من العمل على تكوين قيادة عربية سياسية تكون القيادة العربية الموحدة التى تقود الوحدة العسكرية العربية مرتبطة بها .

(هـ) أصبح انبثاق الوحدة العسكرية قضية مصيرية للعرب فى حاضرهم ومستقبلهم .

وقد ضيّع العرب وقتهم الثمين من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ سدى فى فى المعاهدات العسكرية التى عقدت باشراف الجامعة العربية وفى الاتفاقيات العسكرية الثنائية والثلاثية .

ولعل نتائج حرب ١٩٦٧ خير دليل على ذلك .

فكيف تكون الوحدة العسكرية العربية ؟ .

وكيف تكون القيادة السياسية التى تعمل القيادة العربية الموحدة بتوجيها ؟

ذلك ماتقرره المؤتمرات العسكرية العربية .

الملحق (أ)

معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى

بين دول الجامعة العربية

إنّ حكومات : —

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة الأردنية الهاشمية .

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العراقية .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية .

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة المصرية .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة المتوكلية اليمنية .

رغبة منها فى تقوية الروابط وتوثيق التعاون بين دول الجامعة العربية حرصاً على استقلالها ومحافظة على تراثها المشترك .

واستجابة لرغبة شعوبها فى ضم الصفوف لتحقيق الدفاع المشترك عن كيانها وصيانة الأمن والسلام وفقاً لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة ولأهدافها ، وتعزيزاً للاستقرار والطمأنينة وتوفير أسباب الرفاهية والعمران فى بلادها .

قد اتفقت على عقد معاهدة لهذه الغاية وأنابت عنها المفوضين الآتية أسماؤهم : —

عن المملكة الأردنية الهاشمية ! ! .

عن الجمهورية السورية — صاحب الدولة الدكتور ناظم القدسي بك — رئيس الوزراء .

عن المملكة العراقية — صاحب الفخامة السيد نورى السعيد — رئيس الوزراء .

عن المملكة العربية السعودية — صاحب المعالى الشيخ يوسف ياسين وزير الدولة ونائب وزير الخارجية .

عن الجمهورية اللبنانيـــة — صاحب الدولة رياض بك الصلح — رئيس مجلس الوزراء .

عن المملكة المصرية — صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا — رئيس مجلس الوزراء ومعالى الدكتور محمد صلاح الدين بك ـ وزير الخارجية .

عن المملكة المتوكلية اليمانية ـ سعادة السيد على المؤيد المندوب الدائم لدى الجامعة العربية .

الذين بعد تبادل وثائق التفويض التى تخولهم سلطة كاملة والتى وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل قد اتفقوا على ما يأتى : ـ

المادة الأولى :

تؤكد الدول المتعاقدة حرصاً على دوام الأمن والسلام واستقرارهما عزمها على فضّ جميع منازعاتها الدولية بالطرق السلمية سواء فى علاقاتها المتبادلة فيما بينها أو فى علاقاتها مع الدول الأخرى .

المادة الثانية :

تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلّح يقع على أية دولة أو أكثر منها أو على قواتها اعتداء عليها جميعاً . ولذلك فإنها عملا بحق الدفاع الشرعى

الفردى والجماعى ـ عن كيانها تلتزم بأن تبادر إلى معونة الدولة أو الدول المعتدى عليها ، وبأن تتخذ على الفور منفردة ومجتمعة جميع التدابير وتستخدم جميع ما لديها من وسائل بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما .

وتطبيقاً لأحكام المادة السادسة من ميثاق جامعة الدول العربية والمادة الحادية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة يخطر على الفور مجلس الجامعة ومجلس الأمن بوقوع الاعتداء وما اتخذ فى صدده من تدابير وإجراءات .

المادة الثالثة :

تتشاور الدول المتعاقدة فيما بينها بناء على طلب إحداها كلما هُددت سلامة أراضى أية واحدة منها أو استقلالها أو أمنها .

وفى حالة خطر حرب داهم أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها ، تبادر الدول المتعاقدة على الفور إلى توحيد خططها ومساعيها فى اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التى يقتضيها الموقف .

المادة الرابعة :

رغبة فى تنفيذ الالتزامات السالفة الذكر على أكمل وجه ، تتعاون الدول المتعاقدة فيما بينها لدعم مقوماتها العسكرية وتعزيزها . وتشترك بحسب مواردها وحاجاتها فى تهيئة وسائلها الدفاعية الخاصة والجماعية لمقاومة أى إعتداء مسلح .

المادة الخامسة :

تؤلف لجنة عسكرية دائمة من ممثلى هيئة أركان حرب جيوش الدول المتعاقدة لتنظيم خطط الدفاع المشترك وتهيئة وسائله وأساليبه .

وتحدد فى ملحق هذه المعاهدة اختصاصات هذه اللجنة الدائمة بما فى ذلك وضع التقارير اللازمة المتضمنة عناصر التعاون والاشتراك المشار

إليهما فى المادة الرابعة ، وترفع هذه اللجنة الدائمة تقاريرها عما يدخل فى دائرة أعمالها إلى مجلس الدفاع المشترك المنصوص عنه فى المادة التالية .

المادة السادسة :

يؤلف تحت إشراف مجلس الجامعة مجلس الدفاع المشترك يختص بجميع الشؤون المتعلقة بتنفيذ أحكام المواد ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ من هذه المعاهدة ويستعين على ذلك باللجنة العسكرية الدائمة المشار إليها فى المادة السابقة .

ويتكون مجلس الدفاع المشار إليه من وزراء الخارجية والدفاع الوطنى للدول المتعاقدة أو من ينوبون عنهم .

ومايقرره المجلس بأكثرية ثلثى الدول يكون ملزماً لجميع الدول المتعاقدة

المادة السابعة :

استكمالا لأغراض هذه المعاهدة وما ترمى إليه من إشاعة الطمأنينة وتوفير الرفاهية فى البلاد العربية ورفع مستوى المعيشة فيها ،تتعاون الدول المتعاقدة على النهوض باقتصاديات بلادها واستثمار مرافقها الطبيعية وتسهيل تبادل منتجاتها الوطنية والزراعية والصناعية ، وبوجه عام على تنظيم نشاطها الاقتصادى وتنسيقه وإبرام ما تقتضيه الحال من اتفاقات خاصة لتحقيق هذه الأهداف .

المادة الثامنة :

ينشأ مجلس اقتصادى من وزراء الدول المتعاقدة المختصين بالشؤون الاقتصادية أو من يمثلونهم عند الضرورة لكى يقترح على حكومات تلك الدول ما يراه كفيلا بتحقيق الأغراض المبينة فى المادة السابقة .

وللمجلس المذكور أن يستعين فى أعماله بلجنة الشؤون الاقتصادية .

المادة التاسعة :

يعتبر الملحق المرفق بهذه المعاهدة جزءاً لا يتجزأ عنها .

المادة العاشرة :

تتعهد كل من الدول المتعاقدة بأن لا تعقد أى اتفاق دولى يناقض هذه المعاهدة ، وبأن لا تسلك فى علاقاتها الدولية مع الدول الأخرى مسلكاً يتنافى مع أغراض هذه المعاهدة .

المادة الحادية عشر :

ليس فى أحكام هذه المعاهدة مايمس أو يقصد به أن يمس بأية حال من الأحوال الحقوق والالتزامات المترتبة أو التى تترتب للدول الأطراف فيها بمقتضى ميثاق هيئة الأمم المتحدة أو المسؤوليات التى يضطلع بها مجلس الأمن فى المحافظة على السلام والأمن الدولى .

المادة الثانية عشرة :

يجوز لأية دولة من الدول المتعاقدة بعد مرور عشر سنوات من نفاذ هذه المعاهدة أن تنسحب منها فى نهاية سنة من تاريخ إعلان انسحابها إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

وتتولى الأمانة العامة إبلاغ هذا الإعلان إلى الدول المتعاقدة الأخرى .

المادة الثالثة عشرة :

يصدق على هذه المعاهدة وفقاً للاوضاع الدستورية المرعية فى كل من الدول المتعاقدة وتودع وثائق التصديق لدى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية . وتصبح المعاهدة نافذة من قبل من صدّق عليها بعد انقضاء خمسة

عشر يوماً من تاريخ استلام الأمانة العامة وثائق تصديق أربع دول على الأقل .

حررت هذه المعاهدة باللغة العربية فى الاسكندرية بتاريخ ٢ رمضان المبارك سنة ١٣٦٩ الموافق ١٧ يونية سنة ١٩٥٠ من نسخة واحدة تحفظ فى الأمانه العامة لجامعة الدول العربية و تسلم صور منها مطابقة للأصل لكل دولة من الدول المتعاقدة .

الملحق العسكرى

البند الأول

تختص اللجنة العسكرية الدائمة المنصوص عليها فى المادة الخامسة من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية بالأمور الآتية :-

أ - إعداد الخطط العسكرية لمواجهة جميع الأخطار المتوقعة أو أى إعتداء مسلح يمكن أن يقع على دولة أو أكثر من الدول المتعاقدة أو على قواتها ، وتستند فى إعداد هذه الخطط على الأسس التى يقررها مجلس الدفاع المشترك .

ب - تقديم المقترحات لتنظيم قوات الدول المتعاقدة ولتعيين الحد الأدنى لقوات كل منها حسبما تمليه المقتضيات الحربية وتساعد عليه إمكانيات كل دولة .

ج - تقديم المقترحات لزيادة كفاية قوات الدول المتعاقدة من حيث تسليحها وتنظيمها وتدريبها لتتمشى مع أحدث الأساليب والتطورات العسكرية ، وتنسيق كل ذلك وتوحيده .

د - تقديم المقترحات لاستثمار موارد الدول المتعاقدة الطبيعية والصناعية والزراعية وغيرها وتنسيقها لصالح المجهود الحربى والدفاع المشترك .

هـ - تنظيم تبادل البعثات التدريبية وتهيئة الخطط للتمارين والمناورات المشتركة بين قوات الدول المتعاقدة وحضور هذه التمارين والمناورات ودراسة نتائجها بقصد اقتراح مايلزم لتحسين وسائل التعاون فى الميدان بين هذه القوات والبلوغ بكفايتها إلى اعلى درجة .

و ـ إعداد المعلومات والأحصائيات اللازمة عن موارد الدول المتعاقدة وإمكانياتها الحربية ومقدرة قواتها فى المجهود الحربى المشترك .

ز ـ بحث التسهيلات والمساعدة المختلفة التى يمكن أن يطلب إلى كل من الدول المتعاقدة أن تقدمها وقت الحرب إلى جيوش الدول المتعاقدة الأخرى العاملة فى أراضيها تنفيذاً لأحكام هذه المعاهدة .

البند الثانى

يجوز للجنة العسكرية الدائمة تشكيل لجان فرعية دائمة أو مؤقتة من بين أعضائها لبحث أى موضوع من الموضوعات الداخلة فى نطاق اختصاصها.

ولها أن تستعين بالاخصائيين فى أى موضوع من هذه الموضوعات ترى ضرورة الاستعانة بخبرتهم أو برأيهم فيه .

البند الثالث

ترفع اللجنة العسكرية الدائمة تقارير مفصلة عن نتيجة بحوثها وأعمالها إلى مجلس الدفاع المشترك المنصوص عليه فى المادة السادسة من هذه المعاهدة ، كما ترفع إليه تقارير سنوية عما أنجزته خلال العام من هذه البحوث والأعمال .

البند الرابع

تكون القاهرة مقر اللجنة العسكرية الدائمة ، وللجنة مع ذلك أن تعقد اجتماعاتها فى أى مكان آخر تعينه ، وتنتجب اللجنة رئيسها من بين أعضائها لمدة عامين ويمكن تجديد انتخابه ، ويشترط فى الرئيس أن يكون على الأقل من الضباط القادة (من الضباط العظام) .

ومن المتفق عليه أن يكون جميع أعضاء هذه اللجنة من ذوى الجنسية الأصلية لاحدى الدول المتعاقدة .

البند الخامس

تكون القيادة العامة لجميع القوات العاملة فى الميدان من حق الدولة التى تكون قواتها المشتركة فى العمليات أكثر عدداً وعُدّة من كل من قوات الدول الأخرى ، إلاّ إذا تم اختيار القائد العام على وجه آخر باجماع آراء حكومات الدول المتعاقدة .

ويعاون القائد العام فى إدارة العمليات الحربية هيئة ركن مشتركة .

جامعة الدول العربية

الأمانة العامة — ٢ فبراير ١٩٥١

الإدارة السياسية — القاهرة فى ٢٥ ربيع الثانى ١٣٧٠

برتوكول إضافى

تؤلف هيئة استشارية عسكرية من رؤساء أركان حرب جيوش الدول المتعاقدة للاشراف على اللجنة العسكرية الدائمة المنصوص عليها فى المادة الخامسة من المعاهدة ولتوجيهها فى جميع اختصاصاتها المبينة فى البند الأول من الملحق العسكرى .

وتعرض عليها تقارير اللجنة العسكرية الدائمة ومقترحاتها لإقرارها قبل رفعها إلى مجلس الدفاع المشترك المنصوص عليه فى المادة السادسة من المعاهدة .

وتقوم الهيئة الاستشارية العسكرية برفع تقاريرها ومقترحاتها عن جميع وظائفها إلى مجلس الدفاع المشترك للنظر فيها واقرار ما يقتضي الحال إقراره منها .

ويكون لهذا البروتوكول من قبل الدول الموقعة عليه نفس القوة والأثر اللذين للمعاهدة وملحقها وخاصة فيما يتعلق بتنفيذ أحكام المادتين الخامسة والسادسة من المعاهدة والبند الثالث من ملحقها العسكري .

المؤتمرات العسكرية العربية

العجيب من أمر العرب، أنهم يعرفون جميعاً، أنّ ما حدث في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ أصابهم بنكسة قاصمة للظهر كما يقول بعضهم، أو نكبة لا مثيل لها في تاريخهم كما يقول آخرون، هي مشكلة عسكرية قبل كل شيء، وأنّ معالجة هذه النكسة أو النكبة لا تكون إلاّ باستخلاص العبر والدروس منها، والعمل الدائب الجادوفق تخطيط علمي سليم وتدبير منطقي معقول لتدارك الأخطاء العسكرية الجسيمة التي وقعت فيها الجيوش العربية في تلك الحرب.

والغريب من أمر العرب أيضا، أنهم يعرفون جميعا أنّ العبر والدروس العسكرية لا يمكن استخلاصها إلاّ بمشاورات عسكرية على مستوى عالٍ وفي نطاق الأمة العربيـــة كلها لا في نطاق قطري محدود أو محليّ ضيِّق، ثم لا يقدمون على جمع كفاياتهم العسكرية التي لا غبار عليها علماً وإخلاصاً وتجربة في مؤتمر واحد في مكان واحد، لتدارس الأخطاء العسكرية، واستنتاج العبر والدروس منها، ووضع الحلول الجذرية لملافاتها في المستقبل القريب والبعيد.

والعجيب الغريب، أنّ العرب منذ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ حتى اليوم لم يحاولوا أن يعقدوا مؤتمراً واحداً للعسكريين العرب - على النطاق العربي لدراسة أسباب النكسة أو النكبة واستخلاص العبر والدروس منها، ووضع المقترحات اللازمة لمعالجتها.

ترى! أكان ذلك عن خطأ في التدبير والتقدير، أم كان ذلك عن إهمال متعمد مقصود؟!

وإذا كان الاختلاف في الرأي رحمة في القضايا التي تحتمل الاختلاف

فى الرأى لصعوبتها على الأفهام واستعصائها على العقول ، فإن الاختلاف فى القضايا البديهية المسلّم بها لا يمكن أن يعتبر اختلافاً فى وجهات النظر ، بل يعتبر شيئاً آخر غير اختلاف وجهات النظر ، وهو على كل حال لا يأتى بخير ولا يؤدى إلى خير .

اندحار العرب عام ١٩٦٧ ، اندحار عسكرى قبل كل شيء .

والعسكريون وحدهم هم الذين يقدّرون أسباب هذا الاندحار ، فأهل مكّة أعرف بشعابها .

فلماذا عقدت اجتماعات ومؤتمرات عربية فى شتى المجالات وفى مختلف البقاع ، ولم يعقد اجتماع أو مؤتمر واحد للعسكريين على النطاق العربى حتى اليوم ؟! .

عقد فى الخرطوم مؤتمر لوزراء الخارجية ، وعقد فى بغداد مؤتمر لوزراء النفط والمال ، وعقد فى الكويت مؤتمر لوزراء الخارجية أيضا ، وعقد فى الخرطوم مؤتمر القمة ، ونافس أكثر مسؤولى العرب ابن جبير وابن بطوطة فى رحلاتهم إلى الأقطار العربية وإلى البلدان غير العربية ..

وسافرت وفود عربية إلى الدّول الاسلامية ، وقدم البلاد العربية وفود من الدول الإسلامية ، وعقد فى عمان مؤتمر إسلامى ، كما عقد فى القاهرة ومكّة المكرمة مؤتمران اسلاميان .

وأتساءل الآن : «كم هى نفقات السفرات التى جاوزت الحصر ، وكم هى نفقات المآدب والحفلات التى أقيمت على شرف الوفود ، والعرب كرماء يبذلون فى المآدب والحفلات نفقات طائلة ؟» .

ثم : «كم عدد الطائرات التى يمكن ان تشترى بثمن كل هذه النفقات ؟» .

لقد كان المتوقع من العرب أن يطبّقوا على أنفسهم أشدّ أنواع التقشف ليقتصدوا كل فلس وكل درهم وكل دينار للمجهود الحربي العربي .

ولكنّ العرب - مع الأسف الشديد - عادوا إلى ما كانوا عليه قبل النكسة إسرافاً وتبذيراً ، وكأنّ شيئاً لم يحدث في بلادهم على الإطلاق !

ولو كان هناك إحساس حقيقيّ ، لشدّوا البطون ولا لتحفوا الثرى ، ولتركوا الترف ، حتى يعود إليهم شرفهم وتعود إليهم الأرض المقدسة والقدس الشريف .

— ٢ —

والمؤتمر العسكري الذي أطالب بعقده على النطاق العربي على أن يكون أعضاؤه على مستوى الأحداث علماً وكفاية وتجربة وخلقاً كريماً ، لابدّ من أن تكون له الأسبقية على كل مؤتمرات العرب الأخرى .

وليس عقد هذا المؤتمر سهلاً كما يخيَّل لقسم من الناس ، بل هو من أصعب الأمور وأشدّها حساسية وأهمية؛ لذلك أريد أن يُعقد مؤتمر تمهيدي له ، يضم ضباطاً من كل قطر عربي ، مهمته إعداد ما يجب تدارسه في المؤتمر العسكري الرئيس الذي يضم أعلى المستويات العسكرية في البلاد العربية مسئولية ومنزلة وخبرة وإخلاصاً .

ومن الواضح أنّ عقد كل مؤتمر ليس (غاية) بل (وسيلة) لتحقيق أهداف معينة تفيد العرب في حاضرهم ومستقبلهم .

ولكي يكون المؤتمر مفيداً ، لابدّ من الإعداد له سلفاً بالدراسات والبحوث .

بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، كان لابدّ من إجراء دراسات مستفيضة صريحة عن : أسباب النكسة ، والحلول الجذرية لعدم تكررها

فى المستقبل القريب أو البعيد[1].

وليس من الضرورى أن يقتصر المؤتمر على العسكريين الرسميين ، بل لابدّ من أن يشمل اللامعين من العسكريين — خاصة الذين شهدوا حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، والذين هم خارج الخدمة العسكرية فى الوقت الحاضر .

والذى ألاحظهُ هو أنّ المؤتمرات العربية على مختلف أنواعها لاتؤدى واجبها المطلوب غالباً ، أو يكون نصيبها الاخفاق التام ، لأنّ طابع الارتجال هو السائد عليها .

وأكثر المؤتمرات عليها طابع الترفيه للمؤتمرين : يقضون ردحاً من الزمن فى أحد الأقطار العربية ، ويرتادون الملاهى والمقاصف ، ويشهدون الحفلات والدعوات ، ويقبلون على شراء الهدايا والحاجيات ، ويكادون يفعلون كل شىء إلاّ الواجب الذى من أجله عقد مؤتمرهم أو مؤتمراتهم !

وحين يبلَّغ القطر العربى بوعد انعقاد المؤتمر ومكانه ، يجرى اختيار أعضاء الوفد بسرعة خاطفة وبصورة مرتجلة ، ويكون لرئيس الوفد الكلمة الأولى فى اختيار الأعضاء ، الذين يكونون غالباً من أحبابه المقربين ، من الذين لايتوقع أن يلقى منهم معارضة أو عملاً جدّياً . ! !

فإذا صادف أن كان أحد أعضاء الوفد من المخلصين الحريصين ، وطالب رئيس الوفد بإيضاح مفصّل للمهمة التى سينهض بها الوفد ، أجابه رئيس الوفد بكل وقار واتّزان : سنتذاكر فى الأمر بعد وصولنا إلى القطر العربى الشقيق !

---

(١) فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) كان عسكريون من الحلفاء والمحور يعقدون مؤتمراً عسكرياً على مستوى عال من الخبراء ، لاستخلاص الدروس والعبر ، وتطوير التدريب والتسليح والتنظيم فوراً بالنسبة لتلك العبر والدروس .

كما كان الخبراء العسكريون يعقدون مؤتمراً بعد كل معركة فى حرب كوريا وفيتنام لنفس الغرض ولنفس الأهداف .

ويصل الوفد العربي برعاية الله وعنايته بالدرجة الأولى من طائرات الخطوط الجوية أو بطائرات خاصة ، ويحل ضيفاً على الحكومة العربية الشقيقة في قصر من القصور أو في فندق من فنادق الدرجة الأولى ، وهناك يعيد عضو الوفد العربي المخلص الحريص الكرة على رئيس الوفد مطالباً إياه بايضاح عن المهمة التي جاء الوفد من أجلها ، فيقول له رئيس الوفد : القضية بسيطة ، في الاجتماع سنرى مايطرح للمناقشة ، وفي حينه سيكون الجواب حاضراً !!! .

وفي اجتماعات المؤتمر ، يدير دفّة الأمور فيها غالباً ، أحد ممثلي الوفود العربية الذي يكون قد أعدّ للامر عدّته ، أما بقية الوفود ، فيكون موقفهم موقف المتفرج أو موقف الذي يبدي موافقته على كل شيء .

وقد تبرم اتفاقية ما ، ثم يعود الوفد إلى بلاده وهو لم يفهم شيئاً عن فحوى الاتفاقية حتى ولا عن خطوطها العريضة .

من هنا ، لاتلتزم كثير من الدول بالاتفاقيات ، وتضرب بها عرض الحائط ، ولا تنفّذ بنداً من بنودها .

القضية هزل لاجد فيه إذا بقيت الأمور تسير على هذا المنوال .

والذي أريده ، أن تكون القضية جداً لاهزل فيه .

فإذا أراد العرب أن تكون مؤتمراتهم واجتماعاتهم وسفراتهم وزياراتهم فيها فائدة حقيقية ، فما عليهم إلاّ أن يلاحظوا مايلي نصاً وروحاً :

أ ـ التبليغ بموعد عقد المؤتمر ـ قبل مدة كافية لإجراء اختيار الوفد العربي وعقد المؤتمرات التمهيدية استحضاراً لعقد المؤتمر الرئيس .

ب ـ عقد اجتماع تمهيدي لأعداد كل ما يجب أن يناقش في المؤتمر الرئيس بصورة تفصيلية .

ج - اختيار أعضاء الاجتماع التمهيدى من ذوى الاختصاص الذين يهمهم مصير هذه الأمة أكثر مما يهمهم أمر أنفسهم وترفيهها .

د - اختيار أعضاء الاجتماع الرئيس من ذوى الكفايات العالية والاخلاص النادر والاستقامة المثالية ، ومن الذين يضحون بمصالحهم الشخصية من أجل أمتهم ولا يضحون أمتهم من أجل مصالحهم الشخصية ، وأن يكون مع الوفد دراسات مستفيضه تستوعب كل شيء .

هـ - أن تلتزم الدول العربية بالمقررات التزاماً كاملاً ، وألا تنحرف عنها قيد أنمله ، وأن لا تكون تلك المقررات عرضة للأهواء والنزوات .

إنّ عــدم الالتزام بالمقررات فيما سبق ، جعل العرب لا يثقون بمؤتمراتهم كما ينبغى .

— ٣ —

إنّ المؤتمرات العالمية النّاجحة ، هى التى أعدّت لها الدراسات والبحوث مسبّقاً ، وقد يستغرق الاعداد لمؤتمر مصيرى ما سنين طويلة ، وربما يستغرق المؤتمر نفسه أياماً قليلة لا تساوى عدد السنين التى صرفت للاستحضار والاعداد للمؤتمر .

مثلاً المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى (بازل) ، جرى الاعداد له سنين طويلة ، فلما عقد عام ١٨٩٧ أياماً معدودات ، كتب مرتزل فى مذكراته : « اليوم ولدت دولة إسرائيل » .

ومؤتمر الصلح الذى عُقد بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) جرى الإعداد له منذ أوائل تلك الحرب ، وجرى تقسيم مناطق النفوذ بين الدول الكبرى قبل أن تضع الحرب أوزارها . إنّ عقد المؤتمر ليس مهماً كالاعداد له ضماناً لنجاحه ، والعبرة ليست بكثرة المؤتمرات بل بنجاحها .

تلك لمحات عن المؤتمرات العربية بصورة عامة ، أما المؤتمرات العسكرية فليست أقل أهمية من المؤتمرات السياسية والاقتصادية ... إلخ ، بل هي أكثر أهمية من كل مؤتمر عربي آخر ، لأنها مؤتمرات مصيرية أولاً ولأن المحافظة على الكتمان الشديد في إعدادها وفي اجتماعاتها الرئيسة وفي مقرراتها ضرورية جداً ، بينما قد لا يشترط في المؤتمرات غير العسكرية درجة عالية من الكتمان الشديد .

ومن منطلق أهمية الكتمان ، ولأن المؤتمرات العسكرية ذات أثر مصيري على العرب - خاصة بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، فلابد من أن يكون الضباط الذين يعدون الدراسات لعقد كل مؤتمر عسكري حائزين على الشروط التالية :

أ - الخبرة الدقيقة التفصيلية في المعلومات العسكرية النظرية والعملية .

ب - التجربة العملية الموفقة في القيادات العسكرية ، وتولي المناصب القيادية عملياً في الحرب والسلام .

جـ - الحرص الشديد والدأب على العمل المتواصل البناء .

د - الكتمان الشديد ، فكأنه لا يرى ولا يسمع ، يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره عن كل كلمة يقولها وكل عمل يقوم به .

هـ - التحلي بالخلق الكريم والتمسك بالمثل العليا ، فليس ضابطاً من يعاني انهياراً خلقياً أو يستهتر بالمثل العليا .

لقد انتصر أجدادنا بأخلاقهم المحاربة التي قوامها الدين الحنيف .

و - ألا يكون أنانياً يحب التظاهر ويحب أن يحمد على حساب غيره .

ز - النزاهة المطلقة ، ولو خُيِّر بين الموت وبين تلويث ذمته ، لاختار الموت على الحياة بدون تردد .

ح ـ الإخلاص المطلق لعقيدته وتربة وطنه وشرفه .

ط ـ الماضي المجيد ، يحرص عليه ويحاول ترصينه ، ويخشى عليه النائبات .

أما الذين يشهدون المؤتمر الرئيس ، لوضع الدراسات العسكرية في حيّز التنفيذ ، ولوضع صيغ الاتفاقات العسكرية في صيغتها النهائية ، ثم النهوض بأعبائها وتطبيقها في بلادهم فيما يخص جيشهم بالذات ، أي في محيطهم القطري ، وتطبيقها في النطاق العربي الشامل ، فلابد من أن يكونوا حائزين على الشروط التالية بالإضافة إلى الشروط التي مرّ ذكرها في صفات الذين يُعدّون الدراسات لعقد المؤتمرات العسكرية :

أ ـ أن يكون (القادة) قد تدرّجوا في مناصبهم القيادية حتى وصلوا إلى أعلى الرتب العسكرية بالتدريج لا بالهبات والبرقيات الاستثنائية .

إنّ حمل الرتب الكبيرة لا يمكن أن يضفي على الضابط تجربة وعلماً ، فالزّمن وحده هو الذي يجعل الضابط مجرباً ، والدراسات المتواصلة والاشتراك في الحروب الفعلية وفي التمارين العسكرية وفي الدورات التدريبية هي التي تجعل الضابط عالماً .

وكلّ قول يخالف ذلك إدّعاء وهراء .

ب ـ أن يكون (القادة) من اللاّمعين في مهنتهم ؛ فالزّمن وحده ، والدّراسات وحدها لا تجعل من الضابط قائداً حقا .

إنّ من النادر أن يلمع الضابط فيصل إلى أعلى الرتب ويكون قائداً مظفراً ، واللاّمعون دائما قليلون .

قال ضابط فرنسي لنابليون : « إنني حرمت من الترقية ، وقد أصبح الطلاّب الذين كانوا رفقاء لي في الكلية العسكرية ألوية ، وبقيت وحدي

رائداً حتى اليوم ، وقد شهدت معك كل المعارك وعبرت معك جبال الألب» وابتسم نابليون وقال للضابط : «إنّ بغلى عبر أيضا معى الألب» .

جـ ـ أن يكون (القادة) لهم حاسة سوقيّـة (استراتيجية) ، ليستطيعوا توقـّع ما يمكن أن يفعله عدوهم فى الحرب ، أى أنّ (القادة) يجب أن يسبقوا الحوادث ، ويعدّوا لها ما يجب من خطط متينة رصينة ناجحة .

إنّ وجود (قادة) عسكريين فى القيادات العليا ، دون أن تكون مؤهلاتهم القيادية عالية جداً ـ خاصة بعد حرب ١٩٦٧ ، هو فى مصلحة العدوّ دون أدنى شك .

وأوّل إصلاح للجيوش العربيّـة ، يجب أن يبدأ أولاً باصلاح القيادة العسكرية ، وأن يوضع كل قائد فى مكانه الصحيح ، دون أقل عاطفة تؤدّى إلى وضع القائد غير المناسب فى المنصب الذى لا يستحقه .

وإذا كان الطبيب الجاهل يودى بحياة الأفراد ، فإنّ القائد الجاهل يودى بحياة العشرات وعشرات العشرات والألوف وعشرات الألوف .

وأعظم من الخسائر المادية ، هى الخسائر المعنوية ، وعلى رأسها شرف الأمة وكفى . . . .

والقائد الحق هو الذى يضع الخطط السليمة والاتفاقيات السديدة ، وهو الذى يلتزم بشرف الكلمة والعمل فيطبّـق مايبرم ويبر بما يعد .

إنّ العرب منذ عام ١٩٤٨ حتى اليوم ، عانوا ماعانوا من ضعف القيادة العسكرية ومن ضعف الاتفاقيات والمؤتمرات العسكرية ، ومن النكوص عن تطبيقها بالرّغم من ضعفها .

إنّ قياداتهم الهزيلة لم تستطع أن تعدّ جيوشهم للحرب ، ولم تستطع قيادتها فى الحرب ، فحلّت بالعرب نكسة قاصمة للظهر فى حرب ١٩٦٧ .

والقيـادات العسكرية الحقّـة هى التى تغير الموقف العسكرى للعرب من حال إلى حال ، وهى التى تقود العرب إلى النصر ، وهى التى تجمع

صفوف الجيوش العربية فى جيش واحد يعمل لهدف واحد تحت قيادة واحدة .

— ٤ —

فكيف يجرى عقد هذا المؤتمر العسكرى ؟

الجامعة العربية تدعو إلى عقده، والأمين العام المساعدالعسكرى بمعاونة اللجنة العسكرية الدائمة يعمل على إحضار الدراسات والبحوث لهذا المؤتمر، ويهيء جدول أعماله ويكون مسؤولاً عن تنسيق مقرراته ووضعهافى حيّز التنفيذ على النطاق العربى .

وفى الأقطار العربية يجرى إعداد مؤتمر عسكرى تمهيدى فى كل قطر لإعداد الدّراسات العسكرية والبحوث لهذا المؤتمر .

وبعد إنجاز هذه الدراسات والبحوث ، يناقشها ممثلو القطر العربى الذين سيحضرون المؤتمر العسكرى العربى .

وعندما يعقد المؤتمر العسكرى العربى على النطاق العربى ، يكون ممثلو الأقطار العربية قد استحضروا لهذا المؤتمر وأعدّوا له عدّته ، حتى يكون حضورهم مفيداً لوطنهم أولاً وللوطن العربى ثانياً .

والمؤتمر العسكرى العربى المقترح ، أمامه الواجبات التالية :

أ ـ مناقشة أسباب النكسة بصراحة تامة وتثبيت تلك الأسباب .

ب ـ وضع الحلول الجذرية للاخطاء التى أدّت إلى النكسة والعمل على تقويم تلك الأخطاء وتلافيها على النطاقين القطرى والعربى .

ح ـ دراسة أسباب إخفاق القيادة العربية الموحدة ، والعمل على دعم تلك القيادة مادياً ومعنوياً .

د ـ دراسة كيفية قلب الجامعة العربية إلى حلف سياسى وعسكرى لتكون عند مسؤوليتها التاريخية فى هذه الظروف الحرجة التى تجتازها الأمة العربية .

هـ ـ لعل من أهم أسباب النكسة هو : عدم حشد كل الطاقات المادية والمعنوية للعرب من أجل مجابهة إسرائيل .

والسبيل إلى حشد تلك الطاقات : هى . إقرار الوحدة العسكرية العربية وإيجاد قيادة سياسية عربية مسؤولة ترتبط بها القيادة العربية الموحدة .

فما هى أهمية الوحدة العسكرية العربية ؟

❦❦❦

أهمية الوحدة العسكرية العربية

- ١ -

قبل أن أبدأ فى كتابة هذا الفصل من هذا الكتاب ، كنت أشاهد المذياع المصور[١] ، فرأيت شاعراً يلقى قصيدة عصماء عن : إنقاذ فلسطين ، ثم رأيت مغنية تغنى بعد ذلك الشاعر أغنية عاطفية تأمر بالفحشاء وتحث على الفسوق .

وما هكذا تورد ياسعد الأبل ... ! ما هكذا ..

كل قصائد الدنيا ، وكل خطب العالم ، وكل الأغانى .. ، لا يمكن أن تنقذ فلسطين ، إذا اقتصر العرب على القصائد والخطب والأغانى وحدها .

بل لا يسر إسرائيل شىء كما يسرها اقتصار العرب على القصائد والأغانى والخطب ، ودون أن يعدّوا الحربها مايستطيعون من قوة مادية ومعنوية .

إسرائيل استطاعت أن تنتصر على العرب بالقوة ، والعرب لا ينتصرون على إسرائيل إلاّ بالقوة ، وقديماً قالوا . لا يفلّ الحديد إلاّ الحديد .

ولكن ...

أليس من العجيب الغريب ، أن تعمل الأقلام الاسرائيلية فى مجال تطوير الأسلحة وابتكار أسلحة الدمار ، وتعمل الأقلام فى بلاد العرب لنظم الشعر البليغ والأغانى الفاجرة ؟

- والنتيجة المتوقعة التى لاتخطىء هى : عندما نقابل الطائرات بالشّعر ، والدبّابات بالأغانى ، فإنّ النصّر لايكون فى جانبنا ، بل يكون بجانب من يمتلك الطائرات والدبابات ...

---

(١) كلمة وضعناها للتليفزيون .

إنّ الجهاد بالمال ، والجهاد بالنفس ، والجهاد بالقلم ، وحتى الجهاد باللسان كلّها ضرورية لأحراز النصر .

ولو أنّ العرب جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأقلامهم وألسنتهم، لانتصروا على إسرائيل انتصاراً ساحقاً ، ولقال يهود كما قال أسلافهم من قبل : « إنّ فيها قوماً جبارين » .

إنّ العرب كثيرون بلا نظام ؛ واليهود قليلون بنظام ، فكان انتصار إسرائيل على العرب انتصار (نظام) لا مراء .

— ٢ —

كانت الشعوب قبل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) تعتمد على جيوشها فى الحرب ، فالجيوش وحدها هى العامل المهم التى تجعل أعلام النصر ترفرف فى جهة ، وهى العامل المهم التى تجعل رايات الهزيمة ترفرف فى جهة أخرى .

ولكن بعد ظهور القوة الجوية والأسلحة ذات المديات الشاسعة ، وأخيراً ظهور الأسلحة النووية والصواريخ عابرات القارات ، لم يبق الجيش وحده مسؤولاً عن إحراز النصر ، بل أصبح الشعب كله بما فيه من طاقات مادية ومعنوية مسؤولاً عن إحراز النصر ، ولو أن الجيش بقى حتى اليوم رأس الرمح الذى يخوض المعارك ويستثمر الفوز .

لقد أصبحت الحرب ابتداء من الحرب العالمية الثانية حرباً إجماعية .

والحرب الاجماعية معناها باختصار : حشد كل طاقات الشعب المادية والمعنوية للأغراض العسكرية ، على أن يتم هذا الحشد فى الزمان والمكان الجازمين .

فإذا تم حشد الطاقات المادية والمعنوية بعد فوات الأوان ، أو تمّ

حشدها فى المكان غير المناسب أو فى الزمان غير المناسب فإن الشعب لا يمكن أن ينتصر أبداً .

ولنضرب على ذلك مثلاً عن حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

كان المطلوب حشد الطاقات المادية والمعنوية للعرب كلهم لمجابهة إسرائيل ، ولكن ذلك لم يحدث مطلقا .

وكان المطلوب حشد تلك الطاقات بموجب خطة مرسومة قبل نشوب القتال بين العرب وإسرائيل ، ولكن ذلك لم يحدث مطلقا أيضاً .

وكان المطلوب حشد تلك الطاقات فى ساحة قتال فلسطين تنفيذاً لخطة مُعدّة سلفاً ، ولكن ذلك لم يحدث مطلقا .

فلا الطاقات المادّية والمعنوية للعرب حشدت للحرب بالمعنى الصحيح ، ولم يجر حشدها حسب خطة عسكرية قبل وقت مناسب من نشوب القتال ، كما لم يجر حشدها فى ساحة العمليات الفعلية . فكيف ينتصر العرب ؟ !

وقد تكون الأمة ذات طاقات ضخمة من الناحيتين المادية والمعنوية ، ولكنها محرومة من التنظيم السليم الذى يجعل من هذه الطاقات قوة ضاربة ، قبل الحرب وفى أثنائها وبعدها ، وفى ساحة القتال وفى المناطق الحيوية منها ، لمصاولة العدو بها فى الوقت المناسب وفى المكان المناسب مصاولةً تجبره على الرضوخ والاستسلام .

مثل هذه الطاقات على الرّغم من ضخامتها ، لا قيمة لها فى الحرب بدون تنظيم ، لأنها بالتّنظيم الدقيق السليم تستطيع إثبات وجودها (فعلا) فى الميدان ، وبدون هذا التنظيم السليم الدقيق تبقى طاقات معطلة وجهداً مضاعاً .

والذى حدث بالنسبة إلى العرب فى حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ،

أنهم لم يستطيعوا تنظيم طاقاتهم المادية والمعنوية للأغراض الحربية، فلم يستفيدوا من تلك الطاقات فى الحرب .

أما إسرائيل ، فقد استطاعت أن تنظم طاقاتها المادية والمعنوية قبل الحرب ، فاستفادت منها فى أيام القتال .

وهكذا كانت الطاقات العربية غير منظمة ، وهى طاقات متفوقة فواقاً عظيماً على طاقات إسرائيل، ولأنها بدون تنظيم كان وزنها الحقيقى قليلاً.

وكانت الطاقات الاسرائلية منظّمة ،وهى طاقات أقل بكثير من الطاقات العربية ، ولكنها بالتنظيم كان وزنها الحقيقى ثقيلاً .

وتفوّقت فى الميدان الطاقات القليلة المنظمة ، على الطّاقات الكثيرة غير المنظّمة .

والذى يحتاجه العرب اليوم هو التنظيم ، لتبرز طاقاتهم إلى حيّز الوجود ، وتثبت مكانتها فى الصراع المصيرى الحاسم بين العرب وإسرائيل

وقد ركّزت على (التنظيم) السليم الدقيق ، لأنه روح القوة وعمادها وركنها الركين .

والوحدة العسكرية العربية التى تسيطر عليها قيادة عربية موحدّة ، هى التى تنهض بهذا التنظيم .

— ٣ —

إنّ تنظيم الطاقات العربية لتكون قوة ضاربة تحمى حقوق العرب وتصون كرامتهم هو الانجاز الكبير للوحدة العسكرية العربية .

وفى هذا (التنظيم) تكمن أهمية الوحدة العسكرية العربية ، لأنه يحقق للعرب مايلى :

أ ـ فى النطاق العربى الداخلى :

أولا ـ توحيد القيادة :

توحيد القيادة العربية على أسس رصينة سليمة ، على أن تكون هذه القيادة أداة فعّالة تقوم بواجباتها القيادية خير قيام .

وقد لمسنا أنّ هذه القيادة التى انبثقت بعد مؤتمر القمة الأول عام ١٩٦٤ ، لم تكن أداة فعّالة حقاً ، لأنها كانت (ترجو) أن تنفذ الدول العربية تعليماتها العسكرية ولا (تأمر) الدول العربية بتنفيذها .

وشتان بين (الأمْرِ) و (الرّجاء) .

وكانت هذه القيادة تصدر (وصايا) غير ملزمة للدول العربية ، وكان ينبغى أن تصدر (أوامر) ملزمة .

وكانت بعض الجيوش العربية ، تخفى عن القيادة العربية الموحدة المعلومات الحيوية عن قطعاتها العسكرية وعن إسرائيل ، وكان يجب أن تفتح تلك الجيوش للقيادة العربية الموّحدة أبوابها على مصراعيها ، وتقدم لها المعلومات الدقيقة الصحيحة دون قيد أو شرط .

وكان العرب يطالبون القيادة العربية (بواجبات) كثيرة ، ولكنهم كانوا غالباً لا يقدمون لها (حقوقها) التى تسهِّل عليها إنجاز ما يطالبها بها العرب به من (واجبات) .

إن القيادة العربية الموحدة إسم على غير مسمى مالم يجر توحيد الجيوش العربية لتكون هذه القيادة الدماغ المفكِّر لتلك الجيوش .

والواقع أنّ هذه القيادة لم يكن بمقدورها أن تثبت وجودها قبل حرب ١٩٦٧ وفى أثنائها ، لعدم توحيد الجيوش العربية .

لم يكن بمقدورها أن تفرض إرادتها على العرب فتجعلهم يطبِّقون

خططها العسكرية الحصيفة التي بذلت جهوداً جبارة لاعدادها ، فبقيت تلك الخطط حبراً على ورق .

وربما كنت من أول المنتقدين لهذه القيادة لو لم أطلع على جهودها الثمينة التي ذهبت أدراج الرياح ، ولكنني لعلمي بما بذلته هذه القيادة من جهود عسكرية جبارة لاعداد الخطط الدقيقة السليمة ، لابدّ لي من تقديرها واكبارها .

يجب أن يحرص كل مخلص عربي على حياة هذه القيادة ويعمل على دعمها مادياً ومعنوياً ، لأن هذه القيادة ستكون النواة الأولى للوحدة العسكرية العربية التي إذا لم تنبثق اليوم فستنبثق غداً .

ثانياً : توحيد التدريب :

وهذا يشمل توحيد المصطلحات العسكرية وتوحيد الكتب العسكرية وتوحيد أساليب القتال وتوحيد التدريب الفردي والإجمالي وتوحيد التمارين العسكرية وإجراء تمارين عسكرية بقطعات وبدون قطعات في شتى أنحاء الوطن العربي الكبير .

الجيوش العربية اليوم تتكلّم لغات مختلفة ، فالسلاح الواحد يطلق عليه إسم في العراق وآخر في تونس ... إلخ .

وقد يحتاج الضبّاط العرب إلى لغة أجنبيّة للتفاهم بينهم في بعض الأحيان عن أسماء الأسلحة والذخيرة والمصطلحات العسكرية الأخرى . وما دام العرب يتكلمون لغة القرآن الكريم ، فأن لغة هـــذا القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم كفيلة بتوحيد المصطلحات العسكرية العربية بكل جدارة وإتقان .

إنه لا يصح أن تبقى المصطلحات العسكرية العربية متباينة أشدّ التباين ، مختلفة أشدّ الأختلاف في الأقطار العربية ، فلابدّ من وضع معجم عسكري مُوَحَّد للجيوش العربية يوحّد مصطلحاتها العسكريّة .

ولكل جيش عربى كتب للتدريب على استعمال الأسلحة والتعبيّة وواجبات الأركان والقضايا الإدارية والأمور الفنية ... إلخ .

وكل جيش عربى يستعمل مصطلحاته العسكرية الخاصة عند تأليف هذه الكتب أو تعريبها .

وهذه الكتب العسكرية تفرّق ولا توحّد ، لأنها مكتوبة بأساليب مختلفة وبمصطلحات عسكرية مختلفة .

ومن المعروف أن من أهم أهداف الوحدة العسكرّية ، هو وضع (التعاون) العسكرى الوثيق موضع التنفيذ .

وبدون توحيد تدريب الجيوش العربية لا يتم تعاونها فى السلم والحرب.

ثالثاً : توحيد التسليح :

إنّ توحيد التسلح بين الجيوش العربية عامل مهم من عوامل تعاونها فى السلم والحرب .

فى السّلم يمكن التعاون فى تصليح الأسلحة المعطوبة ، وفى إنتاج الأسلحة المختلفة بشكل منسّق بحيث لا يتكرر إنتاج السلاح الواحد أو الذخيرة الواحدة فى عدة أقطار عربية ، وهذا يحتاج إلى تنسيق الإنتاج الحربى العربى .

كما أنّ الدول الغنّية بالسلاح ، تستطيع أن تعاون به الدول الفقيرة بالسلاح بتزويدها بالسلاح اللازم لجيشها .

أما فى أيام الحرب ، فإن توحيد التسليح يجعل الدول العربية تتعاون فيما بينها بإدامة السلاح والذخيرة كلما احتاجت إليه دولة أو دول عربية .

وقد ذكرنا سابقاً ، أنّ جيشاً عربياً كان محتاجاً إلى الذخيرة لسلاح معيّن ، ولكن اختلاف التسليح حال دون تعاون جيشى الدولتين العربيتين فى إدامة الذخيرة لذلك السلاح .

إنّ توحيد الجيوش العربية يؤدى إلى حشد الطاقات العلمية والطاقات المالية للعرب لتطوير الأسلحة وانتاج السلاح الذرى .

رابعاً - توحيد التنظيم :

تناقض تنظيم الجيوش العربية يؤدى إلى عدم تعاونها فى الحرب كما ينبغى ، ذلك لأن توحيد ملاكات الوحدات والتشكيلات والقيادات يجعل أمر العمليات العسكرية سهلا .

وتوحيد التنظيم يشمل توحيد الرتب العسكرية وملاكات الجيوش العربية من أصغر وحدة مقاتلة إلى أكبر تشكيل مقاتل .

خامساً - توحيد التجهيز :

إنّ توحيد التجهيز يساعد على تمييز القطعات ويجعل الجيوش العربية أفراداً ومراتب وضباطاً فى قيافة واحدة وزىّ واحد .

كما أن توحيد التجهيز يعمل على إشاعة المساواة فى الجيوش العربية ويجعلها تشعر بأنها جيش واحد بكل معنى الكلمة .

سادساً - رفع المعنويات :

إنّ توحيد الجيوش قوة لها ، والقوة تؤدى إلى رفع معنوياتها .

وسنتطرق إلى أثر الوحدة فى رفع المعنويات فى بحث خاص .

سابعاً - توحيد الجهود :

فى تقدير الموقف العسكرى لجيش إسرائيل ، يضع العسكريون خطتهم لضرب الجيوش العربية على انفراد .

وتوحيد الجيوش العربية يجعلها تقاتل حسب خطة مرسومة جيشاً واحداً لا جيوشاً عديدة تستطيع إسرائيل مقاتلتها وضربها جيشاً بعد آخر .

ثامناً ـ توحيد ساحة القتال :

إنّ توحيد الجيوش العربية يجعل إسرائيل مطوقة فى كمّاشة ، مما يؤدى إلى مشاغلة جيش إسرائيل فى كل الجبهات لا فى جبهة واحدة كما هو الحال فى حالة عدم توحيد الجيوش العربية .

كما أنّ توحيد هذه الجيوش يؤدى إلى نقل قطعات عسكرية وأسلحة وطائرات من قطر عربى إلى قطر عربى آخر حسب خطة عسكرية مرسومة وعدم إبقاء جبهة عربية ضعيفة هنا وقوية هناك .

— ٤ —

ب ـ فى النطاق الخارجى :

أولاً ـ فى إسرائيل :

يؤدى توحيد الجيوش العربية إلى توقف إسرائيل عن تنفيذ مطامعها التوسعية ، ويعيد للعرب حقوقهم فى الأرض المقدسة .

ثانياً ـ فى النطاق الدولى :

للقوي دائما مكانته السامية ، وللضعيف دائماً مكانته المهزوزة بين الدول وفى المحافل الدولية .

والعرب إذا أصبحوا قوة ذات شأن ، فإن الدول الخارجية تنظر إليهم بغير النظرة التى تنظر إليهم بها الآن .

كما أنّ القوة العربية ستكون بالمرصاد لكل من يحاول الاعتداء على البلاد العربية أو على حقوقها المشروعة .

والقوّة العربيه الموحدة ضرورية للدّفاع عن مصالح العرب فى كل مكان

كما أنّ الدول الأجنبية إذا علمت بأن العرب فى وحدتهم العسكرية أصبحوا قوة ضخمة ، فإنها ستحاول أن تكون معهم لا عليهم .

وحينذاك تفقد إسرائيل تأييد دول الاستعمار القديم والحديث التى ساندتها وتساندها لعلمها بأن إسرائيل أثقل من العرب فى ميزان القوى .

وحينذاك يكون العرب سادة ثرواتهم الطبيعية فى الداخل ، تلك الثروات التى يطمع فيها الاستعمار ويحاول من أجل السيطرة عليها إبقاء العرب ضعفاء إلى الأبد .

فما هى القيادة العربية الموحدة التى هى النواة الصالحة لتكوين الوحدة العسكرية العربية ؟

القيادة العربية الموحدة

فى مؤتمر القمة الأول الذى عقد فى القاهرة خلال الفترة من (١٣ - ١٧) كانون الثانى (يناير) ١٩٦٤ ، تقرر إنشاء قيادة عربية موحدة .

وقد عقدت ثلاثة مؤتمرات قمة قبل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وعقد مؤتمر قمة واحد فى (الخرطوم) بعد تلك الحرب ، ومن دراسة تلك المقررات بأمعان وتجرّد ، يظهر لنا بوضوح وجلاء ، أنّ مؤتمر القمة الأول كان أهم مؤتمرات القمة الاربعة ، لأنّ من جملة مقررات ذلك المؤتمر هو : « إنشاء قيادة عربيّة موحدة » .

ويومها قال المراقبون العسكريون العرب وغير العرب فى أنحاء العالم كافة : « إنّ العرب وجدوا طريقهم السوّى فى محاولة استعادة حقوقهم المغتصبة فى الأرض المقدسة فلسطين » .

كان انبثاق هذه القيادة لطمة قاسية لاسرائيل ولمن وراء إسرائيل ، لأنّ كل توحيد للجيوش العربية يبدأ من إنشاء هذه القيادة ، ولأن هذه القيادة هى النواة الصّالحة المنشئة البنّاءة للوحدة العسكرية العربية ، ولأن إسرائيل ستكون مهدّدة بأفدح الأخطار إذا قدّر للوحدة العسكرية العربية أن توضع فى حيّز التنفيذ .

وابتدأ التشكيك فى القيادة العربية للوحدة من أول يوم مولدها ، وقد صدرّت إسرائيل وصدّر من وراء إسرائيل هذا التشكيك مقالات فى الصحف الأجنبية ونقداً فى المجالات الدولية والاذاعات الاجنبية .

كان المتوقع من إسرائيل ومن الدول الأجنبية التى وراء اسرائيل أن تشكك فى القيادة العربية الموحدة بوسائل إعلامها القوية ذات الأنتشار الواسع والتأثير العظيم .

ولإسرائيل العذر كل العذر ولمن وراء إسرائيل العذر كل العذر فى هذا التشكيك المريب .

ولكن ماعذر العرب فى اقتفاء آثار إسرائيل وأعداء العرب فى ترديد صدى ذلك التشكيك فى القيادة العربية الموحدة ؟

وإلى متى يبقى العرب يرددون دسائس أعدائهم بسذاجة تقطع نياط القلب ؟

إنّ أكثر العرب الذين ينهضون بالتشكيك ، لايعرفون أقل القليل عن واجبات القيادة العربية الموحدة ، وعما قامت به من أعمال مجيدة منذ مولدها عام ١٩٦٤ حتى تجميدها فى أوائل عام ١٩٦٧ .

وواجباتها ليست سراً ، لذلك سأمر عليها مرّ الكرام ، أما ما قامت به من أعمال ، فلن أتطرّق إلاّ إلى الأعمال غير السرية منها ، وستبقى أعمالها السرّية طيّ الكتمان .

وللتاريخ أذكر أن ماخفى من أعمالها أعظم مما ظهر منها ، وستأتى الأيام التى تظهر أعمالها كلها للعيان ، ويومها سيندم الذين فرطوا فى حقها من العرب . . . ولات ساعة مندم !

والدرس الذى يجب على العرب أن يتعلموه ، هو أنهم يجب ألاّ ينصاعوا لحملات التشكيك .

والتشكيك كما هو معروف، هو من أهم وسائل الحرب النفسية التى دأبت إسرائيل ودأب أعداء العرب على أن ينشروه بين العرب قبل حرب عام ١٩٦٧ وبعدها وحتى تتحقق أهداف أعداء العرب فى تحطيم معنويات العرب .

— ٢ —

فما هى واجبات القيادة العربية الموحدة ؟

يمكن إجمال واجباتها فى السلم فيما يلى :

أ ـ توحيد التدريب العسكرى :

إنّ لكل سلاح خفيف أو ثقيل فى الجيوش العربية كتاباً خاصاً من كتب التدريب الرسمية التى تصدرها مديريات التدريب العسكرى للجيوش العربية .

والأسلحة كثيرة منوّعة ،لذلك فكتب التدريب عنها كثيرة منوّعة وهذه الكتب عرضة للتحوير والتبديل تبعاً لأساليب استخدام هذه الأسلحة وتطويرها بين حين وآخر، مما يؤدّى إلى تغيّير سياق التدريب على استعمالها .

ولاتقتصر الكتب العسكرية على كتب تدريب الأسلحة فحسب ، فهناك كتب التعبية وكتب السوق وكتب واجبات الأركان وكتب القضايا الادارية فى الميدان من إعاشة ونقليّة وطبابة وبيطرة وهندسة آلية كهربائية وعينة ومستودعات ومداخر .

وهناك كتب التاريخ العسكرى وكتب الجغرافية العسكرية وكتب التخطيط . . . . إلخ .

إنّ العلوم العسكرية ، أصبحت علوماً كثيرة متطوّرة ، مصادرها كتب لا تُعدّ ولا تحصى . . . وهذه الكتب متيسرة على نطاق واسع فى بعض الجيوش العربية ، ومتيسّرة على نطاق محدود فى جيوش عربية أخرى .

ولكنّ المتيسر منها على كل حال فى الجيوش العربية مختلف أشد الاختلاف فى تعابيرها وفى مصطلحاتها العسكرية وفى أساليبها التعليمية .

إن القيادة العربية الموحدة مسؤولة عن توحيد الكتب العسكرية العربية فى مصطلحاتها وفى معلوماتها ، وهى مسؤولة عن توحيد سياق

التدريب العسكرى فى الجيوش العربية ، وبذلك تجعل التعاون العسكرى العربى فى السّلم والحرب سهلا ميسوراً .

ب ـ الكتب العسكرية وحدها ـ على أهميتها الكبرى ـ ليست كافية للتدريب على صنوف القتال .

إنها تغذّى العقول بالمعلومات العسكرية النظرية ، وبشىء غير قليل من المعلومات العسكرية العمليّة .

ولكنّ التمارين العسكرية بقطعات أو بدون قطعات ، هى التى تمدّ العسكريين بتجارب عمليّة لا يستغنى عنها أى جيش من الجيوش .

هناك تمارين نظرية على الورق ، وهناك تمـــارين هيكلية لتدريب المقرّات فقط ، وهناك تمارين عمليّة بقطعات ، وهناك تمارين عمليّة باستعمال الرمى بالذخيرة الحيّة ، وهناك تمارين عملية باستعمال الذخيرة الخلبية ... إلخ .

إنّ هذه التمارين هى الوسيلة الوحيدة التى تنمى التجربة العسكرية العملية فى أوقات السلام ، وهى التى تساعد على تذليل تعاون الجيوش العربية فى الحرب ، وهى التى تجعل للقيادات العربية الصغرى والكبرى خبرة عملية بمزايا الجيوش العربية كافة ومزايا قيادتها وإمكاناتها ونواقصها لامكان تلافى تلك النواقص قبل وقت مناسب من أيام القتال .

كما أن هذه التمارين ، هى تجربة عملية للقيادة العربية الموحدة ، تنمى بها قابلياتها القيادية وتزيد فى تفاصيل معرفتها بمزايا الجيوش العربية ومزايا قياداتها وإمكاناتها ونواقصها فى كل ذلك ، لامكان العمل على تلافى تلك النواقص مبكراً قبل نشوب الحرب .

(ح) العمل على توحيد تسليح الجيوش العربية ، لأنّ اختلاف التسليح يُعرقل التعاون العسكرى بين الجيوش العربية فى الحرب .

وليس معنى ذلك أن تقتصر الدول العربية على استيراد الأسلحة من دولة واحدة أو من دول معينة .

ولكن معنى توحيد التسليح ، هو أن تكون عيارات الذخيرة وعيارات الأسلحة متشابهة فى جيوش الدول العربية .

وتوحيد التسليح يقتضى بذل أقصى الجهود العربية لإنتاج السلاح والذخيرة محلياً .

ويقتضى تنسيق إنتاج الأسلحة بين الدول العربية ، فما تنتجه دولة عربية مامن أسلحة وذخائر ، تصدّره إلى الدول العربية الأخرى المحتاجة إلى تلك الأسلحة والذخائر .

وكل دولة عربية، تحاول إنتاج سلاح وذخيرة لا يتيسّر إنتاجها فى دولة عربية أخرى .

وبذلك يتم تكامل إنتاج السّلاح والذخيرة بين الدول العربية ، ويجرى تعاونها فى هذا المجال على أوسع نطاق .

(ى) ومن واجبات هذه القيادة توحيد تنظيم الجيوش العربية ، لأن هناك إختلافات كثيرة فى التنظيم العسكرى بين الجيوش العربية .

إن اختلاف التنظيم العسكرى يؤدى إلى صعوبة التعاون الفعّال بين الجيوش العربية فى التدريب الأجمالى وفى الميدان .

(هـ) ومن واجبات هذه القيادة ،توحيد التجهيز فى الجيوش العربية . ليكون الجيش العربى جيشاً واحداً فى مظهره .

وقد يظن بعض الناس ، أن التجهيزات لا أثر لها فى النفوس ، ولكنّ

علماء النفس أثبتوا بما لا يقبل الشك ، أنّ قيافة العسكرى - وغير العسكرى أيضاً - لها أثر كبير فى نفسيته ، وتوحيد التجهيزات العسكرية فى الجيوش العربية ، عامل من عوامل إشاعة الإنسجام الفكرى والعملى فى صفوفها .

وإنتاج التجهيزات العسكرية محلياً مهم جداً ، فلا مكانة مرموقة لجيش من الجيوش يستورد تجهيزاته من الخارج .

كما أنّ استيراد التجهيزات العسكرية من الخارج ، له محاذير كثيرة ، لعلّ أهمّها إحتمال انقطاعها لأسباب سياسية أو عسكرية.

وتنسيق إنتاج التجهيزات العسكرية العربية ، ضرورى جداً ، كما هو الحال فى تنسيق إنتاج الأسلحة والذخيرة .

والسعى إلى الإكتفاء الذاتى بانتاج التجهيزات العسكرية ، مهم للغاية للجيوش العربية ، وهذا يحتاج إلى تنسيق الإنتاج على النطاق العربى

(و) ومن واجبات هذه القيادة جمع المعلومات العسكرية المفصّلة عن قوات العدو : قيادتها ، وتنظيمها ، وتسليحها ، وتجهيزها ، ومعاملها العسكرية ، وإنتاجها الحربى ، وحالتها المعنوية ، وأساليب قتالها ، وأساليب تدريبها ،وأساليب نفيرها، ومصادر تسليحها ، وكميات الأسلحة والذخيرة وأنواعها التى بحوزة العدو ، ومطارات العدو ، وطائراته بأنواعها وخواصها والأرض التى يحتمل أن نقاتل العدو عليها .. الخ .

ولتحقيق هذا الهدف ، لابدّ من أن يكون هناك تعاوناً وثيقاً بين أجهزة استخبارات القيادة العربية الموحّدة وبين أجهزة استخبارات الدول العربية دون قيد ولا شرط .

إنه لا خطة سليمة رصينة، بدون معلومات مفصّلة موثوق بها .

واست بحاجة إلى أن أذكر شيئاً عن وسائط جمع المعلومات عن العدو، فهى معروفة عند المسئولين من عسكريين وغير عسكريين .

ولكننى بحاجة ماسّة إلى أن أذكر أنّ العدو ماهر فى اقتناص المعلومات السرّية عن العرب ، فلابدّ من أن يتحلّى العرب بأعلى درجات الكتمان .

وقد ذكر كبار المسؤولين العسكريين فى إسرائيل ، أنّ من أهم أسباب انتصارهم على العرب فى حرب عام ١٩٦٧ ، هو : دقة إستخبارات إسرائيل فى جمع المعلومات المفصّلة الدقيقة عن العرب .

إنّ نقص المعلومات التى كانت متيسّرة لدى العرب عن إسرائيل عام ١٩٤٨ ، كان عاملاً من عوامل هزيمة العرب فى تلك الحرب .

وبدلاً من أن يأخذ العرب درسهم من حرب عام ١٩٤٨ ، فأنهم وقعوا بنفس الخطأ فى حرب عام ١٩٦٧ .

والمؤمن لايلدغ من حجر مرتين .

(ز) ومن واجب هذه القيادة العربية الموّحده ، إعــداد الخطط العسكرية ضد إسرائيل لمواجهة جميع الأخطار المتوقّعة أو أى اعتداء مسلّح يمكن أن يقع على دولة أو أكثر من الدول العربية أو على قواتها ، مع إدخال أسوأ الاحتمالات فى الحساب عند إعداد الخطط العسكرية .

وهذا الواجب هو من أهم واجبات القيادة العربية الموحدة ، بل هو أهم واجباتها على الإطلاق .

وهذا الواجب ، يقتضى عملاً شاقاً متواصلاً ، واستطلاعاً مفصّلاً شاملاً ، ويقظة وانتباهاً ودقة متناهية ، كما يحتاج إنجازه إلى وقت وحرص ومثابرة دائبة على العمل المنظم الهادف.

— ٣ —

أما واجبات هذه القيادة فى الحرب فتتلخص بما يلى :

(أ) وضع الخطط العسكرية فى حيّز التنفيذ ، وهى خطط تشمل العمليات العسكرية والقضايا الادارية والمواصلات الداخلية .

إنّ دقّة خطط العمليات من جهة ووهن خطط القضايا الإدارية وضعف خطط المواصلات الداخلية من جهة أخرى، يؤدى إلى الإخفاق فى الحرب.

فلابدّ من إتقان الخطط العسكرية برمّتها، لأنها تكمّل بعضها بعضا .

ولكنّ الحرب لاتجرى على أسلوب رتيب ، لذلك يقتضى أن تكون الخطط العسكرية (مرنة) لإمكان تعديلها بسرعة ودقة بالنسبة للظروف والأحوال الحربية .

(ب) استخدام القطعات العسكرية المناسبة والسّلاح المناسب فى المكان والزّمان المناسبين .

لقد حدث فى حرب عام ١٩٦٧ ، أن قطعات عربية كانت بدون عمل ولا واجب ، بينما كانت جبهات القتال محتاجة إليها أشدّ الحاجة .

وحدث فى تلك الحرب ، أن أسلحة مؤثرة وأجهزة ألكترونية فعّالة كانت بدون عمل ولا واجب ، بينما كانت بعض الجبهات العربية بأمس الحاجة اليها .

فمن الواجب ألاّ تتكرّر مثل هذا الأخطاء ، وهى ستتكرر حتما إذا بقى العرب بدون قيادة عربية موحدة ذات أثر وتأثير .

(حـ) استخدام القائد المناسب فى القيادة المناسبة ، لأن للقائد أثراً حاسماً فى مصير القتال .

حدث فى حرب عام ١٩٦٧ ، أنّ قادة عسكريّـين من العرب ، كانوا طاقات معطّلة فى بيوتهم ، بينما كان فى قسم من الجيوش العربية قادة لايفيدون صديقاً ولا يضرّون عدواً .

إنّ الأمة العربية التى أنجبت مثل الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وخالد بن الوليد، والمثنى بن حارثة الشيبانى، وعمرو بن العاص، وقتيبة بن مسلم الباهلى، ومحمد بن القاسم الثقفى، وموسى بن نصير، وطارق بن زياد، ونور الدين الشهيد ، وصلاح الدين الأيوبى رضى الله عنهم ، لم تعقم عن إنجاب أمثالهم من القادة العسكريين فى الحاضر والمستقبل .

المهم هو اختيار القائد المناسب للقيادة المناسبة .

(هـ) تنسيق التعاون العسكرى فى الميدان إلى أبعد الحدود ، وعدم إفساح المجال لاسرائيل أن تضرب جيشاً عربياً بعد جيش آخر ، كما حدث فى حرب عام ١٩٤٨ وفى حرب عام ١٩٥٦ وفى حرب عام ١٩٦٧ .

إنّ مشاغلة العدو من جميع الجبهات ، يجعله يوزع قواته فتكون ضعيفة فى تلك الجبهات .

أما أن نفسح المجال لجيش إسرائيل ، أن يقاتل جيشاً عربياً بعد جيش عربى ، فإن ذلك ييسّر له حشد قواته فى جبهة واحدة فتكون قوية مؤثرة، فإذا حقق أهدافه فى تلك الجبهة ، نقل قواته إلى جبهة عربية أخرى تطبيقا لخططه العسكرية المدبّرة .

وهذا ما ييسّر النصر للعدو ، ويعاونه على تطبيق خططه العسكريّة كاملة دون نقصان .

إن القيادة العربية الموحّدة هى التى تضع التعاون العسكرى العربى نصاً وروحاً فى حيّز التنفيذ ، وتتلافى الأخطاء التى حدثت من قبل فى الجيوش العربية .

فماهى إنجازات هذه القيادة منذ مولدها حتى حرب ١٩٦٧ ؟

هناك إنجازات كثيرة منها ماله طابع سرى لم يحن الوقت لإذاعته ، ومنها ما يمكن تسجيله وإذاعته ، ولعلّ من أهم مايمكن ذكره هنا فى الوقت الحاضر من هذه الانجازات هى :

(أ) دراسة التنظيم المقترح للقيادة العربية الموحدة لتكون قادرة على إنجاز مهامها وواجباتها على ضوء توصيات الملوك والرؤساء فى مؤتمر القمة الأول .

وقد عرض هذا التنظيم المقترح لهذه القيادة على مجلس الدّفاع المشترك فصودق عليه .

ويشمل تنظيم القيادة، التنظيم التفصيلى لأجهزة القيادة وتحديد الواجبات التفصيلية للقيادة أولاً ولأجهزتها ثانيا .

(ب) إنشاء القيادة العربية الموحدة جهازاً عسكرياً متكاملاً ، ممثلاً فيه خيرة العسكريين فى كل الدول العربية ، قادراً على القيام بالدراسات العسكرية المستفيضة والتخطيط لما يكلّف به من مهام وواجبات فى حدود التوجيهات التى تصدر من مجلس الملوك والرؤساء العرب .

ولم تمض فترة قصيرة على مولد هذه القيادة ، إلاّ وأصبحت القيادة إنجازاً ملموساً ، فيها ممثلو الجيوش العربية من الضباط ، كل ضابط يعمل فى جهاز من أجهزتها تنفيذاً لواجباته التفصيلية فى ذلك الجهاز .

(حـ) تزويد وسائل الاتصال بين القيادة العربية الموحدة وبين الجيوش العربية فى كل الدول العربية .

إنّ تنظيم المواصلات الداخلية وتنظيم شبكة الإشارة ضمن هذا

النطاق ليس سهلا ، ولكنّ القيادة العربية اجتازت العقبات التى صادفتها بنجاح .

وبذلك أصبحت القيادة العربية تتلقى تقارير الجيوش العربية ، كما تتلقى هذه الجيوش تعليمات القيادة العربية الموحدة وتوجيهاتها ، تأميناً للتعاون الوثيق بين القيادة والجيوش العربية .

(د) تحديد قوات الدول العربية الموضوعة بأمرة القيادة العربية الموحدة ، طبقاً لقرارات مؤتمرات القمة .

وقد بذلت القيادة العربية الموحدة جهداً مشكوراً لتقدير واقتراح القوات اللازمة للدول العربية لمقابلة العدوان الاسرائيلى وإحباط الخطط التوسّعية الإسرائيلية .

(هـ) درست القيادة العربية الموحّدة مسارح العمليات المحيطة باسرائيل ، ونظّمت الخطط لتحقيق إمكان التعاون بين الجيوش العربية أثناء نشوب الحرب دفاعاً عن الأرض العوبية .

وقد كان هذا الواجب شاقاً مضنيا ، ولكنّ القيادة العزبية الموحدة نهضت به بكفاية وحرص وقوة وأمانة .

(و) نسّقت القيادة العربية الموحدة عمليات الاستطلاع اللازمة لوضع خطط الحشد العسكرى والعمليات العسكرية .

وقد أوفدت القيادة ممثليها من الضباط إلى مسارح العمليات المتاخمة لإسرائيل وإلى الجيوش العربية للنهوض بهذا الواجب الحيوى .

(ز) درست القيادة العربية الموحدة الأعمال والاجراءات التى تجريها الأجهزة الفنية للجامعة العربية ، لتحويل مياه روافد نهر الأردن ،ونظّمت الخطط لحماية هذه الأعمال والإجراءات .

(ح) تابعت القيادة العربية الموحّدة تنفيذ قرارات مؤتمرات القمة لتوفير الأموال اللازمة لتدعيم جيوش الدول العربية وإتمام تشكيلاتها المقترحة، والاشراف على تشكيل الوحدات العسكرية الجديدة وإعدادها، بما فى ذلك جيش التحرير الفلسطينى .

(ط) أعدّت (تقدير موقف عسكرى) ووضعت على هديه خططاً عسكرية لتنفيذ مهامّها وواجباتها التى كلِّفت بها من مؤتمرات القمة .

وأشرفت على حشد القوات العسكرية العربية فى أنسب المواقع (طبقاً لما سمحت به الظروف السياسية العربية) .

(ى) درست خطط الجيوش العربية ، ونسّقت بينها لتأمين التعاون العسكرى العربى .

(ك) عملت على تحقيق الاتصال الشخصى بين ضباط جيوش الدول العربية فى المناورات والمؤتمرات العسكرية والدورات التدريبية والزيارات المتبادلة .

إنّ الاتصال الشخصى بين الضباط العرب ، والإطّلاع على أساليب التدريب الإجمالى والتدريب الفردى والعمل فى الدورات العسكرية ، يزيد التعارف بين الضباط ومعرفة خواص الجيوش العربية ، ويؤدى إلى توحيد تدريبها بالتدريج .

وكل ذلك يؤدى إلى التعاون الوثيق بين الجيوش العربية .

كما بذلت القيادة العربية جهوداً محدودة لتوحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية خلال عام ١٩٦٥ ، ولكن الجيوش العربية لم تلتزم بالمصطلحات العسكرية التى أقرتها القيادة العربية الموحدة .

(ن) أصدرت القيادة العربية الموحّدة توجيهات وتعليمات تدريبيّة للقوات العربية التى بأمرة القيادة .

هذه بعض إنجازات القيادة العربية الموحدة ، وهى إنجازات تستحق التقدير والاعجاب ـ خاصة إذا أدخلنا فى حسابنا أن هذه القيادة عملت فى فترة قصيرة هى من منتصف عام ١٩٦٤ إلى نهاية عام ١٩٦٦ ، وهى فترة لاتزيد عن عام ونصف عام .

— ٥ —

ولكن هل جرت الأمور خلال هذه الفترة كما تشتهى القيادة العربية الموحدة ؟

الواقع أن القيادة العربية واجهت عقبات كثيرة منها :

(أ) تعارض الاجراءات الرتيبة البطيئة الواردة فى معاهدة الدفاع المشترك (ميثاق الضمان الجماعى) مع الحاجة الملحة لسرعة البت فى الأمور واتخاذ القرارات السريعة واتخاذ الإجراءات الفورية الخاصة بالقضايا العسكرية .

إن الوقت عامل مهم لوضع الخطط العسكرية موضع التنفيذ .

وكل تأخير لامبرر له ، ليس فى مصلحة الجيوش العربية بل فى مصلحة إسرائيل وأعداء العرب .

فلابد من تعديل معاهدة الدفاع المشترك ، لتكون عوناً للقضايا العسكرية العربية لاعقبة كأداء فى سبيلها .

(ب) تعارض الاجراءات الدستورية طبقاً للقوانين والأنظمة المعمول بها فى قسم من الدول العربية ، مع ضرورة اتخاذ القرارات العسكرية وتنفيذها بسرعة وحزم .

ذلك لأن هذه الدول لا بدّ من أن توافق أجهزتها التشريعية على بعض الإجراءات العسكرية ،وهذا أدّى إلى عدم إمكان وضع القرارات العسكريّة فى الزمان المناسب طبقاً للخطة الموضوعة .

(ح) تعارض الموقف الداخلى لقسم من الدول العربية مع متطلبات الخطة العسكرية الموضوعة من القيادة العربية الموحدة .

إن أزمة عدم الثقة بين قسم من الدول العربية كانت عقبة قاسية حالت دون تنفيذ خطة القيادة العربية الموحدة كما يرام .

(ى) مبالغة قسم من الدول العربية فى تقدير المبالغ اللازّمة لدعم قواتها .

إنّ المبالغ المتيسرة لدى القيادة العربية ، كانت أقل بكثير مما طلبته دولة عربية واحدة .

فكان لابدّ من الرد والبدل ، ومن مراجعة الحسابات ، ومن المناقشة والاقتناع ، وكل ذلك أدّى إلى ضياع كثير من الوقت سدى .

(هـ) سيطرت النواحى السياسية للدّول العربية على قرارات القيادة العربية العسكرية .

وكان لابدّ من إعطاء الأسبقيّة الأولى للنواحى السياسية عند البت فى الأمور والقرارات التى تصدر من القيادة .

وقد تتعارض السياسة مع القرارات العسكرية فى كثير من الأحيان ، وتعرقل الخطط العسكرية وتحول دون سرعة إقرارها .

(و) عدم ثقة قسم من الدول العربية فى القيادة العربية الموحدة .

— ٦ —

فكيف تستطيع القيادة العربية النهوض بواجباتها فى السلم والحرب؟

(أ) من الناحية العسكرية :

أولا : وضع الوحدة العسكرية العربية فى حيز التنفيذ ، إذ لا يمكن أن (تسيطر) هذه القيادة على الجيوش العربية بدون ذلك .

إنّ توحيد الجيوش العربية ، يؤدى إلى أن يكون القائد العام المنتخب فى وضع (يأمر) فيه فيطاع .

أما أن تكون القيادة العربية الموحّدة بدون وحدة عسكرية عربية ، فإن القائد العام (يقترح) فيطاع أو لايطاع ، ثم يبدأ النقاش والرد فيضيع الوقت سدى .

والوقت ثمين ، والقضايا العسكرية لاتحتمل التسويف .

(ب) أن تدعّم الدول العربية هذه القيادة مادياً ومعنوياً .

إنّ الدول التى تمتلك المال ، يجب أن تدعم هذه القيادة بمالها لانفاقه فى الإعداد العسكرى تدريباً وتسليحاً وتجهيزاً وبناءاً لقوات عسكرية جديدة .

والدول العربية التى تمتلك الطاقات البشرية والعلميّة والسلاح والتجهيزات عليها أن تدعم هذه القيادة بطاقاتها هذه دون تردد بعيداً عن الأنانية والتيارات السياسية والتناقضات الاجتماعية والمصالح القطرية .

إنّ إسرائيل تهدد كيان الأمة العربية، لاتفرق بين قطر وآخر، ولا بين سكّان وآخرين.

وكل خطط إسرائيل معتمدة على تفرق العرب ، فهل يوحّد العرب صفوفهم وينسون خلافاتهم من أجل إحباط خطط إسرائيل ؟

(ح) إنّ تنظيم القيادة العربية كما ينبغى ، يجعل مهمتها فى أداء واجباتها الصعبة الشاقة سهلاً ميسوراً .

هناك قوات برية وقوات جوية وقوات بحرية للعرب ، فلابدّ من أن يكون فى مقر القيادة العربية الموحدة معاونون للقائد العام :

الأول : يكون نائباً للقائد العام لقيادة القوات البرية .

والثانى : نائباً له لقيادة القوات الجوية .

والثالث : نائباً له لقيادة القوات البحرية .

كما يجب أن تضم القيادة العربية الموحدة خيرة ضباط الجيوش العربية ليشغلوا المناصب المهمّة فى القيادة بجدارة وكفاية .

إنّ ضباط هذه القيادة هم الدّماغ المفكر والعصب الحسّاس للجيوش العربية ، فينبغى أن يكون ضباطها من أفضل العناصر خلقاً وعلماً وتجربة عملية وكفاية عسكرية .

وبالنظر لسعة رقعة البلاد العربية وامتدادها من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى ، فإن القيادة العربية وحدها لا تستطيع السيطرة على الجيوش العربية بكفاية ومقدرة فى أيام السلام والحرب على حد سواء :

والحل العملى لذلك هو إيجاد قيادتين ترتبطان بالقيادة العربية الموحدة :

الأولى : القيادة الغربية ، وتتولى واجب قيادة القوات العربية الموحدة غرب إسرائيل .

والثانية : القيادة الشرقية ، وتتولى واجب قيادة القوات العربية الموحدة شرق إسرائيل .

ذلك هو التنظيم السليم الذى يسهِّل مهمّة القيادة العربية الموحّدة.

* * *

— ٧ —

ولكن هل تكفى الناحية العسكرية وحدها لجعل القيادة العربية ذات أثر وتأثير ؟

إنّ الناحية السياسية ضرورية جداً لهذه القيادة ، فكيف يستطيع العرب تكوين وحدة سياسية بحيث تكون تلك القيادة مسؤولة أمامها وتتلقى تعليماتها منها وتكون مرجعها الأعلى ؟

ذلك ما سنذكره وشيكا .

الوحدة السياسية العربية

— ١ —

روى أنتونى ناتنك : « أن زعماء وزارة الخارجية الإسرائيلية قالوا له : إنّ حكومتهم ستلجأ إلى كل وسيلة ممكنة من أجل إبقاء جيرانها العرب ممزّقين[1].

وقال المؤرخ البريطانى توينبى : « إنّ القضية الفلسطينية لن تحلّ حلاّ نهائياً إلاّ إذا اتحد العرب[2] ».

وتقدير الموقف العسكرى للقيادة العسكرية الإسرائيلية ، يدخل فى حسابه دائما تفرّق العرب وعدم وجود وحدة عسكرية وسياسية عربية تجعل الجيوش العربية تقاتل إسرائيل وهى جيش واحد ولاتقاتلها وهى جيوش متفرّقة .

إنّ الوحدة قوة للعرب مافى ذلك شك ، وإسرائيل بالذّات لاتخشى شيئاً خشيتها من وحدة العرب ، لأن هذه الوحدة ستكون عاملا مهماً للأطباق على إسرائيل ولحشد الطاقات العربية مادية ومعنوية لتكون قوّة رادعة تحول بين إسرائيل وبين مطامعها التوسعيّة أولا وتعيد للعرب حقوقهم المغتصبة فى الأرض المقدسة .

إنّ وحدة العرب ليست مجرّد أمل يراود السّاسة ، بل هى حقيقة تتغلغل فى أعماق نفوس الأمة العربية ، إذ لا يمكن فى هذا العصر الذى امتاز بتجمع الشعوب وتكتلها ، أن تبقى أقوام عربية متجاورة ، تربطها أواصر الدين واللّغة والجنس والتقاليد ووحدة المصلحة والشعور متفرّقة دون أن تتحد .

---

(١) أنتونى ناتنك ــ شاهدت بعينى (٩٣) .
(٢) أنظر : هكذا ضاعت وهكذا تعود (٢٠٦)

هذه الرّقعة العربية عاشت دهراً طويلاً في ظل راية واحدة : مزدهرة بحضارتها ، قويّة باتحادها .

فلمصلحة مَنْ يتناثر هذا العقد النضيد ويتفرّق بدداً ؟

ألمصلحة الأمة العربية ، وهى أمة واحدة ، فى تفرّقها الوهن ، وفى اتحادها القوّة ؟

أم لمصلحة الحضارة العالمية ، وهذه الحضارة تحقّق كسباً عظيماً فى رجوع الحضارة العربية إلى سابق عزّها التّليد ؟

إنّ وحدة العرب ، آتية لاريب فيها — رضينا أم أبينا — فهذه سنّة الحضارة البشرية ، ونحن لا نملك من أمر هذه الوحدة ، إلاّ أن ننظّم الاتجاه إليها ، فنسيّرها ونعجّل بها .

لقد عاش الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام ، حياته الغالية فى مكة المكرّمة ؛ موحداً من أجل الجهاد .

وعاش حياته المباركة فى المدينة المنوّرة ، مجاهداً من أجل التوحيد .

فكانت حياته الغالية المباركة كلها : توحيداً من أجل الجهاد ، وجهاداً من أجل التوحيد .

والذين جاءوا من بعده من الخلفاء الراشدين ، سلكوا طريقه واقتفوا آثاره فى التوحيد والجهاد .

وكل مَنْ يريد خدمة العرب والمسلمين ، ولإزالة ما لحق بهم من عار النكسة فى حرب عام ١٩٦٧ ، لابدّ من أن يسير على نفس الطريق ليحصل على نفس النتائج .

إنّ التاريخ لم يخلّد غير الذين وحّدوا وجاهدوا : وحّدوا الصفوف ولمّوا الشّعث ، وجمعوا الكلمة ، وكوّنوا قوّة موحّدة من قوى متفرقة ،

وجاهدوا فى سبيل مُثُل عُليا لمصلحة عقيدتهم وأمتهم وبلادهم .

وهذه البلاد العربية متفرّقة ، وفيها ميدان واسع لمن يريد العمل (حقاً) لتوحيدها .

وهذه فلسطين ، فيها ميدان واسع للعمل على استعادتها من الذين اغتصبوها بالحديد والنّار .

وهذا التاريخ يفتح أنصع صفحاته ، لتخليد من يوحّد ويجاهد .

إنّ المسؤول العربى الذى يُقدم على توحيد العرب وجهاد أعدائهم ، سيجد القلوب فى الوطن العربى تهوى إليه ، وسيجد النفوس فى دار الاسلام تبارك خطواته ، وسيجد الذين يقاومون جهوده يتهاوون تحت أقدامه كما تتهاوى أوراق الشجر اليابسة فى ايام الخريف .

وحينذاك سيكون للعرب قوّة لها شأن فى العالم كله ، تعيد المسلمين عزهم ومجدهم .

بالوحدة تموت إسرائيل ، وبالفرقة يطول عمرها[٣].

— ٢ —

فما أثر الجامعة العربية فى الوحدة السياسية العربية ؟

كان مولد الجامعة العربية نتيجة للجهود والمحاولات المتتالية التى بذلتها الدول العربية فى سبيل إيجاد منظمة عربية تجمع صفوفهم وتوحّد كلمتهم وتجعلهم أكثر تعاوناً وتكاتفاً .

ففى الفترة مابين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، حاولت البلاد العربية أن تتخطّى ما وضع بينها من حواجز أقامها الاستعمار ، وجاهدت فى سبيل

---

(٣) انظر : طريق النصر فى معركة الثأر (٣٧٠-٣٩٤).

التخلـّص من القيود التى كبـّلت بها - لغرض عرقلة وحدتها واستنزاف خيراتها وامتصاص قوتها .

وفى مايس (مايو) عام ١٩٤٣ ، دعت مصر ممثلى الدول العربية للتشاور فى إقامة علاقة بينها ، وقد أدّت المباحثات فى اجتماع لجنة تحضيرية إلى إصدار تصريح عرف ب (بروتوكول الإسكندرية).

وقد وقـّعت على هذا البروتوكول الدول العربية فى شهرى كانون الثانى (يناير) وشباط(فبراير) عام ١٩٤٥ وقد جاء هذاالتصريح مشتملاً على عدة مبادىء أهمها مايختص بتكوين جامعةالدولالعربية،وبأنّ فلسطين بلدعربى .

وتكوّنت لجنة فرعية لوضع نظام الجامعة العربية فى صيغته النهائية ، ثم وقّع عليه فى مؤتمر عام فى ٢٢ آذار (مارس) ١٩٤٥ ، وصدّقت عليه الدول العربية .

وبذلك أعلن ميلاد جامعة الدول العربية ، وأصبح ميثاقها نافذالمفعول اعتباراً من اليوم العاشر من مايس (مايو) عام ١٩٤٥ .

إنّ ميثاق جامعة الدول العربية(٤) جاء اتفاقاً إقليمياً ، يضم فى منطقة جغرافية واحدةعدّةدولعربية، تجمع بينها رابطة الجواروالمصالح المشتركة، والتقارب الثقافى واللغوى والتاريخى والروحى ، وتتعاون على حمـــاية مصالحها وتنمية علاقاتها الاقتصادية والثقافية .

ولقد جاء هذا الميثاق متمشياً مع ميثاق الأمم المتحدة - الذى وضع فيما بعد - ولايتعارض مع ماجاء به من نصوص ومواد لاتحول دون قيام تنظيمات أو وكالات إقليميّة تعالج الأمور المتعلقة بحفظ السلام والأمن الدوليين ،ما دامت هذه التنظيمات أو الوكالات الاقليمية ونشاطها متلائمة مع مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها (مادة ٥٢ من ميثاق الأمم المتحدة) .

---

(٤) انظر الملحق (ى)

وذهبت نصوص ميثاق الأمم المتحدة إلى أبعد من ذلك، إذ نصت المادة (٥١): «ليس فى هذا الميثاق مايضعف أو ينتقص الحق للدول فرادى أو جماعات، فى الدفاع عن أنفسهم»، وهذا يبرر التعاون بين دول المنظمات الاقليميه فى سبيل دفع الإعتداء عن أراضيها.

ولكن لم يرد فى ميثاق جامعة الدول العربية مايشير إلى التعاون العسكرى العربى صراحة، وكل ماورد فى هذا الصدد لايعدو ما تضمنته المادة (٦) منه والخاصّة بالاعتداء على الدول الأعضاء: «ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الإعتداء ....»، وقد تكون بين هذه التدابير إجراءات عسكرية.

لقد كان خلوّ هذا الميثاق من نصوص صريحة خاصة بالتعاون العسكرى وتنظيمه نقصاً كبيراً فى الميثاق، خصوصاً وأنّ المنظمات الاقليمية تهدف جميعها إلى توفير الأمن والسلامة لأعضائها، وتنسيق جهود الدول المشتركة فيها لتحقيق هذا الغرض، ودفع أى اعتداء عليها مستخدمة جهودها العسكرية المنسّقة فى سبيل ذلك.

وقد جاءت المادة (٥١) من ميثاق هيئة الأمم المتحدة مؤيّدة لحق الدول فى التعاون العسكرى من أجل سلامتها.

لم تكن بين اللجان التى نصّت المادتان (٢ و ٤) من ميثاق جامعة الدول العربية على تأليفها، لجنة خاصة بالتعاون العسكرى: تحدّده وتنظّمه وتحقق به أهداف الأمن والسلام للدول العربية.

وحتى (التعاون) الذى جاء فى نصوص ميثاق الجامعة العربية، كان اختيارياً، لأن ماتقرره الأكثرية، غير ملزم إلا لمن يقبله فقط، كما جاء فى المادة (٦).

لقد كانت حرب الجيوش العربية فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، حافزاً أبرز نقص ميثاق الجامعة العربية ـ خاصة إلى مواد ونصوص تضع التعاون العسكرى العربى فى حيز التنفيذ .

وهذا النقص أضطر الدول العربية إلى توقيع معاهدة الدفاع المشترك وإلى عقد معاهدات عسكرية ثنائية وثلاثية .

وقد رأينا مصير تلك المعاهدة ومصير المعاهدات الثنائية والثلاثية ، فلم يبق إلاّ تعديل ميثاق الجامعة العربية ليكون أساساً للوحدة العسكرية العربية والوحدة السياسية فى آن واحد .

— ٣ —

إنّ الوحدة العربية الشاملة الناجزة ، هى مطلب العرب فى كل مكان .

ولكن هذه الوحدة إذا قدّر لها أن تتأخر ، فليس معنى ذلك أن يبقى العرب جامدين لايتحركون ، بل عليهم أن يجدوا الطريق لبناء مايمكن أن يكون فى المستقبل نواة للوحدة العربية السياسية .

لقد ذكرنا سابقاً ، أن القيادة العربية الموحّدة ، بدون قيادة سياسية ترتبط القيادة العربية الموحدة بها وتتلقى توجيهاتها منها ، لايمكن أن تنجح فى أداء مهمتها .

كما أنّ القيادة العربية الموحّدة بدون وحدة عسكرية عربية لا يمكن أن تنجح فى أداء مهمتها أيضاً .

والتنظيم السليم للعمل العسكرى والسياسى ، يشير إليه المخطط المرفق.(٥)

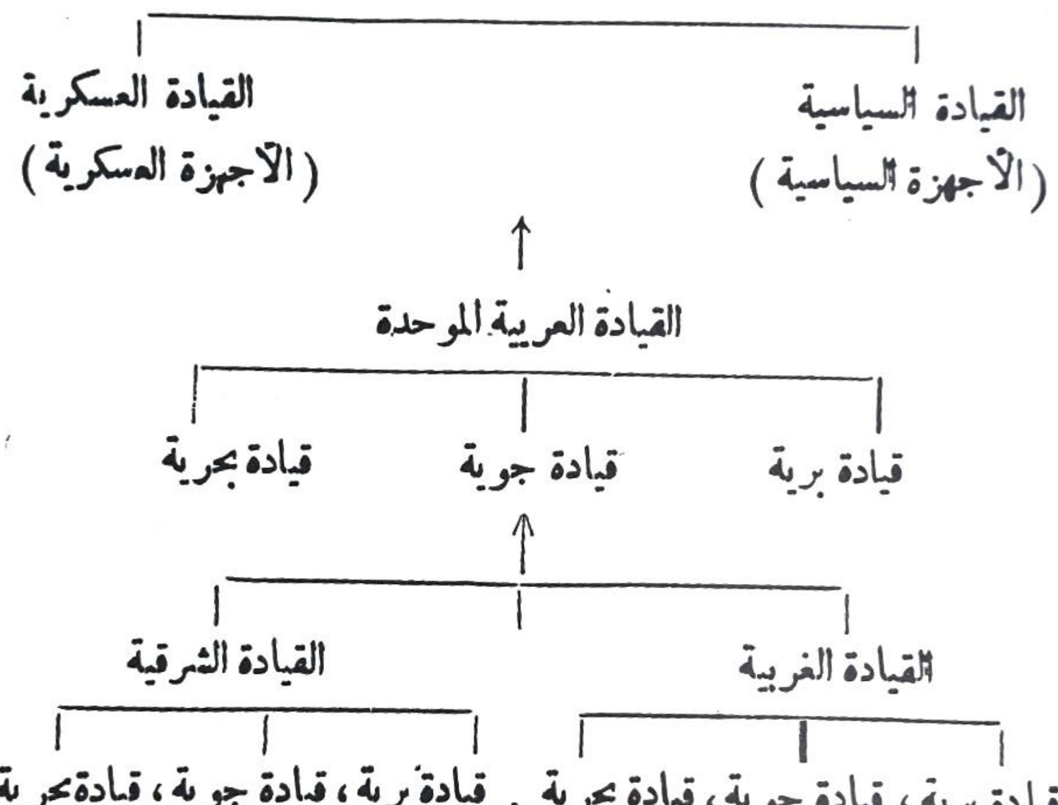
فكيف يمكن أن تكون القيادة السياسية فى هذه الظروف التى تجتازها الأمة العربية ؟

---

(٥) انظر الملحق (ب) والملحق (ج) .

الملحق (ب)

الجامعة العربية



جيش ج ٠ع ٠م
جيش السودان
جيش ليبيـــا
جيش تونس
جيش الجزائر
جيش المغرب

جيش العراق
جيش سورية
جيش الأردن
جيش السعودية
جيش الكويت
جيش لبنان
جيش اليمن

-*-*-*-

وبكلمات موجزة ، فإن الموقف السياسي العربي يمكن أن يلخص بالآتي:

هناك تناقضات بين الدول العربية لا مجال لاخفائها ، لأنها واضحة معروفة بالنسبة للأعداء والأصدقاء .

والزمن كفيل بأن يحل كثيراً من تلك التناقضات .

ولكن هناك نقطة التقاء للعرب ، هي قضية فلسطين ، لا يختلف فيها عربي واحد أو مسلم واحد .

والوقت مع العرب على إسرائيل إذا وجد العرب طريقهم السوي وساروا عليه[٦].

ولكن الوقت مع إسرائيل على العرب ، إذا بقي العرب سادرين في غيهم يغطون في نومهم العميق .

فلابد للعرب من مسابقة الزمن لترجح كفتهم على إسرائيل ، وذلك بحشد كل طاقاتهم المادية والمعنوية للحرب ، واستخدام هذه الطاقات في المكان والزمان المناسبين .

وحشد الطاقات العربية للحرب لا يمكن أن يتم اعتباطاً ، بل يحتاج إلى التخطيط الدقيق والخطط العسكرية المدبرة .

وهذا التخطيط وتلك الخطط ، لا ينهض بها غير قيادة عربية موحدة ، على رأسها قيادة سياسية رصينة ، تضع كل مصلحة قطرية ضيقة تحت أقدامها وتنسى كل ما مضى من دواعي التناحر والفرقة من أجل تحقيق الوحدة العسكرية العربية ومن أجل استعادة الحق العربي في الأرض المقدسة .

ذلك هو الطريق السوي لانتصار العرب على إسرائيل .

---

(٦) انظر التفاصيل في كتاب : الأيام الحاسمة قبل معركة المصير وبعدها (٨١ـ٩٢) .

إنّ القيادة العربية الموحّدة ، قائمة فى الوقت الحاضر ، وهى بحاجة ماسّة إلى عون العرب ودعمهم مادياً ومعنوياً .

وعلى العرب أن يفكّروا بإنشاء قيادة سياسية ، لتعمل هذه القيادة السياسية العربية بتعاون وثيق مع القيادة العربية الموحدة ، حتى تنبثق الوحدة العسكرية العربية الشاملة .

وبدون شك ، فأن مجال الإجتهاد مفتوح أمام مفكرى العرب من سياسيين وعسكريين لاقتراح صيغة أو صيغ معيّنة تكون أساساً لمولد القيادة السياسية العربية ، بالنسبة لظروف العرب الراهنة وأوضاعهم السياسية القائمة .

ومن حق كل مفكر عربى أن يقول كلمته حول هذا الموضوع الحيوى ، فقد يكون لاصطراع الآراء وتقليب المقترحات مايفيد العرب وينقذهم من جمودهم السياسى الراهن ويؤدى بهم إلى إيجاد الحل المناسب السّليم .

— ٤ —

كان من الواضح أن الحلّ الوحيد لاسترداد حقوق العرب فى الأرض المقدسة هو : الحرب .

وإسرائيل لاتكتفى بالذى استولت عليه فى حرب ١٩٦٧ ، بل لها مطامع توسعيّة فى البلاد العربية : من النيل إلى الفرات .

وهذه المطامع التوسّعية على حساب العرب ، لاتخفيها الصهيونية العالميّة ، بل تجهر بها وتذيعها على الناس فى صحفها وكتبها وإذاعاتها وكل وسائلها الإعلامية .

والقوّة العربية هى التى تضع حداً لمطامع إسرائيل التوسعية وتعيد

للعرب حقوقهم(٧).

وليس هناك قوة فى الأرض يمكن أن تتحمل عن العرب واجبهم فى قتال إسرائيل سواء أكانت تلك القوة شرقية أم غربية ،

وقد يعاون الشرق الجيوش العربية بالسلاح والذخيرة ، أما بالرجال المقاتلين فلا .

والمسلمون الصادقون وحدهم الذين يمكن أن يعاونوا العرب بالأموال والأرواح فى الحرب ، لأن الأرض المقدسة والقدس الشريف هى للمسلمين كافة لا للعرب وحدهم .

ولكن إدخال أسوأ الاحتمالات فى القضايا المصيرية أمر مهم جداً ، فلابدّ للعرب من أن يدخلوا فى حسابهم أنهم وحدهم سيقاتلون إسرائيل .

فكيف يمكن للعرب أن يحشدوا كل طاقاتهم المادية والمعنوية بالنسبة لظروفهم الراهنة ولأحوالهم السياسيّة السائدة ؟

أضع هذا الاقتراح بهذه الدراسة أمام ملوك ورؤساء العرب ، الذين سيجتمعون اليوم أو غداً فى مؤتمر القمة الخامس ، بعد إخفاق يارنك(٨) فى مهمّة السلام .

هذا الاقتراح هو : تحوير الجامعة العربية لتكون حلفاً عسكرياً سياسيا للعرب .

بامكان ملوك العرب ورؤسائهم أن يتدارسوا أمر تعديل ميثاق الجامعة العربية الراهن ، لتصبح أداة فعّالة مؤثّرة فى علاقات العرب السياسية والعسكرية .

---

(٧) انظر التفاصيل فى : الأيام الحاسمة (١٥٥ - ١٦٩) ، وقد كتبنا هذا المقال فى جريدة العرب البغدادية فى شهر تموز (يوليو) ١٩٦٧ .

(٨) أذيع يوم ٩/١٢/١٩٦٨ ، بأنه أبدى رغبته لحكومته فى العودة إلى مقر عمله سفيراً لبلاده فى موسكو . وأقول : إن مهمته ستتحقق حتما ، وقد قلت ذلك علناً فى مقال نشرته الصحف العراقية بعد النكسة مباشرة .

واقترح أن تهيّأ الدراسات العميقة الشاملة لأسلوب تعديل ميثاق الجامعة العربية قبل اجتماع الملوك والرؤساء فى مؤتمر القمة ، ليكون من ضمن واجباتهم : إقرار هذا التعديل .

إنّ الجامعة العربية قد تأسّست قبل هيئة الأمم المتحدة كما ذكرنا سابقا ، وبعد تأسيس تلك الهيئة وانضمام الدول العربية إليها ، لم يعد لبقاء الجامعة العربية بشكلها الأول أية ضرورة .

إنّ التزامات الدول العربية نحو بعضها بموجب ميثاق الأمم المتحدة ، لاتختلف عن التزاماتها نحو بعضها بموجب ميثاق الجامعة العربية .

فما فائدة بقاء الجامعة العربية إذن ، إذا لم تحقّق للعرب شيئاً أفضل مما تحقّقه لهم هيئة الأمم المتحدة ؟

إنّ منطق التطوّر والواقع العربى ، يقضيان بتحويل الجامعة العربية إلى حلف سياسى وعسكرى ، إذا أريد للبلاد العربية الخير وللجامعة العربية البقاء .

ولاشك فى أن كيان الجامعة العربية ، حين تصبح حلفاً عسكرياً سياسياً ، سيكون أقوى مما هو عليه الآن داخل البلاد العربية وخارجها ، إذ أنّ مجرد إقامة هذا الحلف سيزيد فى التحام الدول العربية بالجامعة العربية ، وسيساعد على زيادة شعور الجامعة العربية نحو القضايا العسكرية ، لأنها ستكون مسؤولة عن تلك القضايا بالأضافة إلى مسؤولياتها السياسيّة .

والواقع هو أن ميثاق الجامعة العربية ، جمع شمل الدول الأعضاء فى رابطة ابتدائية وتجريبية ، إلاّ أنه لم ينشىء أجهزة قوية لها من السّلطات والصلاحيّات مايجعلها قادرة على تحقيق أهداف الجامعة .

لذلك جاءت هذه المنظمة إتحاداً ضعيفاً وجوده أفضل من عدمه ، ولو أنّ هذا الوجود كان يجب أن يكون أكثر فائدة للعرب وجدوى .

لقد أثبتت الأحداث السياسية والعسكرية التي مرّت بالعرب منذ كانت الجامعة العربية حتى اليوم ، أنه لم يعد لبقاء ميثاق الجامعة العربية بشكله الحالى أى معنى أو فائدة .

كما أنّ ميثاق الضمان الجماعى أصبح لا يلائم الأوضاع العربية الراهنة ، فغدا من الضرورى وضع ميثاق جديد للجامعة العربية تتحوّل بموجبه هذه المنظمة إلى حلف عسكرى وحدوى واتحاد سياسى ، يلائم التطورات التى طرأت على العلاقات العربية فى مؤتمرات القمة ، ويبعث فى الجامعة العربية قوة جديدة تحملها على تحقيق الأهداف الحيوية الكبيرة للعرب .

يجب أن يعالج ميثاق الجامعة العربية الجديد نواقص ميثاق الضمان الجماعى ، وأن يقيم أجهزة الجامعة العربية التى لها علاقة بالقضايا العسكرية والسياسية على أسس جديدة قوية ، وأن يرسم بدقة وإتقان دور كل منها ومسئوليته فى تسيير دفّة الوحدة العسكرية العربية وتحقيق أهدافها السامية .

— ٥ —

فماذا عن إعادة النظر فى الأجهزة العسكرية للجامعة العربية ؟

يحسن بنا الإفادة من تجارب الأحلاف العسكرية الكبرى فى العالم ، وعلى رأسها حلفان : حلف وارشو للدول الشرقية ، وحلف الأطلسى للدول الغربية .

وعلى ضوء تلك التجارب ، وعلى ضوء الوضع العربى الراهن ، نقترح أن تتألف أجهزة الوحدة السياسية العربية والوحدة العسكرية كما يلى :

أ ـ مجلس الملوك والرؤساء العرب :

تقرر إنشاء هذا المجلس فى مؤتمر القمة الأول ، فأصبح بذلك أعلى جهاز سياسى وعسكرى فى الجامعة العربية .

وتقرر أن يجتمع دورياً فى كل عام على الأقل .

وقد لخّص الأمين العام لجامعة الدول العربية واجبات هذا المجلس فقال : « إنه يعالج المصالح المشتركة ، ويرسم الاتجاهات السياسية ، ويقدّم التوجيهات الكبرى ، ويرعى تنفيذ المقررات » .

ومن الطبيعى ، أنّ هذا المجلس سيتولى رسم السياسية العليا للعرب والسياسة العسكرية للدول العربية ، وسيصادق على القرارات الهامة الذى سيعرضها عليه مجلس الدفاع المشترك وتعرضها عليه القيادة العربية الموحدّة ، وهو الذى سيبتّ فى القضايا العسكرية كافة التى تكون موضع خلاف بين الدول العربية ، وسيحل المشاكل التى تعجز أجهزة الجامعة العربية الأخرى عن حلّها .

ب ـ مجلس رؤساء الحكومات العربية :

تألف هذا المجلس بناءً على قرار الملوك والرؤساء العرب فى مؤتمر القمة الثانى .

وهو يتألف من رؤساء الوزارات فى البلاد العربية .

واجبه : متابعة ومواصلة الإجتماعات الدورية ، بوضع مقررات مؤتمرات القمة فى حيّز التنفيذ العملى .

ولما كان هذا المجلس ، سيعالج الخطط العربية فى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها ، فمن الطبيعى أن يضمّ إلى جانب رؤساء الوزارات ، عدداً من وزراء كل حكومة عربية من بينهم وزراء الخارجية والدفاع العرب ، كما يضم رؤساء أركان الجيوش العربية

وبعبارة أخرى ، سيحضر اجتماعات هذا المجلس أعضاء مجلس الدفاع المشترك .

وبتأليف هذا المجلس ، سيكون المسؤولون العرب من أعلى المستويات بتماس شديد فيما بينهم دوما للبت فى القضايا السياسية والعسكرية ، وحل مشاكلها وإعطاء القرارات اللازمة بصددها .

ح - مجلس الدفاع المشترك :

يعتبر هذا المجلس الموجه الرئيس للسياسة العسكرية العربية .

ويتألف من : وزراء الخارجية والدفاع العرب .

والأفضل أن يتألف من وزراء الدفاع العرب ورؤساء أركان الجيوش العربية ، لأن وجود وزراء الخارجية العرب فى هذا المجلس ، يؤدى إلى إضاعة الوقت فى مناقشة القضايا السياسية أكثر من الاهتمام فى الشؤون العسكرية .

إن تأليف هذا المجلس من وزراء الخارجية والدفاع معاً ، ماهو إلا تقليد أعمى لتأليف مجلس حلف الاطلسى .

وإذا قيل : إن للقضايا السياسية علاقة بالقضايا العسكرية ، فإن ذلك لايبرر جعل وزراء الخارجية أعضاء فى مجلس الدفاع المشترك ، لان المفروض فى وزراء الدفاع العرب أن يعرفوا السياسة الخارجية لحكوماتهم حق المعرفة .

والواقع أن إشراك وزراء الخارجية فى معالجة قضايا الدفاع مع وزراء الدفاع ، هو مثار للانتقاد حتى فى أوساط الحلف الاطلسى .

فقد جاء فى مذكرات المشير مونتكومرى الذى كان أول نائب للقائد

على لقيادة حلف الاطلسى[٩] : « إن قضايا الدفاع أصبحت بيد وزراء الخارجية ، وهؤلاء لا يعرفون عن الموضوع إلا القليل . وهم إلى جانب ذلك ليسوا مسؤولين عن الشئون الدفاعية ، فيجب أن يكون للناتو[١٠] لجنة دفاع خاصة مؤلفة من وزراء الدفاع ، تعالج جميع قضايا الدفاع ، وتقدم التوصيات بشأنها إلى مجلس الناتو[١١] » .

لهذه الأسباب ، يستحسن أن يقتصر مجلس الدفاع المشترك على وزراء الدفاع العرب ورؤساء أركان الجيوش العربية .

وبذلك يندمج جهازان من أجهزة الجامعة العربية العسكرية فى جهاز واحد ، وهما : مجلس الدفاع المشترك والهيئة الإستشارية العسكرية ، الأمر الذى يسهل اجتماعها وتعاونهما .

إن اشتراك رؤساء أركان الجيوش العربية فى مجلس الدفاع المشترك ، لا يحول دون دعوة هؤلاء إلى الاجتماع لوحدهم إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، غير أنه لابد من حضورهم دوماً مع وزراء الدفاع العرب ، لأنهم المستشارون الفنيون لهؤلاء الوزراء .

ومن الضرورى أن يحضر أعضاء مجلس الدفاع المشترك فى كل اجتماع يعقده مجلس الملوك والرؤساء العرب ، وذلك إلى جانب وزراء الخارجية والوزراء الآخرين .

على أن مجلس الدفاع المشترك يجب أن يجتمع دوريا مرتين فى كل عام على الأقل ، بالإضافة إلى حضور أعضائه إجتماع مجلس الملوك والرؤساء العرب ومجلس رؤساء الحكومات العربية .

---

(٩) . كان ذلك فى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦١ .
(١٠) . حلف الأطلسى .
(١١) . مذكرات مونتكومرى ص(٤٦٨) .

وينبغى تثبيت موعد كل اجتماع لكى يلتزم أعضاء المجلس بحضوره .

وعلى الجامعة العربية أن تبذل قصارى جهدها لتأمين انعقاد المجلس فى المواعيد المقرّرة ، لأنّ نجاح الشؤون العسكرية العربية يتوقف على انعقاد هذا المجلس بمواعيده بكل حرص واخلاص .

د ـ اللجنة العسكرية الدائمة :

بعد تأليف القيادة العربية الموحّـدة ، أصبح من الضرورى إعادة النظر فى واجبات اللجنة العسكرية الدائمة فى الجامعة العربية .

إنّ واجبات هذه اللجنة مبيّـنة فى الملحق العسكرى لمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى (أنظر الملحق أ) .

ولو أمعنا النظر فى بنود هذه المعاهدة ، لوجدنا أنه لم يعد من واجبات اللجنة العسكرية الدائمة إنجاز ما جاء فى المواد (أ) و (ب) و (هـ) من البند الأول من الملحق العسكرى ، فقد أصبحت هذه كلها من واجبات القيادة العربية الموحّـدة .

فالمادة (أ) تنص على إعداد الخطط العسكرية لمواجهة جميع الأخطار المتوقعة أو أى اعتداء مسلح يمكن أن يقع على دولة أو أكثر من الدول المتعاقدة ،.. إلخ . . .

وهذا من واجب القيادة العربية الموحّـدة .

والمادة (ب) تنص على تقديم المقترحات لتنظيم قوات الدول المتعاقدة ولتعيين الحد الأدنى لقوات كل منها حسبما تمليه المقتضيات الحالية وتساعد عليه إمكانات كل دولة .

وهذا من واجب القيادة العربية الموحّـدة .

والمادة (هـ) تنص على تبادل البعثات التـدريبية وتهيئة الخطط للتمارين والمناورات المشتركة بين قوات الدول المتعاقدة . . إلخ . . .

وهذا من واجبات القيادة العربية الموحّدة أيضاً .

أما المواد (ى) و (و) و (ز) ، فيمكن أن تبقى من واجبات اللجنة العسكرّية الدائمة ، لأن الجامعة العربية فيها أجهزة غير عسكرية يمكن ان تعاون هذه اللجنة فى إنجاز واجباتها المنصوص عليها فى هذه المواد ، خاصة ما يمت بصلة إلى القضايا الاقتصادية والاحصائيات .

أما المادة (ح) من البند الأول التى تنص على : « تقديم المقترحات لزيادة كفاية الدول المتعاقدة من حيث التسليح والتنظيم والتـدريب ليتمشّى مع أحدث الأساليب والتـطورات العسكرية ، وتنسيق كل ذلك وتوحيده » ، فذلك من صميم واجبات القيادة العربية الموحّـدة .

ولكن ، هل تُلغى هذة اللجنة ؟

إنّ وجودها مهم جداً ، ذلك لأنّ واجبها المقترح هو أن تكون هيئة إرتباط بين أجهزة الجامعة العربية السياسية خاصّة وأجهزة الجامعة العربية الأخرى عامّة وبين القيادة العربية الموحدة .

كما يكون واجبها توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية وأساليب التـدريب المختلفة ونشر الكتب العسكرية ـ بالتعاون مع القيـــادة العربية الموحّـدة ـ على النطاق العربى .

كما يكون واجبها النهوض بمهمّة البحوث العلمية لتطوير الأسلحة واختراع أسلحة جديدة .

هـ ـ الأمين العام المساعد العسكرى :

واجبه : مساعدة الأمين العام للجامعة العربية في معالجة وإدارة القضايا العسكرية كافة التي تجري بإشراف الجامعة العربية .

ويمكن تلخيص واجباته بما يلي :

أولا : هو المستشار - للأمين العام في جميع القضايا العسكرية ، فإذا كان الأمين العام مدنياً ، فسيكون الأمين العام المساعد العسكري المسؤول الأول عن القضايا العسكرية في الجامعة العربية .

أما إذا أصبح الأمين العام للجامعة العربية عسكرياً من النوع المتميز الرفيع الذي يشرّف الكرسي ولا يشرفه الكرسي ، فسيكون الأمين العام المساعد العسكري ضابط ركن الأمين العام وساعده الأيمن في الشؤون العسكرية ، وهو الذي يكون همزة الوصل بين الجامعة العربية من جهة والقيادة العربية الموحّدة من جهة أخرى .

ثانياً : هو الرأس المدبّر والدماغ المفكّر لتفاصيل القضايا العسكرية التي لها صلة مباشرة بالجامعة العربية .

ثالثاً : هو المسؤول عن إعداد ملاكات الأجهزة العسكرية التي مرّ ذكرها سابقاً من أشخاص ووسائط نقل ومواد وأجهزة المواصلات الداخلية.

رابعاً : هو المسؤول عن تفاصيل الميزانية العسكرية للجامعة .

خامساً : هو الذي يُعد تفاصيل جداول أعمال الأجهزة العسكرية ومناهج أعمالها وما عليها أن تنجزه من واجبات ، وتوقيت جداول أعمال الأجهزة العسكرية وكيف ومتى تنجز واجباتها .

سادساً : هو المسؤول عن إعداد النشرات اللازمة عن واجبات هذه الأجهزة وعن فعالياتها .

سابعاً : هو المسؤول عن تنسيق التعاون الوثيق الفعّال بين الأجهزة المذكورة .

ثامناً : هو المسؤول عن تقديم التقارير المفصّلة عن تطوّر الوحدة العسكرية وعن المراحل التى وصلت إليها وعن العقبات التى صادفتها وعن الأسلوب النّاجع لمعالجة تلك العقبات والتغلب عليها .

تلك واجبات صعبة لا يستطيع النهوض بها إلاّ ضابط فذ من الدرجة المتميّزة على أن يكون متفرغاً لعمله تمام التفرغ ، كأنه لم يخلق إلاّ لإنجاز هذا العمل .

أما أن يكون الأمين العام المساعد العسكرى غير متفرّغ لعمله ، فأنه لن يستطيع أداء واجباته الثقيلة الصعبة على الوجه المطلوب ، حتى ولو كان من ألمع الضباط وأقدرهم .

وقد جرت تقاليد الجامعة العربية ، أن يتولى هذا المنصب رئيس هيئة أركان الجيش المصرى ، وهذا خطأ بدون جدال .

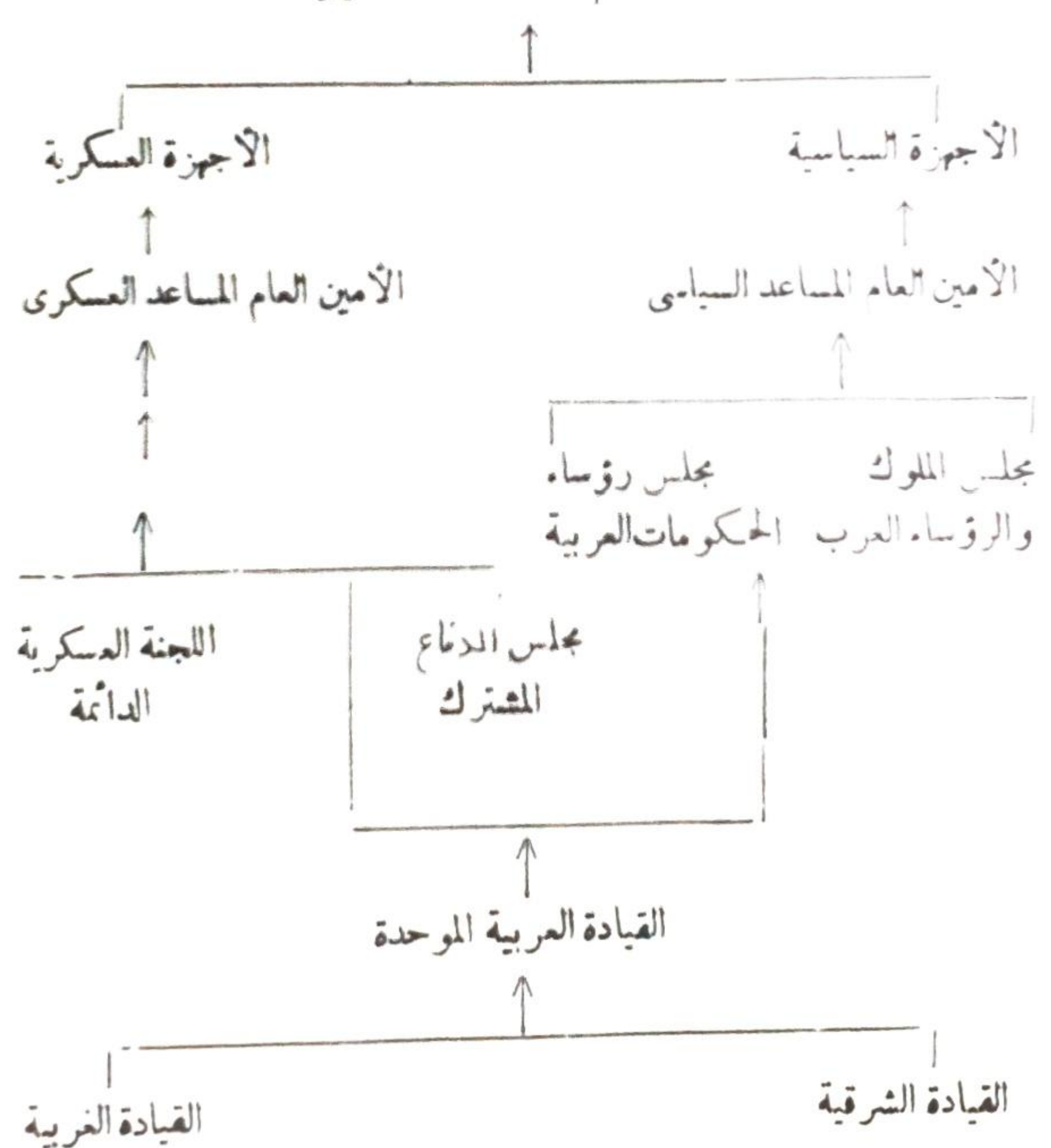
إنّ رئيس هيئة أركان الجيش المصرى ، أسوة ببقية رؤساء هيئات أركان الجيوش العربية ، له واجبات تُثقل كاهله بحيث ينوء بحملها مهما أوتى من قوّة وأمانة وإخلاص .

ورؤساء هيئات أركان الجيوش العربية ، يكونون مرتكسين إلى الأذقان بواجباتهم فى أيام السلام ، فكيف يكون حالهم فى أيام الحرب أو فى أيام توقّع نشوب الحرب وفى فترة إعداد جيوشهم لحرب آتية لا ريب فيها ؟

إنّ عدم وجود ضابط متفرّغ لواجبات الأمين العام المساعد العسكرى ،

الملحق (حـ)

أسلوب عمل الجامعة العربية حلفاً سياسياً عسكرياً



أدى إلى شلل اللجنة العسكريّة الدائمة فى الجامعة العربية ، حتى أصبحت حاضرة كالغائبة ، وغائبة كالحاضرة .

وهذا ليس فى مصلحة العرب العسكرية ابداً .

فلابدّ من اختيار ضابط متميِّز ليقوم بواجب الأمين العام المساعد العسكرى ، متفرّغا لهذا الواجب وحده ، لا يشغله واجب آخر غيره ، وصدق الله العظيم : « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه »[١٢] .

انظر الملحق (حـ) لأسلوب العمل السياسى العسكرى المقترح فى الجامعة العربية[١٣] .

— ٦ —

ذلك ما يمكن ان يحقّقه العرب فى ظروفهم الراهنة ، وهو أن تكون الجامعة العربية بعد تعديل ميثاقها حلفاً سياسياً عسكرياً للعرب .

ولعلّ مؤتمر القمة الخامس يحقّق للعرب هذا الأمل الكبير .

ولعلّ المؤتمرات العسكرية العربية على المستويين القطرى والعربى ، يهيئان الدراسات المستفيضة الدقيقة لتحقيق هذا الهدف الحيوى .

لابد من الحركة لحشد الطاقات المادية والمعنوية للعرب من أجل المجهود الحربى دفاعاً عن البلاد العربية وإستعادة لحقوق العرب المشروعة فى الأرض المقدّسة .

والوقت ثمين ، وإسرائيل تستفيد من كلّ ثانية تمر ، والطريق واضحة المعالم للعرب ، فلابدّ من سلوكها قبل فوات الأوان .

---

(١٢) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٤) .

(١٣) انظر : التعاون العسكرى العربى (١٠٣ — ١١٦) .

الملحق (د)

ميثاق جامعة الدولة العربية

... ...

إنّ رؤساء: سورية، شرق الأردن ، العراق، المملكة العربية السعودية ، لبنان ، مصر، اليمن .

تثبيتاً للعلاقات الوثيقة والرّوابط العديدة بين الدول العربية وحرصاً على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها ، وتوجيهاً لجهودها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح احوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها ، واستجابة للرّأى العربى العام فى جميع الأقطار العربية .

قد اتفقوا على عقد ميثاق لهـــذه الغاية ، وأنابوا عنهم المفوّضين الآتية أسمائهم :

... ...

الذين بعد تبادل وثائق تفويضهم ، التى تخـولهم سلطة كاملة والتى وجدت صحيحة ومستوفاة الشّـكل ، قد اتفقوا على ما يأتى :

مادة ١ — تتألف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة الموقّعة على هذا الميثاق .

ولـكل دولة عربية مستقلة الحق فى أن تنضم إلى الجامعة ، فإذا رغبت فى الانضمام قدمت طلباً بذلك يودع لدى الأمانة العامة الدائمة ، ويعرض على المجلس فى أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب .

مادة ٢ — الغرض من الجامعة توثيق الصّلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها ، والنظر بصفة عامة فى شؤون البلاد العربية ومصالحها .

كذلك من أغراضها تعاون الدّول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظام كل دولة منها وأحوالها فى الشؤون الآتية :

(ا) الشؤون الاقتصادية والمالية ، ويدخل فى ذلك التّبادل التجارى والجمارك والعملة وأمور الزراعة والصناعة .

(ب) شؤون المواصلات ، ويدخل فى ذلك السكك الحديديّة والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

(ح) شؤون الثقافة .

(ء) شؤون الجنسيّة والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين .

(ه) الشؤون الاجتماعية .

(و) الشؤون الصحية .

مادة ٣ — يكون للجامعة مجلس يتألف من ممثلى الدول المشركة فى الجامعة ، ويكون لكل منها صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها .

وتكون مهمته القيام على تحقيق أغراض الجامعة ، ومراعاة تنفيذ ما تبرمه الدول المشتركة فيها من اتفاقات فى الشؤون المشار إليها فى المادة السابقة وفى غيرها .

ويدخل فى مهمة المجلس كذلك تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لكفالة الأمن والسلام ولتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

مادة ٤ — تؤلف لكل من الشؤون المبيّنة فى المادة الثانية لجنة خاصة ، تمثل فيها الدول المشتركة فى الجامعة . وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه ، وصياغتها فى شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها تمهيداً لعرضها على الدّول المذكورة .

ويجوز أن يشترك فى اللجان المتقدم ذكرها أعضاء يمثلون البلاد العربية الأخرى ، ويحدّد المجلس الأحوال التى يجوز فيها اشتراك أولئك الممثلين وقواعد التمثيل .

مادة ٥ — لايجوز الالتجاء إلى القوّة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة ، فإذا نشب خلاف لايتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها ولجأ المتنازعون إلى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره عندئذ نافذاً وملزماً .

وفى هذه الحالة لايكون للدول التى وقع بينها الخلاف الاشتراك فى مداولات المجلس وقراراته .

ويتوسّط المجلس فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها ، للتوفيق بينهما وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط بأغلبية الآراء .

مادة ٦ — إذا وقع اعتداء من دولة على دولة من أعضاء الجامعة أو خشى وقوعه فللدولة المعتدى عليها أو المهدّدة بالاعتداء أن تطلب دعوة المجلس للانعقاد فوراً .

ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الاعتداء ، ويصدر القرار بالإجماع ، فإذا كان الاعتداء من إحدى دول الجامعة لايدخل فى حساب الإجماع رأى الدولة المعتدية .

وإذا وقع الاعتداء بحيث يجعل حكومة الدّولة المعتدى عليها عاجزة عن الاتصال بالمجلس ، فلممثل تلك الدولة فيه أن يطلب انعقاده للغاية المبيّنة فى الفقرة السابقة ، وإذا تعذّر على الممثل الاتصال بمجلس الجامعة حق لأية دولة من اعضائها أن تطلب انعقاده .

مادة ٧ — ما يقرّره المجلس بالإجماع يكون ملزماً لجميع الدول المشتركة فى الجامعة ، وما يقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزماً لمن يقبله .

وفى الحالتين تنفذ قرارات المجلس فى كل دولة وفقاً لنظمها الأساسية.

مادة ٨ — تحترم كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة نظام الحكم القائم فى دول الجامعة الأخرى ، وتعتبره حقاً من حقوق تلك الدّول ، وتتعهّد بأن لا تقوم بعمل يرمى إلى تغيير ذلك النظام فيها .

مادة ٩ — لدول الجامعة العربية الرّاغبة فيما بينها فى تعاون أوثق وروابط أقوى مما نصّ عليه هذا الميثاق، أن تعقد بينها من الاتفاقات ماتشاء لتحقيق هذه الأغراض .

والمعاهدات والاتفاقات التى سبق أن عقدتها أو التى تعقدها فيما بعد دولة من دول الجامعة مع أية دولة أخرى لا تُلزم ولا تقيّد الأعضاء الآخرين .

مادة ١٠ — تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية، ولمجلس الجامعة أن يجتمع فى أى مكان آخر يعيّنه .

مادة ١١ — ينعقد مجلس الجامعة انعقاداً عاديا مرتين فى العام فى كل من شهرى مارس وأكتوبر ، وينعقد بصفة غير عادية كلّما دعت الحاجة إلى ذلك بناء على طلب دولتين من دول الجامعة .

مادة ١٢ — يكون للجامعة أمانة عامة دائمة، تتألف من أمين عام وأمناء مساعدين وعدد كاف من الموظفين .

ويعيّن مجلس الجامعة بأكثرية ثلثى دول الجامعة الأمين العام ، ويعين الأمين العام بموافقة المجلس الأمناء المساعدين والموظفين الرئيسيين فى الجامعة .

ويضع مجلس الجامعة نظاماً داخلياً لأعمال الأمانة العامة وشؤون الموظفين ويكون الأمين العام فى درجة سفير والأمناء المساعدون فى درجة وزراء مفوّضين .

ويعيّن فى ملحق لهذا الميثاق أول أمين عام للجامعة .

مادة ١٣ - يُعد الأمين العام مشروع ميزانية الجامعة ، ويعرضه على المجلس للموافقة عليه قبل بدء كل سنة مالية .

ويحدد المجلس نصيب كل دولة من دول الجامعة فى النفقات ، ويجوز أن يعيد النظر فيه عند الاقتضاء .

مادة ١٤ - يتمتّع أعضاء مجلس الجامعة وأعضاء لجانها وموظفوها ، الذين ينص عليهم فى النظام الداخلى بالإمتيازات وبالحصانة الدبلوماسيّة أثناء قيامهم بعملهم .

وتكون مصونة حُرمة المبانى التى تشغلها هيئات الجامعة .

مادة ١٥ - ينعقد المجلس للمرّة الأولى بدعوة من رئيس الحكومة المصرية ، وبعد ذلك بدعوة من الأمين العام .

ويتناوب ممثلو دول الجامعة رياسة المجلس فى كل انعقاد عادى .

مادة ١٦ - فيما عدا الأحوال المنصوص عليها فى هذا الميثاق يكتفى بأغلبية الآراء لإتخاذ المجلس قرارات نافذة فى الشئون الآتية :

(ا) شئون الموظفين .

(ب) إقرار ميزانية الجامعة .

(ح) وضع نظام داخلى لكل من المجلس واللّجان والأمانة العليا .

(ء) تقرير فض أدوار الاجتماع .

مادة ١٧ - تودع الدولة المشتركة فى الجامعة الأمانة العامة نسخاً من

جميع المعاهدات والاتفاقات التى عقدتها أو تعقدها مع أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها .

مادة ١٨ - إذا رأت إحدى دول الجامعة أن تنسحب منها أبلغت المجلس عزمها على الإنسحاب قبل تنفيذه بسنة .

ولمجلس الجامعة أن يعتبر أيّة دولة لا تقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة وذلك بقرار يصدره بإجماع الدول عدا الدولة المشار إليها .

مادة ١٩ - يجوز بموافقة ثلثى دول الجامعة تعديل هذا الميثاق ، وعلى الخصوص لجعل الرّوابط بينها أمتن وأوثق ، ولإنشاء محكمة عدل عربيّة ، ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لكفالة الأمن والسلام :

ولا يبتّ فى التعديل إلاّ فى دور الانعقاد التالى للدّور الذى يقدّم فيه الطلب .

وللدولة التى لا تقبل التعديل أن تنسحب عند تنفيذه دون التقيدّ بأحكام المادة السابقة .

مادة ٢٠ - يصدق على الميثاق وملاحقه وفقاً للنظم الأساسيّة المرعيّة فى كل من الدّول المتعاقدة .

وتودع وثائق التصديق لدى الأمانة العامة ، ويصبح الميثاق نافذاً من قبل من صدّق عليه بعد انقضاء خمسة عشر يوماً من تاريخ استلام الأمين العام وثائق التصديق من أربع دول .

حرّر هذا الميثاق باللغة العربية فى القاهرة بتاريخ ٨ ربيع الثانى سنة ١٣٦٤ هـ (٢٢ مارس سنة ١٩٤٥) من نسخة واحدة تحفظ فى الأمانة العـــامّة .

وتسلم صورة منها مطابقة للأصل لكل دولة من دول الجامعة .

ملحق خاص بفلسطين

منذ نهاية الحرب العظمى الماضية ، سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدولة العثمانية ، ومنها فلسطين ، ولاية تلك الدولة ، وأصبحت مستقلة بنفسها ، غير تابعة لأية دولة أخرى ، وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها لأصحاب الشأن فيها وإذا لم تكن قد مكّنت من تولى أمورها . فإن ميثاق العصبة فى سنة ١٩١٩ لم يقرّر النظام الذى وضعه لها إلا على أساس الاعتراف باستقلالها ، فوجودها واستقلال الدول من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه . كما أنه لا شك فى استقلال البلاد العربية الأخرى ، وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلّت محجوبة لأسباب قاهرة ، فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلاً دون اشتراكها فى أعمال مجلس الجامعة .

ولذلك ترى الدول الموقّعة على ميثاق الجامعة العربية أنه نظراً لظروف فلسطين الخاصة وإلى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلاً يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربى فلسطينى للاشتراك فى أعماله .

ملحق خاص بالتعاون مع الدول العربية

غير المشتركة فى مجلس الجامعة

نظراً لأن الدول المشتركة فى الجامعة ستباشر فى مجلسها وفى لجانها شئوناً يعود خيرها وافراً على العالم العربى كله ولأن أمانى البلاد العربية غير المشتركة فى المجلس ينبغى له أن يرعاها وأن يعمل على تحقيقها .

فإن الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية يعنيها بوجه خاص أن توصى مجلس الجامعة ، النظر فى إشراك تلك البلاد فى اللّجان المشار إليها

فى الميثاق ، بأن يذهب فى التعاون معها إلى أبعد مدى مُستطاع ، وفيما عدا ذلك ، بألاّ يدَّخر جهداً لتعرف حاجاتها وتفهّم أمانيها وآمالها ، وبأن يعمل بعد ذلك على إصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهيؤه الوسائل السياسة من أسباب .

ملحق خاص بتعيين الأمين العام للجامعة

اتفقت الدول الموقّعة على هذا الميثاق على تعيين سعادة عبد الرحمن عزام « بك » أميناً عاماً لجامعة الدول العربية .

ويكون تعيينه لمدة سنتين ، ويحدّد مجلس الجامعة فيما بعد النظام المستقبل للأمانة العامة .

***

أثر الوحدة العسكرية
في المعنويات

- ١ -

أ - قبيل نشوب القتال بين المسلمين والرُّوم فى معركة (اليرموك) الحاسمة عام ثلاثة عشر الهجرية[1] (٦٣٤ م)، قال رجل من المسلمين لخالد ابن الوليد رضى الله عنه : ما أكثر الرُّوم وأقلّ المسلمين »؛ فقال خالد : « بل ما أقلّ الروم وأكثر المسلمين ! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان[2] » .

ومعنى ذلك ، أنّ الجيش بعدَدَه وعُدَده وبمعنوياته ، وليس العَدَد والعُدَد بأهم من المعنويات بالنسبة للجيوش خاصة وبالنسبة للشعوب عامة .

وقد كان نابليون يقول : « قيمة المعنويات بالنسبة للقوى المادية تساوى ثلاثة على واحد » ، أى أن الجيش تكون قيمته ٧٥٪ فى الناحية المعنوية و ٢٥٪ فى الناحية المادية .

وأيدّ نابليون فى قولته هذه كبار القادة العسكريين فى الماضى وكثير من قادة الجيوش وقادة الفكر العسكرى فى الوقت الحاضر .

غير أنّ الجنرال (فولر) فى كتابه : « الأسلحة والتاريخ » ، يخالف هذا الرأى من ناحية التفاصيل فقط ويتفق معه من ناحية المبدأ ، نظراً لاختراع الأسلحة النووية والهيدروجينية ، وللتحسينات الهائلة التى طرأت على وسائل قذف هذه الأسلحة وعلى أساليب استعمالها .

وليس هناك من شك . فى أنّ الأسلحة الحديثة أصبحت ذات أثر فى الناحية الماديه للجيوش الحديثة ، إذ جعلت نسبة الناحية المادية للجيش

---

(١) ابن الأثير (٢/١٥٧) . (٢) الطبرى (٢/٥٩٤) .

تساوى النسبة المعنوية فيه ، وبمعنى آخر : إنّ نسبة الناحية المادية لكل جيش تساوى ٥٠٪ ، ونسبة الناحية المعنوية فيه تساوى ٥٠٪ أيضاً .

إنّ الناحية المعنويّة للجيوش ، لاتزال ذات قيمة عظيمة - حتى بعد ظهور الأسلحة الجهنمية الفتّاكة ، والمعنويّات كانت ولاتزال وستبقى عاملا حاسماً من عوامل النصر فى الحروب .

لقد كان الجيش الايطالى مثلاً فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) مجهزاً بأحسن التجهيزات ، ومسلحاً بأفتك الأسلحة ، ومنظماً وفق أحدث أساليب تنظيم الجيوش ، ومدرّباً وفق أحدث التدريبات العسكرية الفنيّة . إلا أن معنوياته لم تكن عالية بالرغم من كل ذلك ، لهذا كان الحلفاء يعتبرون المواضع التى يحتلها الجيش الايطالى فراغاً عسكرياً ، وكان هذا الجيش يستسلم بسهولة ويسر ودون مقاومة تذكر تقريباً للحلفاء فى كل معركة يخوضها .

وكانت أرتال أسرى الايطاليين تمرّ فى شوارع قواعد الحلفاء وعلى وجوه أكثر الأسرى ابتسامات عريضة ، كأنهم يعلنون ارتياحهم من تخلّصهم بالأسر من معاناة أهوال الحرب !

بينما كان أسرى الألمان حين يُعرضون على النّاس يكادون يتميزون من الغيض حقداً على الحلفاء ، وحنقاً عليهم وحرصا على قتالهم وأسفا على تركهم ميادين القتال .

لقد كان الجيش الأيطالى محروما من المعنويات العالية ، وما يقال عنه يقال عن كل جيش قديم أو حديث لايتحلّى بالمعنويات العالية .

ب - وفى الحروب القديمة ، أى الحروب التى خاضتها الشعوب قبل الحرب العالمية الثانية ، كانت الجيوش النظاميّة هى المسؤولة أولاً وأخيراً عن إحراز النصر .

أما فى الحروب الحديثة، ابتداء من الحرب العالمية الثانية، فقد أصبحت الحرب حربا إجماعية[٢]، تحشد لها الأمم كلّ طاقاتها المادية والمعنوية من أجل تحقيق هدف واحد هو إحراز النصر فى الحرب على الأعداء.

لذلك أصبح الشعب كلّه وليس الجيش النّظامى وحده، مسؤولاً عن إحراز النصر، ولو أن الجيش النظامى والاحتياطى أيضا بقيا رأس الرّمح فى الحرب.

إنّ الحرب الإجماعية، تقتضى زجّ كلّ قادر على حمل السّلاح فى الحرب، ودعم المحاربين فى الميدان بكل طاقات الشعب المادية، لذلك أصبح إعلان الحرب معناه: أن يكون الشّعب كلّه لا قواته المسلحة وحدها مستعداً للحرب - خاصة بعد تطوير السلاح الجوى واختراع الأسلحة النووية، فقد أمسى كل مكان فى البلاد المحاربة ساحة حرب، لا تقلّ أهمية وخطراً عن الجبهة الأمامية فى ميادين القتال.

لذلك أصبحت أهمية المعنويات فى الشعب كلّه كأهمّيّتها للجيش النّظامى والاحتياطى سواء بسواء.

كما أنّ الجيش من الشعب، فإذا كانت معنويّات الشعب عالية، كانت معنويّات الجيش عالية أيضا، والعكس صحيح...

من هنا تبرز أهمية المعنويات العالية للشعب كلّه، وتبرز أهمية تقوية المعنويّات وشدّ أزرها فى الشعب والجيش على حد سواء.

---

(٢) يطلق على الحرب الاجتماعية فى قسم من الجيوش العربية تعبير: الحرب الشاملة، والحرب الاعتصابية، ومعنى الحرب الاجماعية هو حشد الطاقات المادية والمعنوية للأمة لمجهود الحربى.

— ٢ —

فما هي المعنويات ؟

(أ) كان تعريف المعنويات قبل الحرب العالمية الثانية ، بأنها : « الصفات التي تميز الجيش المدرب المنقاد إلى أسس الضبط[٣] والملتزم بها نصًا وروحا ، عن العصابات المسلحة والمدنيين . وتتجلى بهذه الصفات الطاعة القائمة على الحب والولاء والاحترام ، وتنمى الشجاعة والإقدام ، وتظهر الصبر الجميل على المشاق والتضحيات ، وتبدى كل المزايا التي تجعل الجندي مطيعا باسلا صبوراً ، مقدما غير محجم صامداً لا يتزعزع ، ثابتاً لا يتقهقر عزيزاً ، لا يخنع له مثل عليا يؤمن بها ويضحى من أجلها بالغالى والنفيس » .

هذا التعريف ، يشمل الجيش وحده كما ترى ، لأن الحروب كانت حروب جيوش لا حروب أمم ، وحروب قوات نظامية لا حروب قوات شعبية وقوات نظامية ـ كما أصبحت في الحروب الحديثة .

(ب) أما تعريف المعنويات اليوم ، فهو : « القوى الكامنة في صلب الإنسان ، التي تكسبه القابلية على الاستمرار في العمل ، والتفكير بعزم وشجاعة ، مهما اختلفت الظروف المحيطة به ، ومهما اشتدت الأزمات وكثرت التضحيات » .

وهذا التعريف ـ كما ترى ـ يشمل الشعب كله ، لا الجيش وحده .

وإذا أردنا إيضاح هذا التعبير وتبسيطه ، فيمكن القول : إن الفرد

---

(٣) الضبط : تنفيذ الأوامر عن طيب خاطر بأمانة وقوة وإخلاص ، مهما يكن تنفيذها شاقا ومهما يؤدى تنفيذها من تضحية وفداء في الأموال والأنفس . ويطلق على الضبط في قسم من الجيوش العربية الشقيقة تعبير : الانضباط العسكري ، وتعبير الضبط والربط .

الشعب ، يجب ان يكون شجاعا لا يجبن ، قوياً لا يضعف عزيزاً لا يهون صامداً لا يتراجع ، صابراً لا ينهار ، متفائلا لا ييأس ، مطيعا لا يعصى ، ملبيا نداء الواجب لا يتخلف ، مقدما غير محجم ؛ مستعداً للتضحية بماله وروحه عن طيبة خاطر وبدون تذمر من أجل إقرار مُثُله العليا والدفاع عنها ونشرها بين النّاس .

(ح) وكلمة : المعنويات ، ترجمة لكلمة : (Morale) الإنكليزية ، وقد ترجمت بعد تعريب المصطلحات العسكرية الأجنبية بتعبير القوى الأدبية ، ثم بتعبير : الرّوحيات ، ثم شاع استعمالها فى الجيوش العربية بتعبير . المعنويّات .

ومن الجدير بالذكر ، أن إدامة المعنويات أصبح مبدأ من مبادىء الحرب[٤] بعد الحرب العالمية الثانية .

وإدامة المعنويات معناها : اتخاذ التدابير المادية والمعنوية لرفع المعنويات وتقويتها وشد أزرها لتكون بشكل تستطيع معه تحمل أعباء القتال حتى إحراز النصر .

ولست بحاجة إلى أن أنوّه ، بأن إقرار مبدأ : « إدامة المعنويات[٥] » ، بين مبادىء الحرب ، التى هى عماد النصر وأساسه القويم وروحه ، يدلّ دلالة واضحة ، على أهمية المعنويات وضرورة التفكير فى أسباب وحوافز تقويتها ، ليستطيع الجيش خاصة والشّعب عامة النهوض بواجباته كاملة فى أيام الحرب وفى أيام السّلام أيضاً ، لأنه لا نصر بدون معنويات عالية فى الحرب ، ولا صمود أمام تيّار الحرب النفسية فى أيام الحرب وايام السلام بدون معنويّات عالية .

---

(٤) مبادىء الحرب : هى الجوهر الذى ينشىء فى القائد (السجية) الصحيحة فى تصرفاته الحربية ، وهى العنصر الذى يتكون منه مسلك القائد فى أعماله بصورة طبيعية وغير متكلفة .

(٥) دخل هذا المبدأ ضمن مبادىء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) .

— ٣ —

فما هي عوامل تقوية المعنويات ؟

أ — العقيدة .

لانصر لجيش لاعقيدة له : يدافع عنها دفاع المؤمن بها ، ويضحى فى سبيلها بما يملك من روح ومال .

إنّ العقيدة هى التى تشيع الانسجام الفكرى فى العقول والقلوب معاً وهذا يؤدى إلى التعاون الوثيق بين الجيش أفراداً وجماعات وصنوفاً وأسلحة ، كما يؤدى إلى تعاون الشعب كله تحت ظل عقيدة واحدة لها أهداف معيّنة يسعى الجميع لتحقيقها .

واختلاف العقيدة فى الجيش الواحد يجعل منه قوّة غير متعاونة فيصبح لذلك اقرب إلى العصابات المسلّحة منه إلى الجيش .

واختلاف العقيدة فى الشعب الواحد ، يجعل منه كتلاً متناقضة ، « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » .

إنّ الرّوح اغلى ما يملكه الإنسان ، فهو لا يضحى بها إلاّ دفاعاً عن مُثل عُليا يؤمن بها ، والعقيدة هى التى تضمن له هذه المثل العليا .

والعقيدة بالنسبة للعرب هى الإسلام الذى قادهم إلى النصر ، فلما ضعفوا صانهم من الانهيار .

لقد غرس الاسلام فى نفوس العرب حبّ الضبط والنظام ، وحبب إليهم الاستشهاد فى سبيل الحق ، وجعلهم يرون هذا الاستشهاد نصراً دونه كل نصر ، كما بعث فيهم الاعتزاز بالنفس ، والشعور بأن عليهم رسالة واجبة الأداء للعالم .

وقد إنتبه ابن خلدون إلى أهمية العقيدة للعرب فقال : « إنّ العرب لا يحصل لهم الملك إلاّ بصبغة دينية من نبوّة او ولاية او اثر عظيم[٦]».

إن العرب بالاسلام كل شيء . . . والعرب بدون إسلام لاشيء ..

ب ـ القيادة :

القيادة المتميّزة ترفع المعنويات ، والقيادة الضعيفة تحطّم المعنويات .

ولا تقتصر القيادة على الناحية العسكرية فحسب ، ولو أن لهذه القيادة القِدْح المُعلّى فى الحرب ، بل تشمل القيادة بالإضافة إلى القيادة العسكرية ، والقيادة السياسية ، والقيادة الصناعية ، والقيادة الاقتصادية ، والقيادة الفكرية ، والقيادة السياسية . . . الخ .

فإذا كان كلّ أولئك الرعاة ، موضع ثقة رعيتهم ، فإن معنويات تلك الرعايا تبقى دائماً بخير . . . وإلاّ فاقرأ على المعنويات السّلام .

لقد استيقظ الشّعب العربى ، فهو يعرف قادته كل المعرفة . واستيقظ الجنود العرب ، فهم يعرفون قادتهم أعمق المعرفة . واستيقظ المثقفون العرب ، فهم يعرفون قادة الفكر العربى أوثق المعرفة .

ولكن كيف يحوز القائد على ثقة الذين يعملون تحت قيادته ؟

يجب أن ينسى نفسه لأجلهم ، ويجب أن يفعل ما يقول ولا يقول مالا يفعل . ويجب أن ينفّذ أوامره على نفسه قبل أن يطالب غيره بتنفيذها . ويجب أن يكون عالماً بوجباته ، نزيهاً كل النزاهة ، متمسكاً بأهداب الخلق الرفيع ، حريصاً على أداء أعماله كلّ الحرص بأمانة وشرف وقوة ، حريصاً على مصائر الذين هم تحت قيادته ، سريع القرار صائبه ، يتحمل المسؤولية ولا يحاول إلقاء تبعاتها على الآخرين ، يبادل رجاله حباً بحب وثقة بثقة ، ويعرف مزاياهم فيولى الرجل المناسب العمل المناسب دون تحيز أو إنحراف ،

---

(٦) انظر التفاصيل فى مقدمة ابن خلدون (١/٢٦٦) ـ بيروت ـ ١٩٦٧ .

له مبادىء معروفة سليمة يؤمن بها كلّ الإيمان ، ليست له شخصية مزدوجة يكون بها مع المشرّقين مشرّقاً ومع المغرّبين مغرّباً ، يضحى بمصالحه من أجل رجاله ولا يضحّى برجاله من أجل مصالحه ، لايكلّ ولايملّ من العمل ، يساوى نفسه برجاله فى حياته ولا يستأثر دونهم بالغنم ويلقى بالغرم عليهم ، له شخصية رصينة متينة قوية نافذة وله رأى واضح سليم وماض مشرف مجيد .

مثل هذا القائد ، يسير رجاله معه حتى إلى الموت عن طيبة خاطر ودون تردّد .

ومثل هذا القائد ، يرفع المعنويات إلى عنان السماء .

ومثل هذا القائد ، يقود رجاله إلى النصر بسهولة ويسر .

ذلك لأنّ مثل هذا القائد يكون دائما موضع ثقة رجاله به ، والثقة المتبادلة لايمكن أن تأتى عفواً دون عناء ، بل هى غالية التكاليف إلى أبعد الحدود .

حـ ـ النّصر :

النصر فى ميدان الحرب ، والنصر فى ميدان العلم ، والنصر فى ميدان العمل ، وكل نصر فى أى ميدان من الميادين الحيويّة يؤدى إلى رفع المعنويات .

ولكن النصر له تكاليف ، أولها التخطيط الدقيق المتكامل ، والعمل الدائب المخلص لوضع ذلك التخطيط فى حيّز التنفيذ .

إنّ النصر لايتحقق مطلقاً بالكلام الفارغ وبالادعاءات الكاذبة ، ولعلّ هذا الكلام وتلك الادعاءات بعد انكشاف حقيقتها ، تلحق أبلغ الضرر بالمعنويات .

وفى القضايا العسكرية بالذات ، يجب إنذار الجيش والشعب بما يمكن أن يحدث فى الحرب فعلا ، حتى لايؤخذ الجميع على حين غرّة ، فيؤدى ذلك إلى إنهيار المعنويات .

إنّ النصر يكون بالعرق والدّمـــوع والدماء والتّضحيات الجسام ، أما الكلام وحده فلايؤدى إلاّ إلى الهزيمة .

والأعمال وحدها ترفع المعنويّات ، والأقوال بدون أعمـــال تدمّر المعنويات .

والعرب فى هذه الظروف ، يحتاجون إلى كثير من الأعمال وقليل من الأقوال.

إنّ انتصاراً واحداً للعرب على إسرائيل ، كفيل أن يبدّل المعنويات العربية من حال إلى حال .

وكل ادعاء يخالف ذلك هراء وافتراء .

فما أثر الوحدة العسكرية فى المعنويات ؟

أ ـ الوحدة قوة ·

إثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، ويد الله مع الجماعة .

وجيشان عربيان أقوى من جيش واحد ، وثلاثة جيوش خير من جيشين ، وجيوش عربية موحّدة خير من جيوش عربية متفرقة .

إن العسكريين الإسرائيليين ، حين يقدرون الموقف العسكرى لإعداد خطة الحرب بين العرب وإسرائيل ، يذكرون فى تقدير الموقف ، أنهم سيقاتلون الجيوش العربية على انفراد ، أى أنهم يقاتلون جيشاً عربياواحداً، فإذا فرغوا منه ، قاتلوا جيشاً عربيا آخر . وهكذا يخـطّطون للقضاء على كل جيش عربى على انفراد ، وكأنهم يقاتلون جيوشاً لاتنتسب لأمة واحدة بل لأمم شتى لاصلة بينها ولاعلاقة .

وما حدث فى الحرب بين العرب واسرائيل فى حرب ١٩٤٨ وفى حرب ١٩٦٧ دليل قاطع على أن إسرائيل قاتلت الجيوش العربية جيشاً بعد جيش وألحقت الخسائر والأضرار بجيش عربى بعد آخر .

إنّ الجيوش العربية بدون وحدة عسكرية ، تقاتل فى الميدان على انفراد وبذلك تكون ضعيفة واهنة يسهل القضاء عليها بيسر وسهولة .

أما إذا أصبحت الجيوش العربية جيشاً واحداً ، فإن الطّاقات العربية ستكون قوة ضاربة واحدة تعمل فى الميدان بتعاون لتحقيق هدف واحد تحت قيادة واحدة .

إنّ الجيوش العربية بدون وحدة عسكرية ، يسهل القضاء عليها على انفراد .

وهذا هو الجواب للمتسائلين : كيف تنتصر إسرائيل على العرب ، وهم مائة مليون أو يزيدون .

إنهم ليسوا مائة مليون إلاّ بالعدد فقط ، أما فى الحرب فهم دول كثيرة وجيوش عديدة ، لكل دولة نفوسها وجيشها . لذلك يقاتلون إسرائيل بجيشهم المحدود ونفوسهم المحدودة ، وكأنهم غرباء عن بعضهم ، لاتربطهم العقيدة الواحدة واللغة الواحدة والتاريخ الواحد والمصير المشترك .

إنّ الوحدة العسكرية قوة العرب ، والقوة ترفع المعنويّات وتشد أزرها .

ب ـ الوحدة نصر :

وحدة الجيوش العربية ، معناها توحيد تدريبها وتسليحها وتنظيمها وتجهيزها وقيادتها .

وتوحيد تدريبها يؤدى إلى إشاعة الانسجام الفكرى بين صفوف العسكريين العرب ، ونتيجة لذلك يكون التعاون وثيقاً بينها فى السّلم والحرب

وتوحيد تسليحها يؤدى إلى تنسيق الإنتاج الحربى فى البلاد العربية ، ويؤدى إلى استخدام السلاح المناسب فى المكان المناسب .

لقد كان لدى قسم من الجيوش العربية فى حرب ١٩٦٧ أسلحة وذخيرة لاتشابه مالدى الجيوش العربية الأخرى .

وحدث أن قسماً من الجيوش العربية احتاجت إلى إدامة أسلحتها بالذخيرة اللازمة ، وكانت قواعدها بعيدة عنها ، فلم تستطع الحصول على الذخيرة لأسلحتها من قواعد جيش شقيق لأن ذخيرته لاتصلح لتلك الأسلحة .

وبقى السلاح الذى كان بدون ذخيرة كتلاً من الحديد لافائدة عسكرية منه فى الميدان .

فلو كان هناك توحيداً فى التسليح العربى ، لكان هناك تعاوناً وثيقاً بين الجيوش العربية فى مجال إدامة الأسلحة والذخيرة ، ولما بقى قسم من سلاحهم مجمداً فى أحرج الظروف .

وتوحيد تنظيم الجيوش العربية ، يهىء الأسباب لتعاونها ويسهل أمر قيادتها .

وتوحيد تجهيز الجيوش العربية ، يؤدى إلى تنسيق إنتاج التجهيزات العسكرية العربية ، وظهور الجيوش العربية بمظهر الجيش الواحد المنسجم لابمظهر الجيوش المتعددة المتناقضة

وتوحيد قيادتها ، يؤدى إلى حشد كل طاقاتها فى الزمان والمكان الحازمين .

ويؤدى إلى أن تقاتل جيشاً واحداً لا جيوشاً عديدة .

وكل ذلك يؤدى إلى النصر .

(ج) - الوحدة حشدٌ للقوى :

فى حرب عام ١٩٦٧ استطاعت إسرائيل حشد ١١٪ من طاقاتها البشرية فى ميدان الحرب

وفى تلك الحرب استطاع العرب حشد ٣ بالألف من طاقاتهم البشرية.

والقاعدة الحسابية لمقدار حشد الطاقات البشرية عند إعلان النفير العام هو : حشد ١٠٪ من موجود السكان .

وبموجب هذه القاعدة الثابتة المعروفة ، كان بامكان العرب حشد عشرة ملايين جندى فى الميدان ، لأن نفوس العرب تبلغ مائة مليون نسمة .

لقد اصطلت الدول العربية المجاورة لإسرائيل بنيران الحرب عام ١٩٦٧.

أما بقية الدول العربية ، فبقيت متفرجة عدا العراق والسودان والجزائر والكويت التى عاونت مصر والأردن بجزء محدود من قواتها العسكرية.

فلو كان هناك وحدة عسكرية ، لاستطاعت القيادة العربية الموحدة حشد كل الطاقات العسكرية العربية فى المكان والزمان الجازمين لحرب إسرائيل، ولما بقى قسم ضخم من القوات العسكرية العربية بعيدة عن الحرب وهى حريصة أعظم الحرص على النهوض بواجباتها دفاعاً عن الأرض العربية والشرف العربى .

إنّ الوحدة العسكرية العربية هى الوسيلة لحشـــد الطاقات العسكرية العربية فى المكان و الزمان المناسبين، للنهوض بواجباتها العسكرية ضد إسرائيل.

ولست أذيع سراً إن ذكرت أنّ العرب كانوا متفوقين عسكرياً على إسرائيل قبل حرب عام ١٩٦٧ .

ولا يزالون متفوقين على إسرائيل حتى اليوم .

ولكن هذا التفوُّق العسكرى بدون وحدة عسكرية عربية وبدون قيادة عربية فعالة ، تبقى موزَّعة هنا وهناك ، بينما النصر يقتضى حشدها لتكون قوة ضخمة ضاربة ، وإلاّ فإن وجودها وعدمه سيان .

— ٥ —

إنّ القوة تؤدى إلى رفع المعنويَّات ، والضعف يودى إلى إنهيارها .

وحشد القوى العربية فى المكان والزمان الجازمين ، قوة للعرب ، والقوة إذا استخدمت استخداماً سليماً تؤدى إلى النَّصر .

والقوى العربية وإمكان حشدها ، لايمكن أن يتم بدون وحدة عسكرية عربية .

إنّ الوحدة العسكرية العربية ، ترفع المعنويَّات العربية ، وما أحوج العرب إلى المعنويات العالية خاصة بعد حرب ١٩٦٧ .

أثر الوحدة العسكرية
في تكامل الانتاج الحربي وتطويره



— ١ —

بلاد العرب من المحيط إلى الخليج وحدة إقتصادية متكاملة ، يكمل كل قطر من أقطارها نقص الأقطار الأخرى فى ناحية من النواحى الإقتصادية.

والتنسيق الاقتصادى العربى ، يؤدى حتماً إلى الإكتفاء الذاتى للعرب من الناحية الاقتصادية ، ويحرم إسرائيل ومن وراء إسرائيل من تهديد العرب اقتصادياً .

ولتحقيق التنسيق الاقتصادى العربى ، لابدّ من تخطيط دقيق يتولاّه الخبراء الإقتصاديون العرب الذين لاغبار على علمهم وإخلاصهم وماضيهم واستقامتهم بالتعاون مع جماعة من العسكريين .

إنّ الاستعمار القـــديم والاستعمار الجديد يتستران وراء المعونات الاقتصادية ، ومن أسلحته سلاح الحصار الاقتصادى، وقد مارس الإستعمار هذا السّلاح على قسم من الدول العربية لترضخ إلى رغباته ورغبات إسرائيل .

والتخطيط السّليم للاقتصاد العربى ، هو الهجوم المضاد على الإستعمار فى حصاره الاقتصادى ، وعلى أساليب الضغط التى يمارسها بفرض الحصار الاقتصادى أو التهديد به .

وتعاون الخبرات الاقتصادية العربية مع المسؤولين العرب ، هو السبيل الوحيد لتنفيذ التخطيط السليم ، إذ لافائدة من التخطيط السليم بدون تنفيذ سليم .

وهذا التنسيق الاقتصادى بالنسبة لقضية فلسطين ، يجعل المبادأة الاقتصادية بيد العرب على إسرائيل ومَنْ وراء إسرائيل .

وهذا التنسيق الإقتصادى بالنسبة لقضية فلسطين أيضاً له ثلاثة أهداف حيويّة :

(أ) حرمان إسرائيل من موارد العرب الإقتصادية ، لأنّ إسرائيل تستفيد من هذه الموارد بصورة غير مباشرة عند تعامل العرب مع الدول الاستعمارية .

إنه ليس عربياً ولا مسلماً ، من يتعامل مع إسرائيل أومع عملاء إسرائيل بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة .

ذلك لأنّ كل درهم تربحه إسرائيل ويربحه مَنْ وراء إسرائيل ، يصبح رصاصة تصيب قلب عربى أو مسلم .

إنّ إسرائيل لكى تجعل مقاطعة العرب الإقتصادية لها غير ذات فائدة للعرب ولا ذات ضرر على إسرائيل ، استطاعت أن تنشىء المعامل بأموالها فى دول كثيرة ، وهى تصدرُها من تلك الدول إلى البلاد العربية .

وإسرائيل قد اشترت كثيراً من البواخر وسجّلتها باسم عملائها فى بعض الأقطار الأوربية والأمريكية ، وهذه البواخر تروح وتغدو باسم تلك الأقطار لا باسم إسرائيل .

والحل الوحيد هو أن يكتفى العرب ذاتياً فى القضايا الإقتصادية ، ويتعاونوا مع البلاد الإسلاميّة فى هذا المجال(٧) .

(ب) أن يكون لدى العرب الاكتفاء الذاتى من الناحية الاقتصادية، لحرمان مَنْ وراء إسرائيل من تهديد العرب اقتصادياً .

---

(٧) فى مقررات مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الذى عقدفى القاهرة عام ١٣٨٨ ورد فى المادة الثانية الفقرة (ج) : « يوصى المؤتمر بالتعاون الاقتصادى بين الدول العربية والإسلامية إلى أقصى الحدود والعمل على تنسيقه بما يحقق التكامل بين الدول الاسلامية والعربية » . ويا حبذا لو تعاون المسؤولون على تحقيق ذلك .

إنّ الإستعمار الإقتصادى ، هو من أخطر أنواع الإستعمار ، وسيبق العرب مهددّين بهذا الإستعمار البغيض، مالم يكتفوا ذاتياً بمواردهم العربية ويبذلوا جهدهم فى محاولة تنميتها وتنسيقها والتعاون مع الدول الإسلامية فى هذا المجال .

(ح) الإفادة من الاقتصاد العربى سلاحاً فى حرب إسرائيل ومَنْ وراء إسرائيل اقتصادياً .

إنّ النفط العربى سلاح اقتصادى ، لأنّ العرب يسيطرون على أربعة أخماس النفط المخزون فى العالم كله .

وفى بلاد العرب من مصادر الثروة الطبيعية مايعادل فى غناه جميع مصادر الثروة الطبيعية فى أوربا كلها .

وبلاد العرب هي حلقة الوصل بين القارات الثلاث : آسيا وأوربا وإفريقية .

وفى بلاد العرب الممرات البرية والبحرية والجوية والمراكز السوْقية[٨] المتميّزة التى يستطيع أصحابها التحكم فى قارات ثلاث .

وبلاد العرب تحتل أعظم موقع سوْقى فى العالم كله .

والمهم أن يستفيد العرب من هذا السلاح بالتعاون العربى وبالتخطيط السليم[٢] .

——*

(٨) الاستراتيجية .   (٢) انظر التفاصيل في : طريق النصر فى معركة الثأر (٣٠١-٣١٦).

— ٢ —

والتنسيق الصناعي يعاون على الإكتفاء الذاتي للعرب ، بما تنتجه بلادهم ويحرم الاستعمار من سلاح الضغط الاقتصادي .

والتنسيق الصناعي هو جزء من التنسيق الإقتصادي ، وهو يشمل تنسيق كل الصناعات العربية ، ولكننا سنركز هنا على الصناعات العسكرية ، إبرازاً لأهميتها ، وإظهاراً لتأثيرها الحاسم على حاضر ومستقبل الجيوش العربية .

إنّ الجيش الذي لايكتفي ذاتياً بما يصنعه في معامله الوطنية من سلاح وذخيرة وتجهيزات ، لايستطيع أن يصمد طويلاً في الحرب .

وبمعنى آخر ، إنه لايستطيع أن يخوض حرباً طويلة الأمد ، لأنّ الحرب تأكل السلاح أكلاً ، وتبتلع الذخيرة ابتلاعاً ، وتحطّم الدروع والطائرات والعجلات تحطيماً ، وتستهلك التجهيزات استهلاكاً .

فإذا نفد سلاح جيش ، فبماذا يقاتل ؟

وإذا نفدت ذخيرة جيش ، فبماذا يحارب ؟

ومايقال عن السّلاح والذخيرة ، يقال عن الدّروع والطائرات والعجلات وعن التجهيزات العسكرية والوقود والقضايا الإدارية الأخرى ، والأجهزة السلكيّة واللاّسلكية ، والمواد الاحتياطيّة للعجلات والطائرات والبواخر وكل وسائط النقل البرية والبحرية والجوية .

إنّ التسليح والتجهيز لهما أثر حاسم من الناحيتين المادية والمعنوية في الجيوش ، إذ أن التسليح الجيد بالإضافة إلى كونه قوة مادية للجيش ، فهو في الوقت ذاته يزيد في معنويات ذلك الجيش ، لأنه لا معنويات لجيش قليل السلاح أو فاسده أو رديئه ، ولا معنويات لجيش لا يثق بسلاحه ولا يعتمد

عليه ، ولا معنويات الجيش يعتقد أن سلاحه محدود إذا لم ينفد اليوم فسينفد غدا .

وما يقال عن التسليح الجيد ، يقال عن التجهيز الجيد ، ويقال عن القضايا الإدارية الأخرى الجيدة أيضاً .

وليس سراً ، أن قسماً من الدول العربية سلكت الطريق السوى فى محاولة إنتاج مايحتاج إليه جيشها من تسليح وتجهيز فى بلادها .

وهذه الدول فى طريقها إلى الاكتفاء الذاتى بما تنتجه من سلاح وذخيرة وتجهيزات ومواد عسكرية أخرى .

ولعلّ حرب فلسطين عام ١٩٤٨ بالذات ، أعطت درساً لاينسى أبداً للجيوش العربية ، هو الاعتماد على نفسها بالدرجة الأولى وقبل كل شىء فى تسليحها وتجهيزها وإدامتها بالسلاح والذخيرة والتجهيزات .

إنّ استيراد السلاح والذخيرة والتجهيزات العسكرية والأجهزة العسكرية والمواد العسكرية الأخرى من الخارج ، له محاذير كثيرة يدركها العسكريون ويدركون أخطارها على نتيجة الحرب ، وقد لاتغيب عن المدنيين أيضاً .

ومن أهم هذه المحاذير ، هى أنّ سياسة الدول تتبدل من حين إلى آخر خضوعاً لمصالحها أولاً ، ورضوخاً لتيارات خارجية قد لاتكون فى الحسبان .

فإذا كانت الدولة أو الدول الأجنبية التى تستورد منها السّلاح والذخيرة والتجهيزات العسكرية اليوم معك لسبب أو لآخر ، فقد تصبح غداً مع عدوّك كما حدث ذلك فى كثير من الأحيان .

كما أنّ ظروف الحرب ظروف متغيرّة متبدلة ، فقد تكون الطرق التى تمر عبرها البواخر أو العجلات التى تحمل ما تستورده من سلاح وذخيرة وتجهيزات مفتوحة اليوم ، ثم تصبح مقفلة غداً .

وقد تمنع الدول مرور سابلة السّلاح والذخيرة والتجهيزات المستوردة من الخارج عبر بلادها إرضاء لعدوك أو تطبيقاً لمبادىء القانون الدولى فى الحياد أو لأسباب أخرى .

وقد تؤدى ظروف الحرب إلى خسائر فادحة فى السّلاح والذخيرة بشكل غير متوقّع ، كما حدث فى السلاح الجوى المصرى فى حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ ، وتعويض هذه الخسائر يحتاج إلى وقت طويل .

تلك أمثلة قليلة مما يمكن أن يحدث فى الحرب ، وحينذاك يبقى الجيش الذى يعتمد استيراد السّلاح والذخيرة والتجهيزات العسكرية وغيرها من الخارج مهدّداً بالاستسلام .

وفى تاريخ الحرب ، أمثلة كثيرة لا تُعدّ ولا تحصى ، تثبت أنّ الجيش الذى لا يكتفى ذاتياً بما يحتاج إليه من سلاح وذخيرة ومواد عسكرية أخرى فى السّلام والحرب ، لا يمكن أن ينتصر أبداً .

وقد كان ذلك شأن الجيوش القديمة ، أما الجيوش الحديثة فلا تنتصر على عدوها إذا لم تكن مكتفية ذاتياً بالسلاح والذخيرة والتجهيزات العسكرية ، لأن هذه المواد أصبحت خاضعة للتفوق العلمى ، وأصبح للعلوم التطبيقية أثر بالغ عليها ، وبذلك أصبحت نتيجة الحرب خاضعة إلى حد بعيد للتفوق العلمى .

— ٣ —

وحتى فى أيام السلام ، يعانى الجيش مايعانى من اعتماده على الإستيراد الخارجى فى التسليح والتجهيز .

والمصالح لها أثر فى استيراد السلاح والتجهيزات ، والتيارات السياسية لها أثر أيضاً .

وقد كانت الدول العربية تستورد السلاح والتجهيزات من الغرب قبل عام ١٩٤٨ ، فكانت العراقيل التى توضع أمامها أقل بكثير بالنسبة لما أصبحت الدولة العربية تضعه أمام العرب من عراقيل بعد مولد إسرائيل عام ١٩٤٨ .

وقد ذكرت فى كتاب : (طريق النصر فى معركة الثأر) بعض ما كانت الدول الاستعمارية تضعه أمام العرب من عراقيل[٩] قبل عام ١٩٤٨ ، لعرقلة استيراد العرب للسلاح والتجهيزات .

وهذه الدول الاستعمارية ضاعفت تلك العراقيل بعد عام ١٩٤٨ ، فظهرت إلى الوجود قصة : توازن القوى بين العرب وإسرائيل ، وقصة : شروط الاستعمار بعدم استعمال السلاح والذخيرة إلا فى الأغراض الدفاعية ، وقصة : عدم استعمال السلاح والذخيرة فى الأغراض الهجومية .

ومن الواضح أن الهدف من هذه الشروط الاستعمارية هو : حماية إسرائيل .

فإذا كان العرب يبذلون كل هذا الجهد والعرق والدموع لاستيراد السلاح والذخيرة والتجهيزات .

---

(٩) أنظر كتاب : طريق النصر فى معركة الثأر (٣٣ـ٣٥) .

وإذا كان العرب يقتطعون ثمن ما يستوردونه من لقمة العيش وعلى حساب مشاريع التنمية، ثم لا يستعملونه ضد إسرائيل، فضد من يا ترى يستعملونه ؟

إنّ الدول العربية التى كانت تستورد سلاحها وذخيرتها وتجهيزاتها العسكرية من الغرب قبل عام ١٩٤٨، كانت تحتاج إلى صبر أيوب لتستلم كميّـات محدودة من السلاح والذخيرة والتجهيزات بأثمان غالية جداً وأسعار خياليّـة.

أما الدول العربية التى ظلت تستورد السلاح من الغرب بعد عام ١٩٤٨، فكانت تحتاج إلى صبر أيوب وذلّ اليتيم لتستلم كميّات محدودة من السلاح والذخيرة والتجهيزات مقابل أثمان غالية وشروط ثقيلة.

وهذا القول لاغبار عليه، حتى كُسر احتكار السّلاح، وبدأت قسم من الدول العربية تستورد سلاحاً من الشرق، وحينذاك فقط أخذت عروض الغرب تصل إلى العرب فى محاولة إبعادهم عن الشرق وإعادتهم إلى الطوق الذى كانوا فيه من قبل : احتكار السلاح من الغرب.

وأخطر ما فى موضوع استيراد السلاح والذخيرة والتجهيزات العسكرية من الغرب، أن قوائم هذه المواد كانت تصل إلى إسرائيل، فتعرف إسرائيل أدق تفاصيلها.

ذلك لأنّ بعض المسيطرين على معامل الإنتاج العسكرى الغربى هم يهود.

كما أنّ جواسيس إسرائيل، منتشرون فى معامل الأسلحة الغربية وفى وسائط النقل الغربية.

على كل، فإن قرار كسر احتكار السلاح، كان صائباً وفى محله تماماً ومفيداً للعرب كل الفائدة.

ولكن كسر احتكار السّلاح والذخيرة والتجهيزات العسكريّة ، على الرغم من أنه سهّل على العرب أمر استيراد السلاح بالكميات التى يريدونها فى المكان والزمان اللذين يريدونهما ،من الأنواع التى يريدونها ، ولكنه مع ذلك علاج وقتى ليس إلاّ !

أما العلاج الجذرى لمشكلة تسليح وتجهيز الجيوش العربية — خاصة فى ظروف وجود إسرائيل — فهو إنتاج السلاح العربى فى المعامل الحربية العربية بالسواعد العربية .

— ٤ —

إنّ السّلاح والذخيرة والتجهيزات المستوردة تكون غالية التكاليف ، بالنسبة إلى تكاليفها إذا أنتجت محلياً .

والدول التى تصدر السلاح والذخيرة والتجهيزات العسكرية ، تستأثر لنفسها بالجيد منها ، إذ لا يمكن وليس من المعقول أن تؤثر غيرها من الدول بالأنواع المتميزة منها وتفضل غيرها من الجيوش على جيشها الوطنى .

كما أن السّلاح والذخيرة والتجهيزات العسكرية المصدرة ، تكون — اعتيادياً — من الأنواع المكشوف أمرها لا من الأنواع السرّية .

أما الأنواع غير المعروفة والسرّية أو المخترعات الجديدة ، فلا تعرض فى الأسواق ولا تصدر الى الخارج ، حتى لا ينكشف أمرها .

وما دام قسم من الدول العربية قد خطت خطوات موفقة سديدة لإنتاج السلاح والذخيرة والتجهيزات العسكرية محلياً ، فلا بد من تنسيق الصناعة الحربية بين الدول العربية لتؤتى هذه الصناعات أكلها مرتين .

ومن المؤلم حقاً أن نجد قسماً من الدول العربية ، تستورد سلاحاً وذخيرة وتجهيزات عسكرية من دول أجنبية ، بينما تستطيع هذه الدول

استيراد أعيان هذه المواد العسكرية من دول عربية شقيقة أو من دول إسلامية شقيقة .

وأرى من الضرورى هنا أن أضع الحقائق التالية أمام الذين يؤثرون استيراد السلاح والذخيرة والتجهيزات الأجنبية على نفس هذه المواد المتيسرة لدى قسم من الدول العربية والإسلامية .

(ا) إن كثيراً من معامل الأسلحة والذخيرة والتجهيزات الغربية ، رؤوس أموالها يهودية ومسيطر عليها من يهود وعملائهم ، وهذا يؤدى إلى وصول تفاصيل الكميّات المصدّرة منها للعرب إلى إسرائيل قبل أن تصل تلك الكميات إلى العرب .

(ب) إنّ هذه المعامل تؤثر إسرائيل بالأنواع الجيدة ، وتعطى العرب الأنواع الرديئة .

(ح) إن جواسيس إسرائيل متغلغلون فى هذه المعامل الحربية ، مهمتهم مراقبة ما يستورده العرب منها .

(ى) إن وسائط النقل البرى والبحرى والجوى فى الغرب أكثرها شركات خاضعة لأخطبوط رأس المال اليهودى ، وفيها موظفون يهود ، وهى تعج بجواسيس إسرائيل .

ومن المعلوم أنّ التسليح والتجهيز العسكريين خاضعان لأعلى درجات السرّية ولأعلى درجات الكتمان .

وإستيراد السّلاح والذخيرة والتجهيزات تحت هذه الظروف على طرفى نقيض من السرّية والكتمان .

فليس من المعقول ولا من المنطق فى شىء ، أن تستورد قسم من الدول العربية قسماً من سلاحها وذخيرتها وتجهيزاتها العسكرية من دول أجنبية وهى متيسرة فى قسم من الدول العربية .

وفوق ذلك ، فإنّ المـــال الذى يدفع ثمناً لهذه الأسلحة والذخيرة والتجهيزات فى حالة إستيرادها من الدول العربية والإسلامية المنتجة لها ، يدعّم الإنتاج الحربى العربى والإسلامى ويشد أزره .

وهذا المـال الذى يدفع ثمناً لها الأجنبى ، قد يتحول إلى أسلحةوذخيرة تصوّب إلى صدور العرب كما ذكرنا سابقاً.

— ٥ —

فما هى أهداف التنسيق الصنّـاعى العسكرى للعرب؟

يهدف هذا التنسيق إلى عدم إقامة معامل متشابهة تنتج سلاحاً أو ذخيرة أو تجهيزات عسكرية متشابهة دون جدوى .

فإذا كان هناك مصنعاً ينتـج سلاحاً خفيفاً ما ، وكان بمقدور هذا المصنع تسليح الجيوش العربية بهذا السلاح ، فليس من الاقتصاد أن يتكرر مثل هذا المصنع فى بلد عربى آخر ، بل يمكن إنشاء مصنع فى ذلك البلد العربى ينتج سلاحاً آخر تحتاج إليه الجيوش العربية .

وبذلك يتم للعرب إنتاج سلاحين مختلفين بدلاً من سلاح واحد .

كما أنّ نفقات توسيع مصنع ما ، هى أقل من نفقات إنشاء معمل جديد ، فإذا كان مصنع من المصانع الحربية عاجزاً عن تغطية إحتياجات الدول العربية من سلاح ما ، فبالإمكان العمل على توسيعه بدلاً من إنشاء مصنع جديد .

وهذا التنسيق يهدف أيضاً ، إلى زيادة التعاون بين البـــلاد العربية فى ناحية التسليح والتجهيز ، فتكون متطلبات الجيوش العربية من السلاح والذخيرة والتجهيزات معروفة ، ويكون معروفاً من أين يمكن تأمين تلك المتطلبات .

ويهدف هذا التنسيق إلى عمل مخطط عربى دقيق ، لإنشاء المصانع

الحربيّة ، بحيث تؤمّن فى المدى القريب والبعيد وبمراحل كل حاجات العرب إلى السلاح والذخائر والتجهيزات .

ويهدف هذا التنسيق إلى الإفادة من المصانع غير الحربية للأغراض الحربية .

مثلاً ، المصانع الحربية التى تنتج الأجهزة اللاسلكية كالمرسلات والآخذات لسلاح الإشارة ، يمكن أن تنتج المذياعات[١٠] من الأنواع التى تعمل بالكهرباء ومن الأنواع التى تعمل بالنضائد[١١] .

وهذا المصنع يسد حاجة الجيش من الأجهزة اللاسلكية فى أيام الحرب كما يسد حاجات المدنيين إلى المذياعات والنضائد ونحوها فى أيام السّلام .

ومصانع العجلات التى تنتج السيارات المختلفة ، يمكن تحويرها لتنتج المدرعات والناقلات والدبابات المسرّفة ونصف المسرّفة[١٢] وسيارات النقل العسكرى . . . الخ . . .

وكل ذلك يحتاج إلى تنسيق وتخطيط للمدى القريب والبعيد .

ويهدف التنسيق إلى توزيع المصانع الحربية على البلاد العربيّة ، واختيار المواضع المناسبة لها .

إن المصانع المدنيّة يسيطر عليها العامل الاقتصادى الذى يحبذ أن يكون المصنع قريباً من المواد الخام ، قريباً من وسائط النقل ، قريباً من الأسواق المستهلكة ، فى منطقة مأهولة بالسكان تساعد على بيع الإنتاج وتصريفه .. الخ ..

العامل الاقتصادى أولاً بالنسبة للمصانع المدنيّة ، وعامل الأمن أولاً بالنسبة للمصانع الحربيّة .

---

(١٠) الراديوات .

(١١) نصف جنزير .

(١٢) البطاريات : جمع بطارية : (Battery)

المصنع الحربى ، يجب أن يكون فى موضع أمين بعيداً عن متناول العدو ، بعيداً عن تأثير نيرانه ـ خاصة تأثير القصف الجوى .

بل يجب أن يدخل فى الحساب ـ بالنسبة لإنشاء المصانع الحربية المهمة كمعامل الطائرات مثلاً ، خطر القصف بالقنابل الذرية أو الهيدروجينية أو الصواريخ ذوات المديات البعيدة .

ومن الطبيعى أن المصنع الحربى الذى تنفق عليه ملايين الدنانير ، يجب ألا يكون تحت رحمة نيران العدو .

وما يقال عن المصانع الحربية ، يقال عن المستودعات الحربية أيضاً ، إذ يجب أن تكون فى أماكن أمينة وألا تكون عرضة لنيران العدو .

تلك هى بعض أهداف التنسيق الصناعى الحربى العربى من الناحية العسكرية ، التى تنقذ العرب من محاذير استيراد السلاح والذخيرة والتجهيزات من الدول الأجنبية .

وهى أهداف حيوية بالنسبة للمجهود الحربى العربى .

— ٦ —

إن تنسيق الصناعات العسكرية فى كل دول العالم يعتمد على ثلاثة أصناف من الخبراء :

(أ) الخبراء العسكريون : واجبهم إعطاء القرار عن أسبقية إنشاء المصانع الحربية ، ومواضع إنشائها ، ومقدار إنتاجها ، والحفاظ على أمنها وسرية إنتاجها .

ولابد من أن يكون لدى هؤلاء الخبراء إحصائيات دقيقة تعينهم على إعطاء مثل هذه القرارات التى تشمل احتياجات الحاضر وتطوير المصانع لسد احتياجات المستقبل .

(ب) علماء اقتصاديون : واجبهم إعطاء القرار عن أحسن طريقة اقتصادية لإخراج هذه المصانع إلى حيِّز الإنتاج لكى تسدّ حاجات الجيوش العربية فى الحاضر والمستقبل .

(ح) خبراء من علماء إنتاج السّلاح والذخيرة والتجهيزات العسكرية: واجبهم إنتاج هذه المواد بكفاية ومقدرة وبميزات مفضّلة وبكميات تسد حاجات الجيوش العربية فى الحاضر والمستقبل .

والقيادة العربيه الموحدة التى تكون مسؤولة عن قيادة الجيوش العربية الموحدة ، هى التى تستطيع النهوض بواجب التنسيق الصناعى العسكرى العربى .

إنّ الوحدة العسكرية العربية ، هى التى تجعل التنسيق الصناعى العسكرى العربى عملاً ملموساً ولا يبقى حبراً على ورق .

وقد بذلت الجامعة العربية من جهة وقسم من الدول العربية من جهة أخرى والقيادة العربية الموحدة من جهة ثالثة ، جهوداً لتنسيق الصناعات العسكرية العربية .

ولكنّ تلك الجهود لم تثمر الثمرة اليانعة فى هذا المجال ، لأنّ الوحدة العسكرية العربية لم تصبح حقيقة ملموسة وعملاً ملموساً وواقعاً ظاهراً للعيان .

فماذا عن أثر الوحدة العسكرية العربية فى المجال العلمى ؟

أثر الوحدة العسكرية في المجال العلمي

— ١ —

مايحتاج إليه العرب فى هذه الظروف العصيبة التى تجتازها الأمة العربية هو: الإيمان بالله لترصين معنوياتهم، والأيمان بالعلم لترصين الأعداد العسكرى.

إنّ كلّ جيش فى العالم يستحق الحياة والبقاء، لابدّ من أن يتوفّر فيه عنصران أساسيّان: المعنويات العالية، والأعداد المادى السليم.

الأعداد المادى بدون معنويات عالية، لايكوّن جيشاً يصمد فى الحرب ويضحّى من أجل النصر بالغالى والرّخيص.

والمعنويات العالية بدون إعداد مادى سليم، يؤدى إلى معارك انتحارية ولكنها لاتقود إلى النصر نظراً للتّطور العلمى السريع.

والأعداد المادى يخضع إلى حد بعيد إلى البحوث العلمية لتطوير الأسلحة التقليدية واختراع أسلحة جديدة، وإلى العلوم التطبيقية لتطوير الأسلحة الذرية والصواريخ الموجهة والأجهزة الألكترونية واختراع أسلحة غير تقليدية جديدة.

إنّ الحروب الحديثة أصبحت سباقاً علمياً، وأصبح لعلماء الطبيعة والكيمياء والفيزياء مكانة مرموقة فى العسكريّة الحديثة.

وقد أصبح التعاون وثيقاً بين قادة الحرب العسكريين، وقادة الفكر من العلماء.

وربما يقرر العلماء بما يقدمون من أسلحة جديدة، نتيجة الحرب، كما حدث بالنسبة للحلفاء فى الحرب العالمية الثانية، حيث انهارت اليابان على الرغم من انتصاراتها الباهرة، وعلى الرغم من أنها كانت تحارب خارج بلادها وفى مناطق نائية عنها، وذلك بعد استعمال قنبلتين ذريتين فى

هيروشيما وناغازاكى عام ١٩٤٥ ، فأعلن امبراطور اليابان على أثر استعمال هاتين القنبلتين للعالم : « أن العدو اخترع سلاحاً جديداً لاقبل لليابان بالصمود أمامه » ، ثم أعلن استسلام اليابان للحلفاء دون قيد أو شرط .

لقد كان انتصار الحلفاء على اليابان انتصاراً علمياً لامراء .

— ٢ —

ومادام العرب فى صراع حياة أو موت ضد إسرائيل ، فلابدّ لهم من معرفة ماتبذله إسرائيل فى المجال العلمى لتطوير أسلحتها ولاختراع أسلحة جديدة .

ذلك لأنّ العلم لايقاوم إلا بالعلم ، وما أصدق المثل العربى القائل : « لايفل الحديد إلاّ الحديد » .

فى إسرائيل اليوم ، تبذل جهود علمية تهدف إلى تطوير الصواريخ ذات المديات البعيدة أولاً ، وإلى إنتاج السلاح الذرى ثانياً ، وإلى اختراع الأسلحة الكيمياوية والجرثومية ثالثاً .

وقد تكلمت بشىء من الإيجاز عن جهود إسرائيل العلمية فى كتاب : (الوجيز فى العسكرية الإسرائيلية) ، لفائدة المدنيين العرب خاصة .

وتكلّمت بشىء من الإطناب عن تلك الجهود فى كتاب : (العسكرية الإسرائيلية) ، لفائدة العسكريين العرب خاصة .

ولعلّ من المفيد هنا ، أن نمرّ مر الكرام على الخطوط العريضة لجهود إسرائيل العلميّة ، حتى يعرف العرب واجبهم العلمى فى هذه الظروف الخطيرة التى يعيشونها ، لكى يقاوموا العلم بالعلم ويتعاونوا على تطوير أسلحتهم التقليدية لتكون أشد تأثيراً من أسلحة إسرائيل ، ويبذلوا جهودهم العلميّة لاختراع أسلحة جديدة تصاول أسلحة إسرائيل وتتفوّق عليها .

والسؤال الكبير الذى يطرحه العرب اليوم : هل يستطيع العرب منافسة إسرائيل فى المجال العلمى ؟

والجواب الذى لا أشك فى صوابه هو : إنّ العرب يستطيعون منافسة إسرائيل فى المجال العلمى ، إذا تعاون العرب فى الجهاد بأموالهم وعلمائهم لتحقيق السّبق العلمى وصمموا على ذلك ..

أما إذا بقى القادرون على الجهاد بأموالهم يحرصون على المال حرصاً جماً ، ويصونونه فى المصارف الخارجية .

وأمّا إذا بقى القادرون على الجهاد بعلمائهم يبدّدون طاقات العلماء فيما لاينفع الناس ، ويصدرّونهم إلى الخارج طلباً للقمة الخبز ، أو يبقونهم فى بلادهم طاقات معطّلة .

أما إذا بقى أهل المال حرّاساً لأموالهم ، وأهل العلم يفكرون ببطونهم ، فإن العرب لن يستطيعوا اللحاق باسرائيل علميا ،وسيؤدى التفوق العلمى الإسرائيلى إلى نتائج خطيرة جداً على المصير العربى كله ، بما فيه الأموال والعلماء !

إنّ البحوث العلمية والتجارب العلمية ودراسات العلوم التّطبيقية وتطوير الأسلحة وأختراع أسلحة جديدة ، تحتاج إلى المال الوفير والعلماء الأعلام .

وقد أثرت تجارب الأسلحة النووية على اقتصاد فرنسا ، لذلك قرر الجنرال ديغول إيقاف هذه التجارب عندما أعلن خطته التقشفية للمحافظة على سعر الفرنك الفرنسى .(١)

والسّباق العلمى بين الولايات المتحدة الأمريكية والأتحاد السوفياتى أجهد ميزانية هاتين الدولتين الكبيرتين ، إذ أنفقت عليه كلّ من هاتين

---

(١) كان ذلك فى أواخر شهر تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٨ .

الدولتين نفقات خيالية فى محاولة أن تبزّ إحداهما الأخرى فى المجالات العلمية .

على كل ّ فالشرف أغلى من المال وأعز ، والعرب يعرفون هذه الحقيقة ويعرفون أنّ المال وحده لا يرفع شأناً ولا يغطى عيبا .

— ٣ —

فماذا فى إسرائيل من جهود علمية لتطوير الصواريخ ؟

(ا) فى إسرائيل جمعية فلكيّة هدفها إنتاج الصواريخ وتطويرها ، وقد اعتمدت هذه الجمعية فى تموين مشروعها على المساعدات المالية التى قدمها لها معهد (التكنيون) فى حيفا ومصلحة الأرصاد الجوية الإسرائيلية .

وقد انتهت الأعمال التحضيرية كلها فى قسم هندسة الأبحاث الجوّية فى معهد (التكنيون) ، وذلك خلال عام (١٩٥٧ — ١٩٥٨) .

ولما أصبح المشروع حاضراً للتنفيذ من الناحية العملية ، أحيل إلى وزارة الدفاع الإسرائيلية لتتولى بدورها مرحلة التنفيذ .

وفى الساعة الرابعة والدقيقة الواحدة والأربعين من صباح يوم ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦١ ، أطلقت إسرائيل صاروخها الأول من قاعدة سرّية على شاطىء البحر الأبيض المتوسط بالقرب من (تل أبيب) .

وقد أطلقت إسرائيل على أول صاروخ لها إسم : (شافيت ٢) ، وقد حضر عملية إطلاق هذا الصاروخ رئيس الوزراء ووزير الدفاع ووزيرة الخارجية ورئيس أركان الجيش ونخبة من العلماء وعدد من الضبّاط .

وقد حشدت إسرائيل كل علمائها لتطوير الصاروخ واستكمال البحوث

العلمية عنه ، كما تبادلت إسرائيل معلوماتها عن الصواريخ مع الدول الأخرى — خاصة الولايات المتحدة الأمريكية .

لقد أمضى الفنيّون والخبراء الذين أشرفوا على تصميم وبناء الصاروخ عدة سنوات فى إجراء التجارب عليه .

وقد قرّر مجلس الوزراء الإسرائيلى تشكيل لجنة لمراقبة كل ما يتعلق بتجارب الصواريخ المقبلة .

وظهر على أحد جناحى (شافيت٢) عند إطلاقه حروف(ر.ف.أ.ل)، وهى مختصر أسم : (مصلحة تطوير الوسائل الحربية) .

وهكذا تعاونت عدة جهات شعبية ورسميّة فى إنتاج هذا الصاروخ وفى تمويله أيضاً .

(ب) — وأعلن يوم ١١ آب (أغسطس) ١٩٦١ ، بأن إسرائيل أعدّت صاروخاً جديداً يدعى (شافيت ٣) .

وأكدت صحيفة (جيروزاليم بوست) بتاريخ ١٣ آب (أغسطس) ١٩٦١ هذا النبأ ، وأضافت بأن الاستعدادات اللازمة تجرى الآن لاعداد الصاروخ الثالث (شافيت ٤) الذى سيصل إلى طبقات الجو الأكثر إرتفاعاً من الطبقات التى توصل إليها (شافيت ٢) و (شافيت ٣) .

وقد أطلقت إسرائيل بتاريخ ١٩ آب (أغسطس) ١٩٦١ صاروخها (شافيت ٣) .

وأكدت مصادر أخرى أن إسرائيل أعــــدت (شافيت ٤) وهو صاروخ ذو أربع مراحل .

(ح) — إن إسرائيل تبذل قصارى جهدها لتطوير صواريخها ، وهى تتلقى معونات مادية ومعنوية وعلمية من الولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأولى .

وهناك مؤسسة علميّة فى إسرائيل لإنتاج الصواريخ وتطويرها ، تعمل بإشراف وزارة الدّفاع الإسرائيلية .

وتتلقى هذه المؤسسة كل عون مادى ومعنوى من حكومة إسرائيل ومن الصهيونية العالمية ومن المؤسسات المالية اليهودية فى داخل إسرائيل وخارجها ومن رجال المال اليهود فى العالم[١].

- ٤ -

فماذا عن السلاح الذّرى فى إسرائيل ؟

(ا) — طمعت إسرائيل فى الحصول على أسرار الذرة بعد مولدها مباشرة عام ١٩٤٨ ، ولكنها كتمت أطماعها هذه بالتّظاهر بالفقر والعوز تارة وبالدعوة إلى السلام تارة أخرى .

ولأول مرّة ظهرت نيّات إسرائيل فى الحصول على السلاح الذرى بعد الاعتداء الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، إذ ظهر أنّ من جملة شروط التعاون الفرنسى - الإسرائيلى فى مهاجمة مصر ، هو إمداد فرنسا لإسرائيل بأسرار الذرة وموادها الأولية المتيسّرة لديها .

وبدأت إسرائيل تخطط لإقامة فرن ذرى فى (ديمونا) الواقعة فى منطقة (بئر السبع) سنة ١٩٥٧[٢] .

ومنذ ذلك الوقت قطعت إسرائيل شوطاً بعيداً فى مجال تحقيق أهدافها الذرية .

(ب) — وكما هو معلوم ، فإن عوامل إنتاج السلاح الذّرى أربعة هى :

---

(١) انظر التفاصيل فى كتاب العسكرية الإسرائيلية (٢٢٥ — ٢٤٥) .
(٢) انظر التفاصيل فى كتاب : العسكرية الإسرائيلية (٢٤٧ — ٢٤٩) .

تيسّر علماء الذرة، وتيسر الأفران والمواد الذريّة، وتيسّر المال، وإمكان إجراء التجارب الذرية .

وهذه العوامل متيسِّرة لدى إسرائيل .

أولاً — علماء الذرة متيسرون فى إسرائيل، كما أن علماء الذرة اليهود فى العالم كثيرون ، وقد كان إلى وقت قريب رئيس الطاقة الذرية فى الولايات المتحدة الأمريكية يهودياً .

وقد أثبتت محاكمات العلماء الذين أفشوا أسرار الذرّة إلى الاتحاد السوفياتى وإلى الصين الشعبية فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وكندا ، أنّ هؤلاء العلماء من يهود .

فإذا أفشى علماء الذرة اليهود أسرار الذرة للاتحاد السوفياتى والصين الشعبية ، فهل يحجمون عن إفشاء تلك الأسرار لإسرائيل ؟

إن فى معهد (وايزمن) فى (رحبوت) وحده مائتى عالم ذرى وخمسين فنيــاً بأعمال الأبحاث الذرية[1] ، فكم هو عددهم فى معاهد إسرائيل العلمية الأخرى ؟

والعلماء الإسرائيليون المنتشرون فى أنحاء العالم، يزّودون إسرائيل بعصارة أبحاثهم الذرية ، كما أنّ إسرائيل تهتم بتدريب أكبر عدد ممكن من المهندسين المختصين فى الذرة ، حسب خطة مرسومة وتخطيط دقيق .

ثانياً — كما أنّ إسرائيل تملك تجهيزات ذرية هامة تفتقر إليها عدّة دول أوربية .

وقد زوّدت فرنسا إسرائيل بكمـيّة من البلوتونيوم (Plutanium) وهو

---

(١) كان ذلك حتى قبل حرب عام ١٩٦٧ ، ولابد وأن عددهم قد ازداد الآن .

عنصر يستخرج من اليورانيوم (٢٢٨) ، كما أصبح الآن فى وسع أية دولة شراء هذا المعدن من الأسواق العالمية[١] .

كما إكتشفت إسرائيل اليورانيوم فى منطقة صحراء (النقب) ، كما أن هذا المعدن متيسّر فى منطقة (البحر الميت والمنطقة المجاورة لحمامات (الحمّة)، وقد استوردت إسرائيل الأجهزة العلمية لتصفية اليورانيوم .

وقد استوردت إسرائيل كمية من الماء الثقيل من فرنسا فى الأيام الأولى لتجاربها الذرية ، كما أنّ معهد (وايزمن) للأبحاث العلمية اكتشف طريقة جديدة لإنتاج الماء الثقيل نتيجة لجهوده التى بدأت منذ عام ١٩٥٧ .

ثالثاً — أما تيسّر المال فى إسرائيل ولدى الصهيونية العالمية فمعروف ، كما أنّ إقبال يهود العالم على التبرع لإسرائيل معروف أيضاً .

فقد جمع يهود تبرعات لإسرائيل قبيل حرب عام ١٩٦٧ وبعدها مايزيد على ميزانية الدول العربية مجتمعة .

وما تجمعه إسرائيل من يهود (نيويورك) وحدها ، يزيد على ميزانية قسم من الدول العربية.

الميزان التجارى لإسرائيل يرتفع كل عام ، وإسرائيل تجد لها كل يوم أسواقاً جديدة فى مختلف قارات الدنيا .

إنّ إسرائيل ويهود العالم هم قادة المال فى العالم كله ، وهم أغنياء العالم والمسيطرون على المال: عصب الحرب .

رابعا — أما عن إجراء التّجارب الذرية فقد تجرى إسرائيل تجاربها فى البحر ، وقد تجريها فى صحراء سيناء .

---

(١) وهذا مايجعل الدول العربية الغنية تقدم على المعاونة بمالها لإنتاج السلاح الذرى للعرب.

وقد تستغنى عن إجراء تجارب الانفلاق الذّرى، لأنّ الغرض الرئيس من إجراء هذه التجارب، هو تطوير السلاح الذرى وتحسينه وليس التأكد من انفلاق القنابل، لأنّ انفلاقها مضمون تماماً، وقد رأينا كيف أن قنبلة (هيروشيما) فى اليابان ألقيت دون أن تجرّب.

وعلى كل فإنّ مشكلة التجارب الذرية، هى أقل مشاكل الإنتاج الذرى[1].

— ٥ —

فماذا عن معاهد ومؤسسات الذّرة فى إسرائيل؟

(أ) مؤسسة الطاقة الذرية الإسرائيلية:

لم يمض على قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ ثلاثة أشهر، حتى أصبحت (مؤسسة الطاقة الذرية الإسرائيلية) حقيقة ملموسة، ففى ١٥ آب (آغسطس) ١٩٤٨ بدأت هذه المؤسسة بمباشرة نشاطها تحت إشراف وزارة الدفاع الإسرائيلية.

وفى ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٤٩، أرسلت علماءها إلى كل من بريطانيا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية للتّخصص فى الكيمياء الإشعاعية وكيمياء التفاعلات النووية والتحليل النيترونى والاشعاعات النووية وتطبيقات النظائر المشعة، فعادوا إلى اسرائيل عام ١٩٥٤ يحملون شهادة الدكتوراه، كل واحد منهم حسب اختصاصه.

وفى تلك الفترة، أى فى ١٥ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٤، أعلن الرئيس الأمريكى أيزنهاور عن برنامج: (الذرة من أجل السلام).

وفى ٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٤، أعلنت الأمم المتحدة عن إنشاء (**الوكالة الدولية للطاقة الذرية**).

---

(١) انظر التفاصيل فى كتاب: العسكرية الإسرائيلية (٢٤٩ — ٢٥٤).

وقد استفادت إسرائيل كثيراً من المساعدات العلمية والفنية ، وحظيت بحصة الأسد من النظائر المشعّة والأورانيوم الطبيعي والمقوى (Enriched) والذى كانت تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية بموجب البرنامج المذكور .

والملاحظ أنّ لمؤسسة الطّاقة الذرية الإسرائيلية نشاطاً ملموساً فى جميع الجامعات والمعاهد التكنولوجية الإسرائيلية وفى كثير من الجامعات والمعاهد والمؤسسات والمنظمات العلمية خارج إسرائيل أيضاً .

(ب) — معهد وايزمن فى رحبوت :

صدر مرسوم إسرائيلى بتاريخ ٧ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٥ ، يقضى بإنشاء قسم للفيزياء النووية فى معهد وايزمن للعلوم ، فتولىّ العلماء الإسرائيليون العائدون من الخارج الإشراف على الأبحاث فيه .

ولم يمض سوى ستة أعوام على افتتاح قسم الفيزياء النووية الأول ، حتى ارتفع عدد الباحثين فيه من تسعة علماء إلى ستّين عالماً !

وقد قامت دائرة النظائر فى معهد وايزمن بتوجيه وإشراف مؤسسة الطاقة الذرية بانتاج الأوكسجين المقوىّ المعروف بالماء الثقيل . وتشير الاحصاءات العلميّة إلى أن إسرائيل تؤمّن ٩٥٪ من متطلبات العالم لهذه المادة ، والمعروف أن قيمة الغرام الواحد من الأوكسجين المقوّى تبلغ (١٠٠٠) دولار أمريكى .

واليوم يقوم مائتان وخمسون فنياً وعالماً فى معهد وايزمن ، وينهمكون بصورة خاصـــة بمشاريع الفيزياء النووية ذات الفائدة العسكرية .

(ح) — مجلس البحوث الوطنى :

وهو عبارة عن مجلس تنسيق للبحوث التى تجرى فى المعاهد العلميّة الإسرائيليّة .

(د) ـ معهد التكنيون فى حيفا :

يجرى تدريب الخبراء في هذا المعهد بالأسلحة الذرية وبالصوّاريخ أيضاً، وفيه الآن خمسة وعشرون مشروعاً منها ثمانية مشاريع على الأقل ذات فائدة عسكرية لإسرائيل[1].

— ٦ —

فماذا عن المفاعلات الذرية فى إسرائيل ؟

(ا) — مفاعل ريشون ليزيون :

باشرت إسرائيل ببنائه فى ٢٠ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٥٤ فى شمال مدينة (ريشون ليزيون) ، فانتهى بناؤه فى ١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٦ ، ودشّن رسمياً فى ١٢ شباط (فبراير) ١٩٥٧ .

والهدف من تشغيله هو البحث العلمى وإنتاج النظائر المشعّة .

وبعد افتتاحه الرسمى ، أخذ العلماء والطلاّب يتوافدون عليه من شتى المعاهد العلميّة الإسرائيلية ، للتدريب على إنتاج النظائر المشعّة وتطبيقاتها .

(ب) — مفاعل ناحال سوريك :

لم ينقض عام ١٩٥٧ ، حتى كان علماء إسرائيل ، قد وضعوا بالاشتراك مع الخبراء الأمريكيين ، تصاميم مفاعل ذرّى ثانٍ من نوع مفاعل (ريشون ليزيون) نفسه ، وبوشر العمل ببنائه فى ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٧ فى قرية (ناحال سوريك) بالقرب من شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، فانتهى البناء فى ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٨ ، إلاّ أن المصادر الإسرائيلية لم تصرّح بوجوده إلا فى ٧ آذار (مارس) ١٩٦٠ .

---

(١) انظر التفاصيل فى كتاب : العسكرية الإسرائيلية (٢٠٤ — ٢٠٨) .

وتبلغ طاقة هذا المفاعل الإجمالية خمسة ملايين واط حرارى ، والهدف من تشغيله هو : إنتاج النّظائر المشعّة .

ويستخدم هذا المفاعل لتدريب وإعداد مهندسين ذريّين ، وإنتاج النّظائر الصناعيّة والطبيّة ذات النشاط الاشعاعى القصير الأجل نظراً لتعذّر استيرادها ، ودراسة المشاكل التى ستثار عند إقامة محطّة ذريّة لإنتاج الطاقة الكهربائية .

وقد أقيمت إلى جانب هذا المفاعل كليّة يتخصص فيها بعض المهندسين والأطباء وغيرهم من الفنيين فى استخدام النظائر المشعّة .

(ح) مفاعل ديمونا :

إجتمع مجلس الأبحاث العلميّة ومؤسسة الطّاقة الذرية فى قاعـــة المحاضرات بمعهد وايزمن التكنولوجى ، واتخذ قراراً هاماً بتاريخ ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٧ بشأن بناء مفاعل ذرى كبير ، بحيث يستطيع أن يفى بحاجات إسرائيل للطاقة الدرية والنظائر المشعة والبلوتونيوم .

وفى أول شباط (فبراير) ١٩٥٨ بدأ العمل فى إنشاء هذا المفاعل فى (ديمونا) بمنطقة (بئر السبع) .

وقد اعترفت إسرائيـــل فى ٢١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٨ بهذا المفاعل .

بلغت طاقة هذا المفاعل (٢٤) مليون واط حرارى، ويمكنه إنتاج غرام واحد من البلوتونيوم يومياً لكل مليون واط ، أى يمكنه إنتاج (٢٤) غراماً يومياً .

والجدير بالذكر ، هو أنّ بناء هذا المفاعل قد جرى بموجب إتفاقية ذرية بين فرنسا وإسرائيل لم تذع نصوصها الرسمية بعد .

(ى) مفاعل النبي روبين :

عقد فى ١٣ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٥ إجتماع مشترك بين مجلس الأبحاث العلمية ومؤسسة الطاقة الذرية ، أقرت فيه تصاميم مفاعل ذرى جديد .

وبوشر العمل فى بنائه بتاريخ ١٧ كانون الثانى (يناير) ١٩٦٦ فى منطقة (النبي روبين) الواقعة على نهر النبي روبين (سوريك سابقاً) .

وتقدر تكاليف بناء هذا المفاعل وتشغيله بحوالى(٢٠٠) مليون دولار .

وهذا المفاعل بدون شك ، يستفاد منه أعظم الفائدة لإنتاج السّلاح الذّرى — بالأضافة إلى فوائده الأخرى فى تحلية مياه البحر وإنتاج الطّاقة الكهربائية.[١]

— ٧ —

فماذا عن المسرعات الذرّية فى إسرائيل ؟

(أ) المسرع الذرى فى حيفا :

دشن فى ١٥ مايس (مايو) ١٩٥٥ ، وتكاليفه (٢٥٠) الف دولار .

(ب) المسرع الذرّى فى رحبوت :

دشّن فى ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٦ ، وتكاليفه مليون ونصف مليون دولار .

(ح) المسرع الذرى فى الجامعة العبرية :

دشّن فى ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٧ ، وتكاليفة (٤٠٠) ألف دولار .

---

(١) انظر التفاصيل فى كتاب : العسكرية الإسرائيلية (٢٥٨ — ٢٦٥) .

(ء) المسرع الذرى فى تل أبيب :

دشّن فى ٤ نيسان (أبريل) ١٩٥٩ ، وتكاليفه مليون ونصف المليون دولار .

(هـ) المسرع الذرّى فى القدس :

دشّن فى ١٧ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٢ .(١)

— ٨ —

فماذا عن تدابير الدفاع المدنى ضد السلاح الذرى فى إسرائيل؟

أقامت مصلحة الحماية المدنية الإسرائيلية فى إسرائيل شبكة للدفاع المدنى تتألف من تسع وعشرين محطة رئيسة ، لمراقبة الاشعاعات النووية فى الماء والهواء والتربة والبحر ، كل محطة مجهزة بعدد من الأجهزة الدقيقة أهمها : جهاز خاص بمراقبة الإشعات الفضائية آلياً ، بالأضافة إلى عشرات من الأجهزة وعدادات الكشف والفحص والمسح والوقاية والتدقيق والتعيين والتحليل وقياس الجرعات (Doses) الإشعاعية ، هى من صنع فرنسى وبريطانى وأمريكى وألمانى وسويسرى . هذا بالأضافة إلى أجهزة خاصة بتحليل المواد الغذائية والمشروبات والألبان واللحوم والخضر والفواكه التى تخضع لمراقبة خبراء مصلحة الحماية المدنيه .

ولا يمكن السماح للمواد الغذائية المستوردة بالدخول إلى إسرائيل قبل إجراء فحص دقيق عليها ، للتأكد من أنها خالية من التلوث الإشعاعى .

وهذه المحطات موجودة فى (تل أبيب) حيث يقوم مختبر مركزى ، وفى حيفا والقدس ورحبوت ويافا وناحال سوريك وريشون ليزبون وإير هدارون ونهاريا وطبرية وعسقلان وبئر السبع وناثانيا وصفد والعفولة

---

(١) أنظر التفاصيل فى كتاب : العسكرية الإسرائيلية (٢٦٥ — ٢٦٨) .



وعكا وبتاح تكفا واللد وبيسان وتيفان والكرمل وزخرون ياكدون وهرزليا وكفرسابا وسدوم وإيلات وديموناً والرملة وهرتور .

هذه الشبكة الكبيرة ، هى لمراقبة الإشعاعات الذرية وللحماية من آثارها الخطيرة .

وفى كل محطة مراقبة ، توجد عدة أجهزة كبيرة للتسجيل ومراقبة شدة وتركيز الإشعاعات الذرية فى الهواء والماء والتراب ، بالإضافة إلى مختبر ثانوى لتحليل الألبان والفواكه والخضر واللحوم والأسماك .

وتصدر هذه المختبرات نشرة أسبوعية عن أوضاع الإشعاع الذرى فى إسرائيل .

والمعروف أن موضوع حماية المواطنين من تأثير الإشعاعات النووية قد أصبح فى وقتنا الحاضر ، من أهم المواضيع التى تشغل بال المسؤولين ورجال العلم فى الدول المتقدمة .

فهذه الإشعاعات غير المرئية مثل (ألفا وبيتا وغاما وإكس والأشعة الكونية وغيرها) قد تكون سبباً رئيساً فى إصابة المواطنين بعدد كبير من الأمراض الخطيرة كالأنيميا والسرطان الدموى والعظمى والرئوى وغيره.

لذلك أصبحت مراقبة المواد الغذائية المستوردة من الخارج ، ومراقبة مياه الشرب واللحوم والأسماك والألبان والخضار والفواكه من الأمور الضرورية الهامة للحماية المدنية والدفاع المدنى.(١)

---

(١) انظر التفاصيل فى كتاب : العسكرية الإسرائيلية (٢٧٣ — ٢٧٥) .

- ٩ -

فماذا عن الأسلحة الكيمياوية والأسلحة الجرثومية (البيولوجية) فى إسرائيل ؟

(ا) ـ أسلحة التدمير الشامل :

وهى التى تؤدى إلى خسائر فادحة فى الأرواح والممتلكات فى وقت قصير جداً يتناسب مع نوع السلاح المستخدم للتدمير .

وهذه الأسلحة هى : أسلحة الحرب النووية والإشعاعية ، مثل أشعة ألفاوأشعة بيتا وأشعة غاما والنيوترونات ،والأسلحة الكيمياوية كالعوامل التى تحدث الفقاعات فى الجسم كالخردل واللويزات ، والعوامل التى تؤثر فى الدم ، والعوامل المخدشة أو المهيجة ، والعوامل الخانقة[١] .

(ب) ـ الأسلحة الكيمياوية :

تختلف الأسلحة الكيمياويةباختلاف العوامل الكيمياوية السامة التى تصنع منها .

وتصنّف هذه العوامل بالنسبة للغرض العسكرى الذى تستعمل من أجله ، وبالنسبة لتأثيرها فى الإنسان ، ثم بالنسبة لدرجة بقائها وثباتها .

منها ما تلوّث الهواء ، ومنها ما تلوّث الأرض ، كما أنّ بعض هـــذه العوامل تستقر على الأرض ، كالتابون والزارين والخردل ويَبقى مفعولها مدة تتراوح بين بضع ساعات وعدّة أيام . وبعضها غير مستقر ، ينتشر بسرعة ملوثاً الهواء ، ثم يتلاشى تدريجياً خلال بضع دقائق أو عشرات الدقائق .

---

(١) انظر التفاصيل فى كتاب : العسكرية الإسرائيلية (٢٧٧ — ٢٨٨) .

غير أنّ هذه العوامل قد تظلّ مدّة أطول فى الغابات والمبانى وفى الخنادق والملاجىء .

وليس من السّهل أن نتكهن أياً من هذه الأنواع قد تصنعها إسرائيل، ولو أننى أميل شخصياً إلى أنها تحاول أن تصنع كل سلاح تقدر عليه وتستطيع به إفناء العرب وإحراز النصر عليهم وتحقيق أطماعها التوسعية فى بلادهم .

على أنّ جيوش العالم تميل فى الوقت الحاضر إلى إنتاج عوامل كيمياوية يقتصر مفعولها على شلّ جنود العدو أكثر من قتلهم . ذلك لأنّ محاولة استخدام الأسلحة الكيمياوية وسيلة للإبادة الإجماعية ، تلجىء الخصم إلى المقابلة بالمثل . ومن المحتمل أن إسرائيل ستعمل بهذه الفكرة ، فتوجه مساعيها نحو إنتاج الأسلحة الكيمياوية التى تشلّ القوات العربية عن العمل . غير أنه لا يستبعد أيضاً أن تحاول إسرائيل استخدام أسلحتها الكيمياوية ، لإبادة القوات العربية المتفوّقة عليها بالعدد ، لأن التفوق العددى العربى يشغل بال إسرائيل ، وهو مصدر قلق دائم لقيادتها العسكرية ، فمن المحتمل أن تلجأ إسرائيل إلى كل وسيلة تمكنها من القضاء على هذا التفوّق ، ومن بينها إستعمال الأسلحة الكيمياوية لإحـــداث الخسائر فى العرب على نطاق واسع .

وقد ترجّح إسرائيل إستعمال الأسلحة الكيمياوية على الأسلحة النووية ، ذلك لأن الضجة التى تثيرها الأسلحة الكيمياوية فى الرأى العام العالمى ، لا يمكن أن تقاس بالضجة التى تحدثها الأسلحة النووية .

ولابد وأن إسرائيل تخشى أيضاً ، من أن يؤدى إستخدامها الأسلحة النووية إلى إندلاع حرب نووية عامة[1].

(ح) - الأسلحة الجرثومية (البيولوجية) :

هى استخدام بعض الكائنات الحيّة أو سمومها ، لاشاعة المرض أو

---

(١) انظر التفاصيل فى كتاب : العسكرية الإسرائيلية (٢٧٧ — ٢٨٨) .

الموت فى القوى البشريّة للعدو ، أو لإتلاف حيواناته ومحاصيله الزراعية .

وقد تكون هذه الكائنات الحيّة جراثيم مختلفة الأنواع، أو حشرات وطفيليّات ، وكل هذه موجودة فى محيطنا بكثرة عظيمة ؛ ولكن محاولة الاستفادة من أنواعها الضّارة أو سمومها لإحداث الأمراض أو الموت ، أو لإتلاف موارد عيش الإنسان ، يجعل منها سلاحاً يمكن إستخدامه فى الحرب ، لتحقيق الأغراض العسكرية عند الحاجة .

وقد تعهد الموقّعون على إتفاقية (جنيف) عام ١٩٢٥ ، بعدم إستعمال العوامل الجرثومية فى الحرب ، وهى لم تستعمل فى أية حرب حتى الآن .

غير أن تاريخ الحروب يعلمنا أن الأعداء فى الحرب ، قد يلجأون إلى إستخدام أى سلاح وإن كان محرّماً ، إذا رأوا أنه سيساعدهم على تحقيق أهدافهم ، لا سيما إذا علموا بأن خصومهم ليسوا على إستعداد لمواجهة هذا السلاح أو الرد عليه بالمثل .

ورغم أن السلاح الجرثومى لم يجرّب فى الحرب بعد، وتأثيره لا يزال موضع حدس وتخمين ، فإن خير ضمان لمواجهة إحتمال استخدام إسرائيل له ، هو الاستعداد السلبى والإيجابى له استعداداً تاما .

إن استعدادنا لا يساعدنا على مواجهة سلاح العدو الجرثومى وإحباط تأثيره فحسب ، بل وقد يحمله على صرف النظر عن استخدامه فى الحرب .

(د) ـ فما هى أغراض إسرائيل من استعمال الأسلحة الجرثوميّة ؟

أولاً : تدمير القوى البشرية العربية وراء خطوط القتال ، أو جعلها عاجزة عن العمل ، الأمر الذى يجعل إسرائيل تقضى على التفوّق العددى للعرب بصورة مباشرة .

ثانياً : إشغال الحكومات العربية بالمشاكل النّاجمة عن كثرة المرضى

بين أفرادالشعب وبالتدابير الضرورية لمعالجتهم ، مما يؤدى إلى تقصيرها فى أداء واجبها تجاه قواتها المسلحة المشتبكة فى الميدان .

ثالثاً : إضعاف معنويات الشعوب العربية بتقليل ومقاومتها للعدون الاسرائيلى ، وحمل حكوماتها نتيجة لذلك على الاستسلام والخضوع لمشيئة العدو[1].

— ١٠ —

فماذا عن الأبحاث العلمية الاسرائيلية الأخرى ؟

(ا) ـ أبحاث الفضاء :

أولاً : أعلن مدير الأبحاث الفضائية فى جامعة (تل أبيب) ،أنّ خبراء المعهد قد صنعوا جهازاً خاصاً بالتقاط الإشارات التى تبعث بها الأقمار الصناعيّة الخاصة بدراسة الأحوال الجوية ، وسوف يوضع هذا الجهاز فى مركز الدراسات المناخيّة فى (بيت داغون) .

ثانياً : وأطلق خبراء دائرة التطوير فى وزارة الدفاع الاسرائيلية فى تموز (يوليو) ١٩٦١ صاروخاً مناخياً للبحث العلمى صنع فى إسرائيل من مواد محليّة ، وارتفع إلى علو (٢٢٨) كيلومتراً فى الأيونو سفير .

وبذلك أصبحت إسرائيل سابع دولة فى العالم تطلق صاروخاً من هذا النوع .

(ب) ـ أبحاث الفيزياء :

يعمل عدد من العلماء الاسرائيليين فى أبحاث فيزياء الحالة الصلبة ،

---

(١) انظر التفاصيل فى كتاب : العسكرية الإسرائيلية (٢٨٨ ـ ٢٩٥) .

حيث يدرسون مزايا وصفات المعادن والسبائك ، وخاصة سبائك الألومنيوم التي تتميز بخفة الوزن ، مما يجعلها صالحة لبناء الطائرات والصواريخ .

أما في حقل الفيزياء النظرية ، فهناك أبحاث مختلفة في مواضيع النسبية العامة كالجاذبية والتقلص وانحراف النور في الحقل الجاذبي وماشابه ذلك.

والواقع أنه تجرى أبحاث أخرى متعددة في ميادين مختلفة من ميادين العلم ، منها أبحاث حول الطيران العالي وتطوير محركات الطائرات .

(جـ) ـ الأبحاث السرية الخطيرة .

أولاً : جهاز تغيير اتجاه القذائف :

من أهم الأبحاث السرية وأخطرها ، بحث يتعلق بدراسة الجاذبية المغنطيسية والكهرطيسية ، بقصد الاستفادة من خصائص كل من هذه الظواهر عسكرياً إذا أمكن .

وهذا البحث بدأت فيه جامعة (شيكاغو) بالتعاون مع إحدى عشرة شركة أمريكية ، بناء على عقود خاصة مع وزارة الدفاع الأمريكية ، وقعت في مايس (مايو) ١٩٥٩ ، ونشرت الصحف في ١٣ مايس (مايو) من ذلك العام أنباء تلك العقود .

وانتقلت بعد ذلك بعض أسرار هذا البحث إلى علماء معهد التكنيون الإسرائيلي في حيفا عن طريق أحد العلماء اليهود في جامعة (شيكاغو) ، ويدور البحث حول دراسة إمكان خلق موجات مغنطيسية لتدمير القذائف الموجهة في الجو ، أو على الأقل تحويل خط سيرها عن الهدف المرسوم لها .

وقد اقتضى هذا البحث الخطير إجراء تجارب عديدة على تأثير حقل الجاذبيّة التى تتحرّك حركة مستقيمة أو لولبيّة أو دورانيّة . واضطر العلماء إلى إجراء العديد من التّجارب حولِ الأشعّة الكونيّة، ودرسوا بدقة ملاحظة (اينشتاين) فى النظرية النسبيّة العامة حولِ إنحراف شعاع النور فى الحقل الجاذبى ، وكلفت هذه الأبحاث الخزينة الأمريكية مئات الملايين من الدولارات .

ويعمل العلماء الاسرائيليون حالياً فى تجربة جهاز دقيق يمكنه أن ينتج أمواجاً جاذبيّة أو كهرطيسية (Electromagnetic) اصطناعية بحيث تكون خصائصها مشابهة لخصائص الأمواج الجاذبيّة أو الكهرطيسية وتسلّط هذه الأمواج على نقطة معينة بعيدة عن الأهداف العسكرية . بحيث يحصل فى هذه النقطة تداخل (Jnterference) بين الأمواج الطبيعية الموجودة فى جو الأرض أو الصادرة عن كتلتها - والاصطناعية التى ينتجها الجهاز المذكور ، فيؤدى ذلك إلى تركيز فى قوّة الجاذبية الأرضية فى تلك البقعة .

ونتيجة لذلك، فإن الرصاصة المنطلقة أو القنبلة أو القذيفة أو الصّاروخ تنحرف عن هدفها أو ينحرف عن هدفه المرسوم نحو هذه النقطة التى ركزت فيها الجاذبيّة .

وزاوية الانحراف يمكن أن تتراوح بين (١٥ — ٤٥) درجة .

وقد أطلق على مشروع هذا الجهاز اسم : جهاز تغيير اتجاه القذائف.

ثانياً : جهاز الإختفاء عن الأنظار :

يعمل فى مختبرات دائرة الفيزياء فى التكنيون عدد من العلماء الإسرائليين بينهم يهود من الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا وفرنسا وألمانيا الغربية وجيكوسلوفاكيا - فى تطوير حالة : (الظاهرة الثلاثية للمادة) .

وهم يهدفون إلى تحقيق تطبيق خطير لهذه الظاهرة لا يقلّ خطورة عن البحث السابق .

فالمعروف أن تصرّف الذرات والجزئيات يصبح شاذاً عندما تختلف أوضاع دوران الألكترونات المركزية حول نواة الذرة من الحالة المعروفة باسم : (الحالة الصفرية) أصبح بإمكانها التصرّف والتحرّك فى الاتجاهات الهندسيّة المتعامدة المعروفة باسم : (الأبعاد الثلاثة) ، أى (الطول والعرض والعمق) ، وهذه الحالة المهيّجة (Excited) سواء بوساطة الحرارة العالية أو الإشعاع أو الجاذبية ، هى الحالة التى يشير إليها تعبير : (الحالة الثلاثية للمادة) .

وهذا الموضوع الدقيق الجديد ، قد فرض وجوده على جميع الأبحاث الذرية والدراسات النووية وفيزياء البلورات والنيترونات والإشعاع بالاضافة إلى الكيمياء الإشعاعيّة والضوئية والبلوريّة وسواها من مواضيع البحث والاختصاص ، وأصبح يشكّل موضوعاً هاماً من مواضيع فيزياء الأجسام الصلبة والأجسام نصف الموصلة (Semi — Conductor) وكيمياء المحاليل العضويّة .

والخطير فى الأمر ، هو أنّ علماء إسرائيل وعلى رأسهم روبين رئيس مختبر الكيمياء الضوئية فى التكنيون ، يدرسون إمكان تطوير : (الحالة الثلاثية) ، على أمل إستخدامها بعد ذلك الأغراض العسكرية ، حيث أنهم يأملون فى أن ينتجوا جهازاً يرسل نوعاً من الأشعّة ذات التوتر الشديد والذبذبة العالية (شبيهة بأشعة لازر) ، يمكنها أن تهيج الذّرات تهييجاً قوياً خلال فترة قصيرة جداً من الزمن ، فتتصرف مادة الأجسام على نمط : (الحالة الثلاثية) . وهكذا يبدو الجسم البشرى أو غيره من الأجسام الحية والأشياء الجامدة كضباب ، فلا يمكن عندها للنّاظر أن يشاهد جسم

الإنسان الذى يختفى عن أنظار المشاهدين ، ووراء ذبذبات : (الحالة الثلاثية)
وهو بالطبع مالم يصل إليه العلم فى إسرائيل حتى اليوم[١].

— ١١ —

فماذا عن البحث العلمى والتطوّر التكنولوجى فى مجال التعاون العربى؟

(أ) ـ فى المجال العربى ، يتفاوت التقدم العلمى فى كل دولة من الدول العربية حسب ماتبذله من جهد ومايتوفّر لديها من إمكانات علمية ومالية .

أما على الصعيد الدولى العربى ، فلم يؤد العربُ دوراً ظاهراً فى مجال البحث العلمى والتطور التكنولوجى .

وقد اقتصر التعاون العربى على نشاط مركز الشرق الأوسط الإقليمى للنظائر المشعّة للدول العربية ، ومشروع اتفاقية التعاون العربى لاستخدام الطاقة الذرية للأغراض السلميّة .

فقد أنشىء مركز الشرق الأوسط الاقليمى للنظائر المشعة للدول العربية طبقاً لاتفاقية عقدت بين الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة لهيئة الأمم المتحدة وبين الدول العربية .

وقد أصبح هذا المركز مملكاً للجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٨ .

وهذا المركز يقوم بتدريب الإخصائيين على تطبيقات النّظائر المشعّة وتطوير استعمالها فى الدول العربية ، وهو يوالى نشاطه منذ إنشائه مستعيناً بالمعونة التى تخصص له من برامج المعونة الفنية التى تقدمها الوكالة الدولية للطاقة الذرّية ومن المعونات التى تدفعها الدول المشتركة فى هذه الوكالة .

وهذه الوكالة تحابى إسرائيل ، فقد نالت إسرائيل (٣٩٠) شحنة من

---

(١) انظر التفاصيل فى كتاب : العسكرية الإسرائيلية (٣٥٨ ـ ٣٦٢) .

أصل (٢٧٨٥) شحنة من النظائر المشعّة ، أى حوالى ١١٪ وهو أكثر من حصّة ست دول عربية مجتمعة[١].

أما إتفاقية التعاون العربى فى استخدام الطّاقة الذرّية للأغراض السلميّة ، فقد قرر مجلس الملوك والرؤساء إنشاء المجلس العلمى العربى المشترك فى جلسته التى عقدها فى أيلول (سبتمبر) ١٩٦٤[٢] .

وقد مهدت الأمانة العامة لجامعة الدول العربيّة لوضع مشروع إتفاقية التعاون العربى فى استخدام الطّاقة الذرّية للأغراض السلمية وتشكيل المجلس العلمى العربى المشترك .

وعيّنت أغلب الدول العربية مندوبيها فى هذا المجلس ، وانعقد فى دورته الأولى ، ووضع المندوبون مسوّدة مشروع الاتفاقية ، ولكن لم يتم التصديق عليها من بعض الدول العربية ، كما لم توضع موضع التنفيذ حتى الآن .

وهذه الاتفاقية تحقق المهام والمزايا التالية للعرب :

(١) — تنسيق البحث العلمى ودفع التطوّر التكنولوجى فى المجال العربى .

(٢) — إعداد وتأهيل العلماء العرب وتبادل الخبرات بينهم .

(٣) — التنسيق بيّن إمكانات الدول العربية فى هذا المجال .

(٤) — مجابهة الأبحاث الكبرى والمشاكل العلمية المعقّدة التى لا يمكن لدولة عربية واحدة القيام بها بمفردها .

(٥) — توفير جهاز علمى فنى قادر على التعاون مع الهيئات والمنظّمات الدولية المختصة .

(٦) — تطوير البحث العلمى ودعم التضامن العربى فى هذا المجال .

---

(١) انظر التفاصيل فى كتاب : العسكرية الإسرائيلية (٢٥٥ ـ ٢٥٦) .

(٢) فى مؤتمر القمة الثانى الذى عقد فى الفتره من (٥ ـ ١١) أيلول ١٩٦٤ فى الإسكندرية .

إنّ منطق القضايا العسكرية ، يحتّم حساب أسوأ الإحتمالات عمّا يستطيع أن يقوم به العدو ، وذلك لاتخاذ أدق التدابير لمجابهته .

وإسرائيل لاتستخدم سلاحها الذّرى ضد العرب ، إذا أصبح لدى العرب سلاح ذرى أيضاً .

أما إذا انفردت إسرائيل بانتاج السلاح الذرّى ، فإنها تستخدمه حتماً ضد العرب مادياً ومعنوياً .

فى سنة ١٩٣٦ كان هناك حرب بين الايطاليين والأحباش ، وقداستعمل الايطاليون الغازات السامة ضد الأحباش فى تلك الحرب، لأنّ الايطاليين كانوا يملكونه والأحباش كانوا لايملكونه .

أما فى الحرب العالمية الثانية ، فلم يستعمل الغاز السّام ، لأن الحلفاء والمحور كانوا يملكونه .

وفى سنة ١٩٤٥ استخدم الأمريكيون السِّلاح الذرى ضد اليابان ،لأن اليابانيين لم يكونوا يملكون هذا السِّلاح .

أما اليوم ، فلا تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية استعمال السلاح الذرى ضد الاتحاد السوفياتى ،كما لا يستطيع الاتحاد السوفياتى استعماله ضد الولايات المتحدة الأمريكية ،لأن هاتين الدولتين لديهما هذا السِّلاح .

إن الرادع الوحيد لإسرائيل الذى يمكن أن يحول بينها وبين استعمال السِّلاح الذرى ضد العرب ، هو أن يصبح هذا السِّلاح فى حوزة الدول العربية .

فما هو واجب الدول العربية تجاه السلاح الذرّى الإسرائيلى؟

(أ) - التدابير العسكريّة :

أولاً : الحصول على السّلاح الذرى بأية وسيلة كانت وبسرعة، وذلك لتقليل المدة التى ستكون إسرائيل خلالها متفوقة على العرب بهذا السلاح .

ثانياً : الإسراع بإنشاء الأفران الذرية الكبيرة لإنتاج البلوتونيوم أوغيره من العناصر القابلة الانفجار .

ويجب أن تكون الطاقة الإنتاجية لهذه الأفران مساوية على الأقل للطّاقة الإنتاجية للأفران الذرية الإسرائيلية .

كما يجب أن تنشأ بالإضافة إلى ذلك المعامل الفرعية الأخرى اللاّزمة لإنتاج السّلاح الذرى ، كالمعمل الكيمياوى الضرورى لفصل البلوتونيوم بعد إنتاجه ، ومعمل الماء الثقيل . . . الخ .

ثالثاً : إعادة النظر فى تنظيم وتدريب وتجهيز الجيوش العربية لجعلها ملائمة لحرب ذرية ، وذلك أسوة بما فعلته بعض دول العالم وما تفعله دول كثيرة الآن .

إن لإنتاج السلاح الذرى أثراً فى تنظيم الجيوش وفى تدريبها وفى تجهيزها وفى تعبئتها وفى سوقها(١) ، فلابد من اقتباس كل هذه الأمور الحيوية من الدول القوية الأخرى .

رابعاً : تعليم المدنيين فى الدول العربية حقائق الحرب الذرية وأساليب الوقاية منها وأساليب الدفاع ضد أخطارها، وجعلهم يتهيأون فكراً وتدريباً عملياً على حرب ذرية ، لئلا يباغتوا بها على حين غرّة منهم فتنهار معنوياتهم عند نشوبها .

---

(١) سوقها : استراتيجيتها .

إن الحرب الذرية تتطلب من الشعوب معنويات عالية لتصبر ، وتتحمل الكوارث ، وتصمد تجاه الخطوب .

ومن أهم عوامل رفع المعنويات التمسك بالدّين الحنيف أولاً وتفهم حقيقة الحرب نظرياً وعملياً ثانياً .

خامساً : الاهتمام بتدابير الدفاع السلبي ضد أخطار الحرب الذرية كإنشاء الملاجىء وتهيئة فرق المطافىء وتحاشي الإسكان المزدحم ، وتوزيع المنشآت الصناعية فى أماكن متباعدة داخل البلاد ، والاستفادة من العوارض الطبيعية كالجبال لحماية تلك المنشآت وخزن الأسلحة والذخيرة فى تلك العوارض ، واتخاذ التدابير لحماية مشاريع الماء والكهرباء والغاز ومؤسسات النفط والمواصلات وغيرها من الأهداف الملائمة للقصف الذرى ، واتخاذ تدابير الدفاع المدنى ضد السلاح الذرى بإنشاء شبكة الدفاع المدنى مؤلفة من محطات لمراقبة الإشعاعات النووية فى الماء والهواء والتربة والبحر .

سادساً : مراقبة محاولات إسرائيل لإنتاج السلاح الذرى مراقبة دقيقة والحصول على المعلومات عنها باستمرار .

سابعاً : وضع خطة عسكرية موحدة للبلاد العربية لمجابهة الخطر الذرى الإسرائيلي وإحباطه .

وهذه الخطة هى من أول واجبات القيادة العربية الموحده .

(ب) ـ التدابير العلميّة :

أولا : حشد الكفايات العلمية العربية أولاً ، والكفايات العلمية الاسلامية ثانياً ، والاستفادة من خبراء العالم فى الذرة ـــ خاصة من خبراء الدول المحايدة والدول غير الاستعمارية والدول غير الذرية ـــ وجعلهم يعملون ليلاً ونهاراً باشراف المؤسسات العلمية العربية والقيادة العربية الموحّدة .

ثانياً : إرسال البعوث العلمية من البلاد العربية حسب خطة مرسومة للتخصص فى الدراسات الذرية فى الجامعات الأجنبية ، والاهتمام بالعلوم الذرية فى الجامعات العربية ، وفتح جامعة خاصة لشؤون الذرة باشراف الجامعة العربية والقيادة العربية الموحدة .

ثالثاً : الاهتمام بسلاح الصواريخ وتطويره ، فقد تقدم هذا السلاح تقدماً عظيماً ، وسيلعب دوراً خطيراً فى حرب المستقبل .

رابعاً : الاهتمام بالأسلحة الكيمياوية والعمل على إنتاجها وتطويرها .

والاهتمام بالأسلحة الجرثومية والعمل على إنتاجها وتطويرها أيضا .

خامساً : البحث عن اليورانيوم والثوريوم (Thoriom) فى البلاد العربية ، واتخاذ التدابير اللازمة لاستخراجها .

(ح) ـ التدابير السياسيّة :

أولاً : القيام بحملة واسعة النطاق فى جميع العالم ، لإظهار إسرائيل أمام الرأى العام العالمى بأنها دولة تهدف إلى التوسع والعدوان بإقدامها على إنتاج السلاح الذرى .

ثانياً : إستغلال نيات إسرائيل العدوانية هذه لإقناع الدول الآسيوية والإفريقية والدول غير المنحازة التى تتعامل مع إسرائيل بالكفّ عن هذا التعامل .

وإذا أمكن إغراؤهم بالتدريب فى المؤسسات الذرية العربية بدلاً من التدريب فى المؤسسات الذرية الاسرائيلية ، فذلك يؤدى إلى إحباط خطط إسرائيل لاستمالة هذه الدول وجعلها تحت كنفها بما تقدمه إليها من عروض مغرية لتدريب رجالها فى مؤسسات إسرائيل الذرية .

ثالثاً : إن مساهمة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فى خلق إسرائيل وفى إغداق المساعدات المادية والمعنوية عليها منذ تأسيسها حتى اليوم ، يُلقى على عاتق هاتين الدولتين مسؤولية أدبيّـة .

كما أنّ مساعدة فرنسا لإسرائيل علناً بالمواد الذريّة وتشييد فرنها الذرى الجديد والمفاعلات الذرية الأخرى ، يُلقى على عاتق هذه الدولة مسؤوليّـة أدبية أيضاً .

فعلى العرب إثارة موضوع إنتاج إسرائيل للسّـلاح الذرى بالوسائل السياسية وعلى نطاق المنظمات الدولية للحصول من هذه الدول على ضمانات كافية حول منع إسرائيل من إنتاج السّـلاح الذرى ، وإصدار الضمانات ببيان ينشر ويذاع فى العالم ، والحصول على وعد من هذه الدول بقطع مساعداتها المالية والاقتصادية عن إسرائيل فى حالة استغلالهـا مفاعلاتها الذرية لاغراض التسليح الذرى .

إنّ هذه الدول حين زوّدت إسرائيل بالمفاعلات والأجهزة والمواد والخبرات الذرية، زعمت أنها فعلت ذلك لتستفيد منها إسرائيل للأغراض العلمية مثل تحلية ماء البحر وإنتاج الطاقة الكهربائية وإجراء الفحوص الطبية . . . الخ . . . .

وردّدت إسرائيل هذا الزّعم أيضاً .

ولكن الدول التى زودت إسرائيل بكل ذلك تعرف قبل غيرها بأن إسرائيل إستغلت تلك المواد والمفاعلات والأجهزة والخبرات للأغراض العسكرية .

بل إنّ هذه الدول تعرف قبل غيرها ، بأن قسماً من تلك الأجهزة والمواد هى لإنتاج السلاح الذرى .

وهذه الدول وحدها تستطيع إيقاف إسرائيل عند حدّها إذا شاءت ، ومطالبة العرب لها بالضمانات عمل مشروع تؤيده كل الدول المحبّة للسلام حقاً .

ولا تستطيع هذه الدول أن تتنصّل من مسؤوليتها عن تزويد إسرائيل بالقضايا الذرية ، وإلا كشفت أوراقها علانية للعالم بأنها هى التى تشجّع إسرائيل على الإعتداء بالسلاح الذرى على العرب من أجل التوسع على حساب الدول العربية .

يجب إقناع هذه الدول ، بأنّ تقديم هذه الضمانات سيخدم مصالحها بالذّات فى البلاد العربية وفى دار الاسلام ، ويزيل الشكوك التى تساور النفوس فى نياتها المستورة تجاه منطقة الشرق الأوسط ، كما تخدم هذه البيانات قضية السّلام العالمى .

رابعاً : القيام بحملة سياسية فى البلاد الغربية عامة وفى الولايات المتحدة الامريكيّة خاصة ضد جمع التبرعات لإسرائيل وشراء سندات القرض الإسرائيلى ، باعتبار أنّ هـذه الأموال التى تجمعها إسرائيل تصرف على قضايا التسليح الذرى الذى يهدّد السّلام العالمى بأفدح الأخطار .

إن إطلاع شعوب تلك الدول على نيات إسرائيل العدوانية ،وإطلاعها على أن ما تقدمه لإسرائيل من تبرعات تستخدم لانتاج السلاح الذرى ، وأن استخدام إسرائيل ضد العرب لهذا السلاح يؤدى إلى حرب عالميه ثالثة لاتبق ولا تذر . . . كل ذلك سيقلل من حماسة تلك الشعوب واندفاعها للتبرع بالمال الوفير لاسرائيل .

خامساً : قيام الدول العربية بمضاعفة جهودها للدّعوة إلى نزع السلاح

الذرى وحظر تجاربه ، وذلك فى المحافل الدولية وفى المؤتمرات الدولية ، وأن تركّز جهود وفودها لمثل هذه القضايا الحيوية التى هى قضايا مصيرية بالنسبة للعرب ، وألاّ تُشغَل تلك الوفود بقضايا جانبية لاناقة للعرب فيها ولاجمل ولا تمسّ المصير العربى من قريب أو بعيد .

إنّ إسرائيل لم تصدّق على اتفاقية حظر التجارب الذرية، بينما أيدت الدول العربيّة هذه الاتفاقية.

وهذا يلفت النظر ويدل على نيات إسرائيل الذرية .

سادساً : السعى لاكتساب التأييد الدولى للعرب فى إيقاف التسليح الذّري الإسرائيلى .

إن الدول الإسلاميّة تؤيد العرب فى استعادة حقوقها المغتصبة فى الأرض المقدسة .

كما أن دول عدم الانحياز تؤيد العرب فى ذلك .

والمهم هو كسب تأييد أكثر الدول والشعوب .

سابعاً : إنتاج العرب للسلاح الذّرى يحتاج إلى تعاونهم الوثيق المطلق ، فهذا السلاح يحتاج إلى نفقات باهظة ليست فى طاقة دولة عربية بمفردها أن تنهض بها .

وهذا السّلاح يحتاج إلى كثير من العلماء والخبراء ، لاتستطيع دولة عربيّة بمفردها أن تيسّرهم للعمل المجدى المفيد .

كما أن القضاء على إسرائيل ، يحتاج إلى تظافر جهود الدول العربية كلها للإطباق على إسرائيل من كل جانب(١).

---

(١) انظر التفاصيل فى : طريق النصر فى معركة الثأر (١٢٦ ـ ١٥٣) .

إنّ القيادة العربية الموحّدة والوحدة العسكرية العربية هما اللّذان يستطيعان حشد الطاقات العلميّة والمالية العربية فى صعيد واحد لإنتاج السّلاح الذرى[١].

— ١٣ —

فما هو واجب الدّول العربية تجاه الحرب الجرثومية ؟

(أ) - توعية أفراد الشعب العربى حول الحرب الجرثومية ، التى تلجأ إليها إسرائيل فى حرب العرب ، وتدريب العرب على وسائل الوقاية الفردية ضد العوامل الجرثومية ، وعلى واجباتهم ومسئولياتهم بشأن وسائل الوقاية الجماعيّة ، وتهيئة كل مايحتاج إليه المواطنون من وسائل الوقاية الفردية كالأقنعة والأدوية ومواد التطهير ... إلخ .

(ب) - إعداد الخدمات الطبيّة وتدريبها على وسائل الوقاية الجماعية من العوامل الجرثوّمية التى تستخدم فى الحرب ، وعلى طرق معالجة الأمراض والأوبئة التى تسببها ، وإعداد جميع ماتحتاج إليه هذه الخدمات من وسائل الكشف على العوامل الجرثوميّة ووسائل الوقاية والمعالجة منها ، كالمصول الواقية والمضادة والمواد المبيدة للجراثيم والحشرات .

(ح) - إعداد منظمة الدّفاع المدنى لواجب الدفاع ضد العوامل الجرثومية فى الحرب ، وتيسير كل ماتحتاج إليه من الوسائل والمعدّات والتجهيزات والمواد اللاّزمة لأغراض هذا الدفاع ولأغراض التطهير والتعقيم .

---

(١) إن الوحدة العسكرية هى التى تستطيع وضع مشروع اتفاقية التعاون العربى لاستخدام الطاقة الذرية فى الأغراض السلمية فى حيز التنفيذ . أنظر تفاصيل الاتفاقية فى : أثر استخدام الطاقة النووية على العلاقات الدولية واستراتيجية الكتلتين - الدكتور محمود خيرى بنونة - القاهرة - ١٩٦٧ .

(ى) ـ إعداد الخدمات البيطريّة والزراعيّة المدرّبة على وسائل وقاية الحيوانات والنباتات من العوامل الجرثومية التى قد يستخدمها العدو ضدّها.

— ١٤ —

تلك هى لمحات مختصرة عن محاولات إسرائيل العلمية خدمة لمجهودها الحربى .

لقد إدّعى قسم من المفكّرين ، بأن انتصار إسرائيل على العرب فى حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كان لتفوقها فى العلوم التطبيقيّة .

والحقيقة ، أن تفوق إسرائيل فى العلوم التطبيقية كان عاملاً مهماً من عوامل إنتصارها فى تلك الحرب .

وإسرائيل تعتبر تفوقها العلمى على العرب ضرورى للإحتفاظ بتفوّقها العسكرى فى الشرق الأوسط .

لذلك فهى تبذل كل جهدها مادياً ومعنوياً للحفاظ على هذا التفوّق العلمى

نستنتج مما مرّ بنا مايلى :

(أ) ـ إسرائيل تبذل جهوداً جبارة للحصول على السّلاح الذرى ، وليس أمام العرب إلاّ أن يبذلوا جهوداً جبارة للحصول على هذا السّلاح .

(ب) ـ إسرائيل قطعت شوطاً بعيداً فى الحرب الكيمياوية وفى البحوث السرية .

وليس أمام العرب إلاّ أن يبادروا إلى حشد علمائهم للقيام بالبحوث الكيمياوية والسرّية لتصاول إسرائيل في هذا الميدان.

(ح) - إسرائيل تركّز على السّلاح الجرثومى، واستخدام هذا السلاح ضد العرب فى السلم والحرب متوقّع من إسرائيل .

وليس أمام العرب إلاّ أن يستعدّوا لمثل هذه الحرب إيجاباً وسلباً .

(ى) - إن العلم لا يقاوم إلا بالعلم، والتفوق العلمى[1] له نتائج مصيريّة ، فلابد للعرب من معرفة هذه الحقيقة .

(هـ) - إنّ البحوث الذرية والحرب الكيمياوية والجرثومية تحتاج إلى إلى نفقات باهظة .

فلابد من بذل المال الوفير فى مجال البحوث العلمية التطبيقية من العرب حكومات وشعوباً .

إن الحكومات العربية الغنيّة يجب أن تجاهد بأموالها، والأغنياء العرب يجب أن يجاهدوا بأموالهم ، ولابد من إنشاء صندوق عربى لجمع الأموال اللاّزمة من أجل البحوث العلميّة التطبيقية .

(و) - إنّ حشد الجهود العلمية وحشد الطّاقات المادية للمجهود الحربى العربى ، لا يمكن أن يوضع موضع التنفيذ بدون وحدة عسكرية عربيّة .

ذلك لأنّ هذه الوحدة العسكرية هى التى تقود التنسيق العربى العلمى وتوحّد التدريب العسكرى فى المجالين السلبى والإيجابى لمصاولة الحرب الذرية والكيمياوية والجرثوميّة .

---

(١) صرح موشى دايان يوم ١٩٦٨/١٢/١٥ ، بأنه واجه الرئيس الأمريكى المنتخب نيكسون ، وأن نيكسون صرح له بأن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه إسرائيل لا تتبدل !!!

وقال دايان بأنه طالب نيكسون بدعم إسرائيل للمحافظة على تفوقها فى العلوم التطبيقية على العرب.

وبامكان العرب بعلمائهم وبطاقاتهم المادية أن يفعلوا الكثير فى المجال العلمى ليأخذوا المبادأة العلمية من إسرائيل .

وقد قاد العرب الحضارة العالمية قروناً طويلة يوم كانوا أقوياء بوحدتهم وبايمانهم العميق بالله وباقبالهم على العلم .

ولعلهم يعيدون سيرتهم الأولى بالايمان والوحدة والعلم .


الخاتمة

— ١ —

حين دخل يهود مدينة القدس يوم ٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، كانوا يهزجون فى المسجد الأقصى بالعبرية مامعناه : « مات محمد مات ٠٠٠٠ خلّف بنات ».

وقد أصغيت إلى هذا الهزج السمج يذاع نصاً من إذاعة غربية ، ويعلّق عليه المذيع ناقلاً معناه إلى العربية ، ولعل الكثيرين من العرب والمسلمين أصغوا كما أصغيت إلى تلك الإذاعة ، وشعروا كما شعرت بأن سهماً مسموماً أصاب كبدى فهو ينزف دماً ومرارة وحزناً وألماً .

إن تعداد العرب اليوم يبلغ مائة مليون نسمة ، ومعنى هذا أنهم يستطيعون حشد عشرة ملايين مقاتل لحرب إسرائيل .

وتعداد المسلمين سبعمائة مليون نسمة ، ومعنى هذا أنهم يستطيعون حشد سبعين مليون مقاتل لحرب إسرائيل .

فأين تكون إسرائيل لو صدق العرب والمسلمون ماعاهدوا الله عليه ؟

وهل كان يهود يفكّرون فى إنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين ، لو علموا أن العرب والمسلمين عند مسؤولياتهم دفاعاً عن حقوقهم وجهاداً بالأموال والأنفس فى سبيل الله ؟

وهل كان مَنْ وراء إسرائيل من دول الاستعمار القديم والاستعمار الجديد يساندون إسرائيل مادياً ومعنوياً ، لو علموا أن العرب والمسلمين فى (الميزان) أثقل من إسرائيل ؟

إنّ شريعة الغاب التى كانت مسيطرة على الأفراد والجماعات فى العصور الغابرة من حياة البشر ، لاتزال هى المسيطرة على الدول الحديثة فى القرن العشرين .

وصوت الدولة القويّة فى العالم وفى الهيئات الدولية ليس كصوت الدولة الضعيفة .

والدولة التى تريد أن تعيش مرهوبة الجانب مصونة الكرامة عزيزة ، لابدّ من أن تكون قوية تفرض إرادتها بالقوة وتحمى مصالحها بالقوّة .

وكلما إزدادت قوّة دولة من الدول ، كلما إزدادت مكانتها علوّاً بين الدول الأخرى ، وإزداد أثرها وتأثيرها فى مجرى الأحداث العالمية .

إن مكانة كل دولة من الدول ، تتناسب تناسباً طردياً مع قوتها ، وهذا مايؤيد أن شريعة الغاب لاتزال هى السّائدة حتى اليوم .

وأكبر الظن أنّ هذه الشريعة ستبقى سائدة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وصدق الشّاعر :

النّواميس قضت ألاّ يعيش الضعفاء

كلّ من كان ضعيفاً أكلته الأقوياء

— ٢ —

ولست أظن أن هناك عربياً واحداً سليم التفكير صادق النيّة ، لايؤمن بأن الوحدة العسكرية العربية هى السبيل لحشد الطاقات المادية والمعنوية للعرب ، وأن هذا الحشد هو قوة للعرب وضمان لحقوقهم ، وصدق الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام . « إثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، ويد الله مع الجماعة » .

إن أعداء العرب كثيرون وعلى رأسهم إسرائيل ، وهؤلاء الأعداء لايستطيعون تحقيق مآربهم وأطماعهم فى الأرض العربية وفى منابع

ثروات العربية، إلا إذا بقى العرب ضعفاء متفرقين متناحرين ، يهتمون بمصالحهم الإقليمية ولا يهتمون بالمصلحة العربية العليا .

لذلك حرص أعداء العرب أشد الحرص على إبقاء العرب متفرقين متناحرين ، يعانون أزمة (ثقة) فيما بينهم ، غير مكترثين بالأخطار الداهمة التي تهدد بلادهم ومصيرهم كأمة ذات كيان ومكانة في الوطن العربي وفي العالم .

إن إسرائيل لها أطماع توسعية في كل البلاد العربية[1] وهي تحاول أن تحقق هذه الإطماع بمراحل موقوتة ، فما الذي يحول دون تحقيق أهدافها التوسعية غير القوة العربية ؟

وإذا كان العرب يتوقعون أن يعيد إليهم حقوقهم المغتصبة في الأرض المقدسة وأن يدافع عن بلادهم ويصون كرامتهم ويحمي مصيرهم غيرهم من الدول الأجنبية ، فإنهم واهمون كل الوهم أو مغرر بهم كل التغرير .

وقد يعاون قسم من الدول الأجنبية العرب بالسلاح والذخيرة والتجهيزات العسكرية مقابل ثمن مادي ومعنوي أيضا ، ولكن هذا القسم من الدول لا يعاون العرب بسفك الدم دفاعاً عن الأرض العربية وعن المصير العربي.

بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، هرع أحد زعماء العرب إلى إحدى الدول الصديقة ، وقال لزعمائها . « أين أنتم » ؟

وقال زعماء تلك الدولة الصديقة : « نحن هنا في بلادنا ! لقد عاوناكم بالسلاح والذخيرة ، أما بالدماء فلا !

« إننا خسرنا سبعة وعشرين مليوناً من القتلى في الحرب العالمية الثانية ، ولسنا مستعدين أن نخوض حرباً نووية لا تبقي ولا تذر من أجلكم » .

---

(١) انظر التفاصيل في كتاب : العسكرية الإسرائيلية (٣٩ ــ ٦٩) ، وانظر خريطة مطامع إسرائيل التوسعية .

ولو كنت فى مكان ذلك الزعيم العربى ، لما طالبت أحداً بمعاونة الدول العربية بالدّم ، لأن نفوس العرب مائة مليون نسمة ، فهم يستطيعون حشد عشرة ملايين مقاتل فى الميدان كما ذكرنا سابقاً ، فأين تكون إسرائيل أمام هذا الحشد الضخم من المقاتلين لو صدق العرب ما عاهدوا الله عليه وكانوا عند مسؤولياتهم التاريخية ؟

إنّ نفوس العرب أكبر من نفوس إسرائيل أربعين مرة ، وقد إستطاعت إسرائيل حشد ١١ ٪ من طاقاتها البشرية فى حرب ١٩٦٧ ، بينما حشد العرب ٣ بالألف من طاقاتهم البشرية .

وحشدت إسرائيل فى تلك الحرب مائة بالمائة من طاقاتها المعنوية ، فماذا حشد العرب من طاقاتهم المعنوية أمام إسرائيل ؟

لقد رأيت بعينى أيام حرب ١٩٦٧ الشباب يغدون ويروحون إلى الملاهى والسينمات ، ورأيت المقاهى والأندية مكتظّة بالرجال الأشداء ، ورأيت المظاهرات الصاخبة تملأ الشوارع الفسيحة بالذكور والإناث تعلن سخطها على إسرائيل .

وسمعت خطباً وقصائد كثيرة تذاع ، وقرأت مقالات عديدة تنشر ، كلها تلعن إسرائيل .

وكنت آمل أن يكون الشباب فى ساحات القتال لا فى الملاهى والسينمات ، والرّجال الأشداء فى ميدان الحرب لا فى الأندية والمقاهى ، والذكور والأناث مشتبكين بالعدو الإسرائيلى لا بالشرطة المحليّة .

وكنت أريد أن يكون الشعراء والخطباء يحرّضون على القتال فى الصفوف الأمامية ، لا فى محطات الأذاعة ومحطات الأذاعة المصوّرة الآمنة .

وكنت أحبّ أن يكون الكتّاب فى المقرات الأمامية يكتبون البلاغات الحربية ويدبجون البيانات العسكرية ، لا أن يبقوا فى إدارات الصحف والمجلات .

وما هكذا كان يحارب آباؤنا الفاتحون عرباً ومسلمين !

فهل نحن عرب ، وهل نحن مسلمون ؟

العرب حتى فى جاهليتهم كانوا يتميزون بالنّخوة ويقاتلون عن الاحساب .

بعد غزوة (بدر الكبرى) ، وقف أبو سفيان بن حرب على رابية مشرفة على ساحة المعركة يتنهّد على قتلى قريش الذين بلغوا سبعين قتيلا .

ومن فوق تلك الرابية المطلّة على ساحة معركة (بدر) ، قطع على نفسه عهداً حين قال : « لا يمسّ رأسى الماء ، حتى آخذ بثارات أهل بدر » .

ومضى عام على أبى سفيان وهو لا يستحم ولا يمسّ النساء ، ولكنه كان يعدّ العدّة لقتال المسلمين.

وفى خلال الإعداد للحرب ، لمح يوماً أحد أولاده يبتسم ، فاجتاحه الغضب وقال : « عجبت لمن رأى قتلانا فى بدر ، كيف يتبسّم !! » .

والذين يعرفون طبيعة جو مكة المكرمة، يدركون بأن الذى لا يستحم يوماً — خاصة فى أيام الصيف — يصبح كتلة من الرائحة النتنة .

ولكنه صبر ليبرّ بوعده ، حتى انتصر فى غزوة (أحد) على المسلمين ، فقال : « اليوم آن لى أن أغتسل » .

هذا مثال واحد عن (نخوة) العربى الحق حتى فى أيام الجاهلية .

أما بعد أن أضاء الإسلام بنوره قلوب العرب ، فقد كان أحدهم

يتلو قول الله تعالى وهو يحتضر فى ساحة المعركة: (وعجلت إليك ربى لترضى).[1]

وكان المسلم يردِّد وهو يلقى الله شهيداً :

ولست أبالى حين أُقتل مسلماً

على أىِّ جنبٍ كان فى الله مصرعى

— ٣ —

إن الذى يعانيه العرب فى هذه الأيام هو تخلِّيهم عن عقيدتهم التى قادتهم إلى النصر وصانتهم من التفسخ والإنحلال .

سقطت سيناء ، وسقطت الضفة الغربية ، وسقطت الهضبة السورية فى حرب عام ١٩٦٧ بيد إسرائيل .

وإحتلّت إسرائيل القدس الشريف ، واحتلّت المسجد الأقصى أول القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

ومع ذلك لم تطرف عين عربى وعين مسلم كما (ينبغى) ، واكتفوا بالعواطف وبالدموع وبالحسرات ، وكان يجب أن يستشهدوا أو ينتصروا.

لقد أعلن علماء المسلمين فى المؤتمرات الإسلامية فى عمّان والقاهرة ومكة المكرّمة : « أن أسباب وجوب القتال والجهاد التى حدّدها القرآن الكريم ، قد أصبحت كلها متوافرة فى العدوان الإسرائيلى ، بما كان من إعتداء على أرض الوطن العربى الإسلامى ،وإنتهاك لحرمات الدين فى أقدس شعائرها وأماكنها . وبما كان من إخراج المسلمين والعرب من ديارهم ، وبما كان من قسوة ووحشية فى تقتيل المستضعفين من الشيوخ والنساء والأطفال . .

---

(١) الآية الكريمة من سورة طه (٢٠ : ٨٤) .

، لهذا صار الجهاد بالأموال والأنفس (فرضاً عينياً[١]) فى عنق كل مسلم ، يقوم به على قدر وسعه وطاقته ، مهما بعدت الديار » .

فمن لبىّ من المسلمين والعرب داعى الجهاد ؟

لقد كان أعداء المسلمين قبل أن يتخلى المسلمون عن دينهم الحنيف وعن تعاليمه السمحاء ، يخافون من إعلان : (الجهاد) خوفاً شديداً ، ويحسبون لإعلانه ألف حساب .

حتى فى أوائل هذا القرن ، كان أعداء المسلمين يخافون . (الجهاد)، ويخشون بأس المجاهدين الصادقين .

نشبت حروب طاحنة بين الدولة العثمانية وبين روسيا القيصرية قبل الحرب العالمية الأولى .

فماذا كان ردّ فعل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ؟

أنقل هنا صورة ما حدث فى مدينة (الموصل) ، فقد اشترى الأغنياء خيلاً وبغالاً وحميراً لركوب المجاهدين ، وجهزوهم بالسّلاح والذخيرة والأرزاق ، ثم أمرّ هؤلاء المجاهدون عليهم رجلاً منهم ، وتوجهوا شمالاً واخترقوا الحدود العراقية ـ التركية ، حتى وصلوا إلى ساحة القتال، فاستشهد قسم منهم ، وعاد آخرون إلى الوطن ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها .

وما يقال عن مدينة (الموصل) ، يقال عن المدن الإسلامية الأخرى.

وفى الحرب العالمية الأولى ، كان مع الجيش البريطانى الذى كان يقاتل الجيش العثمانى فى العراق قسم من الضّباط وضبّاط الصف والجنود المسلمين الهنود .

---

(٢) النفير العام .

وحين التحم الجيش البريطانى بالجيش العثمانى ، هرب العسكريون المسلمون الذين كانوا مع الجيش البريطانى إلى الجيش العثمانى .

ولا يزال فى مدينة (الموصل) قسم من أولاد أولئك المسلمين الهنود الذين رفضوا بإصرار محاربة إخوانهم المسلمين .

والذين أستطاع البريطانيون إلقاء القبض عليهم من العسكريين الهنود المسلمين الذين هربوا من صفوفهم إلى صفوف إخوانهم العثمانيين ، نفذوا فيهم الاعدام رمياً بالرصاص .

ولكنّ قسوة هذه العقوبة، لم تمنع هروب المسلمين الهنود من الجانب البريطانى إلى الجانب العثمانى .

ولا يزال أهل العراق يذكرون كيف نفّذ البريطانيون حكم الإعدام بالهاربين من الجيش البريطانى إلى الجيش العثمانى ، ولا يزالون يذكرون كيف قابل أولئك المؤمنون حقاً الرصاص بالتهليل والتكبير .

إنّ تعميق المفاهيم الإسلامية فى النفوس يفيد العرب بالذات أكثر مما يفيد غيرهم من الأمم الإسلامية .

وبهذه المناسبة ، فإن من مصلحة العرب إخراج القضية الفلسطينية إلى النطاق الإسلامى ، لأن القدس ليست للعرب وحدهم بل للمسلمين كافة ولأن العرب لا يصاولون إسرائيل وحدها بل يصاولون الصهيونية العالمية ومن وراء إسرائيل من دول الاستعمار القديم والاستعمار الجديد .

إن الشعوب الإسلامية هم الأصدقاء الطبيعيون للعرب وشعور المسلمين تجاه قضية فلسطين لاغبار عليه مطلقاً ، فمن الضرورى أن يعمل العرب على بلورة الشعور الإسلامى الطيب إلى عمل فى الجهاد وفى الدعم السياسى وفى التعاون الإقتصادى .

— ٤ —

والجيوش العربية الموحّدة ، وكل جيش فى العالم ، يستند إلى عنصرين رئيسين :

الأول : الإعداد المادىّ .

الثانى : الإعداد المعنوى .

وقد ذكرنا فى الفصول السّابقة الأسلوب السليم لحشد الطّاقات العربية المادية للمجهود الحربى .

وبقى علينا أن نذكر الأسلوب السّليم لحشد الطاقات المعنوية العربية للمجهود الحربى .

لقد كان العرب قبل الإسلام يتحلّون بالشّجاعة والإقدام ، ولكنهم كانوا وثنيين يعبدون الأصنام والأوثان .

وكانوا متفرّقين متناحرين ، تنشب بينهم الحروب الدامية ، بأسهم بينهم شديد ، يعوزهم الضبط والنظام .

وكانت لهم دولة فى العراق هى دولة المناذرة تحت نفوذ الفرس ، وكانت لهم دولة فى أرض الشام هى دولة الغساسنة تحت نفوذ الروم ، وكان اليمن السعيد تحت نفوذ الأحباش والفرس .

وكانت الفروق الطبقية والعنصرية تنخر فيهم : للشريف مكانته ، وللسيد مكانته ، وللعبد مكانته ، بل لكل قبيلة من قبائلهم مكانة خاصّة ، ولكل فرد فى القبيلة الواحدة مكانة خاصة .

كانوا فى جاهليّة عقيدية ، وفى جاهلية سياسية ، وفى جاهلية اجتماعية .

وجاء الإسلام فجمع كلمتهم ، ووحّد صفوفهم ، وغرس فيهم الضّبط

والنظام، وطهّر أرواحهم، وجعل منهم أمة واحدة، تعمل لتحقيق هدف واحد ، بقيادة واحدة ، تحت راية واحدة ، هى راية الإسلام .

أصبح العرب بالإسلام قوة هائلة وجدت لها متنفساً فى توحيد شبه الجزيرة العربية فى أيام الرسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام .

وهذه القوة الهائلة ، وجدت لها متنفساً بعد إلتحاق النبى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى فى الفتح الإسلامى العظيم .

وقد إنتبه المؤرخ ابن خلدون إلى أثر الإسلام فى العرب ، فعقد فصلاً فى مقدمة تاريخه، أثبت،فيه بأن العرب لا يصبحون أقوياء سياسياً وحضارياً إلاّ بدين أو ولاية فقال .« إنّ العرب لا يحصل لهم الملك إلاّ بصبغة دينيّة من نبوّة أو ولاية أو أثر عظيم » .

إن التضحية بالمال ، والتضحية بالروح ، لا يمكن أن تتم إلاّ إذا آمن الإنسان بمثل عليا ، يضحى من أجلها بالغالى والنفيس عن طيبة خاطر متطوّعا لا مكرها .

كما أنّ هذه المثل العليا ، هى (الحافز) المباشر للإنسان المؤمن بها ، تجعله يتقبّل التضحية والفداء صابراً صامداً راضياً .

وهذه المثل العليا ، تكون الرّقيب الخفى الذى يدفع الإنسان إلى بذل روحه رخيصة ، والرّوح أغلى مايملكه الإنسان .

لقد قدّم الإسلام هذه المثل العليا للعرب فسادوا سياسياً وحضارياً .

فلما بدّلوا ما بأنفسهم ، بدل الله حالهم إلى أسوأ حال .

إنّ العرب بالإسلام كل شىء ، والعرب بلا إسلام لا شىء .

— ٥ —

فما أثر الإسلام فى النفوس والعقول معاً عسكرياً ؟

حثّ الإسلام على (الطاعة)، والطّاعة هى الضبط والنظام: (وقالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير [١]).

وأشاع الإسلام معانى الخلق الكريم ، ومنه الصبر الجميل : (ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم[٢]) ، وقال تعالى : (إصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله[٣]) ، وقال تعالى: (والصابرين فى البأساء والضّراء وحين البأس)[٤].

وغرس الإسلام روح الشّجاعة والإقدام : (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة،فقد باء بغضب من الله،ومأواه جهنم وبئس المصير[٥]) .

والتولى يوم الزّحف من الكبائر ، كما نصّ على ذلك حديث رسول الله عليه أفضل الصّلاة والسلام .

---

(١) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٨٥) . وقد وردت (طاع) ومشتقاتها فى تسع وعشرين ومائة من آيات الذكر الحكيم ، أنظر التفاصيل فى المعجم المفهرس (٤٢٦ ـ ٤٣١) .

(٢) الآية الكريمة من سورة النحل (١٦ : ١١٠) .

(٣) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ٢٠٠) .

(٤) الآية الكريمة من سورة البقرة (٣ : ١٧٧) وقد وردت (صبر) ومشتقاتها فى ثلاث آيات ومائة آية من آيات الذكر الحكيم ، انظر التفاصيل فى المعجم المفهرس (٣٩٩ ـ ٤٠١) .

(٥) الآيتان الكريمتان من سورة الأنفال (٨ : ١٥ ـ ١٦) .

وأمر الإسلام بالثّبات فى ميدان القتال : (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا[١]) .

ودعا الإسلام إلى الجهاد بالأموال والأنفس لإعلاء كلمة الله : (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون[٢])، وقال تعالى: (إنفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله[٣])

وبيّن الإسلام أن المثل العليا لابد من أن تكون لها الأسبقية على كل شىء فى الدنيا : (قل : إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين[٤]) .

وجعل الإسلام مقام الشهداء من أعظم المقامات : (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[٥]) ، وقال تعالى : (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون[٦]) ، وقال تعالى : (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما[٧]) .

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ : ٤٥) .
(٢) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ٥١) .
(٣) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩: ٤١) ، انظر تفسير هذه الآية فى (الكشاف) للامام الزمخشرى ، لتجد أن المسلمين سبقوا العالم إلى مفهوم الحرب الشاملة التى تنص على : « إعداد الأمة بكل طاقاتها المادية والمعنوية للحرب » ، والتى زعم المشير لودندروف بعد الحرب العالمية الأولى فى كتابه : (الأمة فى الحرب) ، بأنه أول من فكر فى الحرب الشاملة، بينما أرسى الإسلام أسسها قبل أربعة عشر قرنا .
(٤) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٢٤) .
(٥) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٦٩) .
(٦) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ١٥٤) .
(٧) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٧٤) .

فإذا تذكّرنا أنّ الجهاد فى الإسلام، يهدف إلى حماية حرية نشر الدّعوة الإسلامية وإلى نشر السلام، وإلى الدفاع عن دار الإسلام .

وإذا تذكرنا أن تعاليم القتال فى الإسلام، تنصّ على الوفاء بالعهود، واحترام المواثيق، والترفع عن الظلم والعدوان، وإقرار السلام .

إذا تذكّرنا أهداف القتال فى الإسلام وتعاليمه، علمنا بأن : إرادة القتال، التى تتغلغل فى أعماق المسلم الحق، مبنية على أسس سليمة رصينة، لأنّ هذا المسلم يؤمن إيماناً عميقاً بأنه يخوض (حرباً عادلة)، وهذه الحرب هى (حافز) جديد تجعل من المؤمن مقاتلاً رهيباً، كما يعبّر عن ذلك العسكريون المحدثون .

— ٦ —

ولكنّ تعاليم الإسلام، تسيطر على المسلم فى ميدان القتال أيام الحرب، كما تسيطر عليه فى أيام السلام .

إنّ الهدف الحيوى من الحرب هو تحطيم الطاقات المادية والمعنويّة للعدو، فإذا انتصر عليه فى ميدان الحرب، واستطاع أن يحطّم طاقاته المادية، فلابدّ من جهود أخرى لتحطيم طاقاته المعنوية، ليكون النصر كاملاً يؤدى إلى الإستسلام .

وهنا تبدأ الحرب النفسية، التى تستهدف الطاقات المعنوية بالدرجة الأولى .

وفى تاريخ الحروب أمثلة لا تعدّ ولا تحصى، عن انتصارات استطاعت القضاء على الطاقات المـــادية، ولكنها لم تستطع القضاء على الطاقات المعنويّة، فكانت انتصارات ناقصة استمرت فترة من الزمن ثم أصبح المهزوم منتصراً وأصبح المنتصر مهزوما .

فكيف يصاول الإسلام الحرب النفسية ، ليصون معنويات المسلمين من الانهيار ؟؟

لعلّ أهمّ أهداف الحرب النفسية هي : التخويف من الموت والفقر ، ومن القوة الضاربة للمنتصر ، ومحاولة جعل النصر حاسماً ، والدعوة إلى الاستسلام ، وبثّ الإشاعات والأراجيف ، وإشاعة الاستعمار الفكرى بالغزو الحضارى ، وإشاعة اليأس والقنوط .

المؤمن حقاً لا يخشى الموت : (إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون[1]) . وقال تعالى : (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون[2]) ، وقال تعالى : (وما كان لنفس أن تموت إلاّ بإذن الله[3]) ، وقال تعالى : (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيّدة[4]) . وقال تعالى : (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل[5]) .

إنّ المؤمن حقا يعتقد إعتقاداً راسخاً ، بأنّ الآجال بيد الله سبحانه وتعالى ، وما أصدق قولة خالد بن الوليد رضى الله عنه : « ما فى جسمى شبر إلاّ وفيه طعنة رمح أو سيف ، وها أنا أموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء » .

والمؤمن حقاً لا يخاف الفقر ، لأنه يعتقد إعتقاداً راسخاً ، بأنّ الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى : (والله يرزق من يشاء بغير حساب[6]) ،

---

(١) الآية الكريمة من سورة يونس (١٠ : ٤٩) .
(٢) الآية الكريمة من سورة الأعراف (٧ : ٣٤)، ومن سورة النحل (١٦ : ٦١).
(٣) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٠٤) .
(٤) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٧٨) .
(٥) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٠٤) .
(٦) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢١٢) .

وقال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب[١])، وقال تعالى : (فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون[٢]) .

والمؤمن حقاً لا يخشى قوات العدو الضاربة ، فما انتصر المسلمون فى أيام الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام وفى أيام الفتح الإسلامى العظيم بعدد أو عُدد ، بل كان انتصارهم انتصار عقيدة لا مراء، قال تعالى: (قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين[٣])، وقال تعالى: (يا أيها النبى حرّض المؤمنين على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون[٤]) .

والمؤمن حقاً لا يقر بانتصار أحد عليه مادام فى حماية عقيدته ، لذلك فهو يعرف أن الانتصار فى معركة قد يدوم ساعة ، ولكنه لا يدوم إلى قيام الساعة : (إن يمسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس[٥]) .

والمؤمن حقاً لا يستسلم بعد هزيمته ، لأنه يعلم بأن بعد العسر يسرا : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون[٦]) ، وقال تعالى (ولا يحزنك قولهم إنّ العزة لله جميعاً هو السميع العليم[٧]) .

---

(١) الآية الكريمة من سورة الطلاق (١٥ : ٢٠) .
(٢) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ : ٢٦) .
(٣) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٤٩) .
(٤) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ : ٦٥) .
(٥) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٤٠) .
(٦) الآية الكريمة من سورة المنافقين (٦٣ : ٨٠) .
(٧) الآية الكريمة من سورة يونس (١٠ : ٦٥) .

والمؤمن حقاً لا يصدق الإشاعات والأراجيف : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا[١]) ، وقال تعالى : (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينّك بهم[٢]) ، وقال تعالى: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم[٣]) .

والمؤمن حقاً يقاوم الاستعمار الفكرى ويصاول الغزو الحضارى، لأن له من مقوّمات دينة وتراث حضارته ، ما يصونه من تيارات المبادىء الوافدة التى تذيب شخصيّته وتمحو آثاره من الوجود .

والمؤمن حقاً لا يقنط أبداً ولا ييأس من نصر الله ورحمته :(لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا[٤])، وقال تعالى : (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالّون[٥]) ، وقال تعالى: (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون[٦]) ، وقال تعالى : (وإن مسّه الشر فيؤس قنوط[٧]) .

— ٧ —

ولكنّ القول بأنّ الإسلام يقتصر على الحوافز الرّوحية وحدها لا يغنى عن كل قول .

الواقع أن فى الإسلام حوافز (مادية) لا تقلّ أهميّة عن الحوافز

---

(١) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ٦٠) .
(٢) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٢ : ٦٠) .
(٣) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٨٣) .
(٤) الآية الكريمة من سورة الزمر (٣٩ : ٥٣) .
(٥) الآية الكريمة من سورة الحجر (٤٥ : ٥٦) .
(٦) الآية الكريمة من سورة الروم (٣٠ : ٣٦) .
(٧) الآية الكريمة من سورة فصلت (٤١ : ٤٩) .

(الروحية)، تعملان جنباً لجنب لترصين إرادة القتال، في نفوس المسلمين وعقولهم معاً.

ومن أهم الحوافز المادية: عدم الاستهانة بالعدو أولاً، والإعداد الحربي تدريباً وتسليحاً وتنظيماً وتجهيزاً وقيادة ثانياً.

لقد إستهان المسلمون بعدوهم يوم (حنين)، فغلبوا على أمرهم في الصفحة الأولى من صفحات ذلك اليوم العصيب: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم، فلم تغن عنكم شيئاً، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين[1]).

والحذر واليقظة من مظاهر عدم الاستهانة بالعدو: (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون[2])، وقال تعالى: (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم[3])، وقال تعالى: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا[4])، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم)[5]، وقال تعالى: (فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم[6]).

إن الاستهانة بالعدو، تؤدى حتماً إلى الإندحار، وما أصدق المثل العربي القائل: «إذا كان عدوك نملة، فلا تنم له».

والإعداد الحربي إعداداً متكاملاً، يرفع المعنويات ويقوى الثقة ويلهب مزية إرادة القتال، قال تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم، وآخرين من دونهم

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٢٥).
(٢) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٥٣).
(٣) الآية الكريمة من سورة المنافقين (٦٣).
(٤) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٩٢).
(٥) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٧١).
(٦) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ١٠٢).

لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون)[١] ، وقال تعالى : (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)[٢] .

تلك هى معالم : « إرادة القتال فى الجهاد الإسلامى » ، وتلك هى الحوافز المادية والمعنوية التى جاء بها الإسلام ، ليجعل من الأمة المسلمة التى تعمل بتعاليمه أمة لا تقهر أبداً .

ذلك لأن الإسلام بتعاليمه السمحة الرضيّة ، جعل من المسلم الحق مطيعاً لا يعصى ، صابراً لا يتخاذل ، شجاعاً لا يجبن ، مقداما لا يتردّد ، مقبلاً لا يفر ، صامداً لا يتزعزع ، مجاهداً لا يتخلّف ، مؤمناً بمثل عليا ، مضحياً من أجلها بالمال والروح ، يخوض حرباً عادلة لإحقاق الحق وإزهاق الباطل .

لا يخاف الموت ، ولا يخشى الفقر ، ولا يهاب قوّة فى الأرض ، يسالم ولا يستسلم ، ولا تضعف عزيمته الأراجيف والإشاعات ، لا يستكين للاستعمار الفكرى ، ويقاوم الغزو الحضارى ، ولا يقنط أبداً ولا ييأس من رحمة الله .

هذا المسلم الحق ، يقظ أشد ما تكون اليقظة ، حذر أعظم ما يكون الحذر ، يتأهب لعدوه ويُعِدّ العُدّة للقائه ، ولا يستهين به فى السلم أو الحرب .

فلا عجب أن يكون هذا المسلم الحق ، متحلياً بمزية : إرادة القتال ، بل العجب كل العجب فى ألاّ يكون .

وهذا ما يفسّر لنا سرّ الفتح الإسلامى العظيم الذى امتد خلال

---

(١) الآية الكريمة من سوره الأنفال (٨ : ٦٠) .

(٢) الآية الكريمة من سوره الحديد (٥٧ :) .

ثمانين عاما[١] من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً ، ومن سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندى جنوباً .

ذلك لأنّ شعار المسلمين كان : (قل : هل تربّصون بنا إلا إحدى الحسنيين[٢]) : النصر أو الشهادة .

ولأنّ المسلمين كانو يحرصون على الموت حرص غيرهم على الحياة : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل، لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم) [٣].

وأشهد أنني لم أقرأ ، حتى فى كتب التعبية[٤] وسوق الجيش الفنية[٥] الصادرة فى النصف الثانى من القرن العشرين ، أوضح تعبيراً وأدقّ تعريفاً وأكثر شمولاً وأوجز عبارة ، مما جاء فى القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة تعريفاً لإرادة القتال .

ولا يقتصر معناها على إرادة القتال وحدها ، بل يشمل تعريف : المعنويات العالية أيضاً .

تلك هى عظمة القرآن الكريم ، حتى المجالات العسكرية ، ولكن ياليت قومى يعلمون .

---

(١) من عام أحد عشر للهجرة إلى عام اثنين وتسعين للهجرة .

(٢) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٥٢) .

(٣) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٧٣) .

(٤) التعبية : التاكتيك .

(٥) السوق : الاستراتيجى .

- ٨ -

والسؤال الذى يتردد اليوم هو : ألسنا مسلمين ؟ وإذا كنا مسلمين، فلماذا لا ينصرنا الله على أعدائنا ؟

والجواب على هذا السؤال ، يورده القرآن الكريم بصراحة ووضوح. قال تعالى . (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)[١] ، فهل نحن مؤمنون حقاً

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)[٢] ، فهل نصرنا الله حقاً حتى ينصرنا ويثبت أقدامنا ؟

وقال تعالى : (ولينصرنّ الله من ينصره ، إنّ الله لقوى عزيز. الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصّلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور[٣])،فهل أقمنا الصلاة ،وآتينا الزّكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر حقاً ؟ .

وقال تعالى : (إنفروا خفافاً ثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله[٤]) ، فهل نفرنا خفافاً وثقالاً ،وهل جاهدنا بأموالنا وأنفسنا فى سبيل الله ؟ .

ولكن ، ما مصير الذين لا ينفرون ؟ قال تعالى : (إلاّ تنفروا يعذّبكم عذاباً أليما[٥]) .

---

(١) الآية الكريمة من سورة الروم (٣٠ : ٣٧)

(٢) الآية الكريمة من سورة محمد (٤٧ : ٧٠) .

(٣) الآيتان الكريمتان من سورة الحج (٩ : ٤١) .

(٤) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٤١) .

(٥) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٣٩) .

كيف ينصرنا الله ، ونحن لا نطبّق تعاليمه ، وهل ورد فى القرآن ما يشير إلى أنّ الله ينصر المسلمين الذين يتقبلون الإسلام بدون تكاليفه فى الجهاد والعمل الصّالح ؟

إنّ هذا الأمر لا يصلح إلاّ بما صلح به أوله : العودة إلى الإسلام، وحينذاك سيقول يهود ، كما قالوا من قبل : (إنّ فيها قوماً جبارين[١]) ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

من هنا الطريق الذى يؤدى إلى النصر وينتشل العرب من كبوة الهزيمة، فإلى متى يبقى العرب فى متاهات الطرق والدّروب ؟؟ !!

وصدق الله العظيم : (قل : هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومَن اتبعنى ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين)

(وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى ، أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ، أفلا تعقلون؟!

(حتى إذا استيئس الرُّسل ، وظنوا أنهم قد كُذِّبوا ، جاءهم نصرنا ، فنُنجّى مَنْ نشاء ، ولا يُرَدُّ بأسنا عن القوم المجرمين[٢]) .

---

(١) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٢٢) .
(٢) الآيات الكريمة فى سوره يوسف (١٢ : ١٠٨ - ١١٠) .

والله أسأل أن يفيد العرب والمسلمين بهذه الدّراسات ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم .

والله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

وصلى الله على الرسول القائد الذى قضى حياته المباركة موحِّداً من أجل الجهاد ومجاهداً من أجل التوحيد ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطّاهرين .

القاهرة فى ١٤/ شوّال / ١٣٨٨
٢ / ١ / ١٩٦٩

المصادر والمراجع

إبن الأثير (أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى) :

١ ــ الكامل فى التاريخ ـ القاهرة ـ ١٣٠٣ ه .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) :

٢ ــ المقدمة ـ بيروت ـ ١٩٦٧.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى) :

٣ ــ البداية والنهاية فى التاريخ ـ القاهرة .

توينبى (آرنولد توينبى) :

٤ ــ محاضرات ـ ترجمها الدكتور فؤاد زكريا ـ القاهرة ـ ١٩٦٦.

حسن مصطفى (العميد الركن) :

٥ ــ التعاون العسكرى العربى ـ بيروت ـ ١٩٦٥ .

الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى) :

٦ ــ تاريخ الاسلام ـ القاهرة ـ ١٣٦٨ ه .

٧ ــ دول الاسلام ـ القاهرة ـ ١٣٦٨ ه .

٨ ــ العبر ـ الكويت ـ ١٩٦١ .

صالح مهدى عماش :

٩ ـ الوحدة عسكرياً ـ بيروت ـ ١٩٦٧ .
الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى) :

١٠ ـ تاريخ الأمم والملوك ـ القاهرة ـ ١٣٥٨ هـ .
محمد فؤاد عبد الباقى :

١١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ ١٣٧٨ هـ .
محمود خيرى بنونة (الدكتور) :

١٢ ـ استراتيجية الطاقة النووية ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ .
محمود شيت خطّاب :

١٣ ـ الأيام الحاسمة قبل معركة المصير وبعدها ـ بيروت ـ ١٩٦٧ .

١٤ ـ طريق النصر فى معركة الثأر ـ بيروت ـ ١٩٦٦ .

١٥ ـ العسكرية الاسرائيلية ـ بيروت ـ ١٩٦٨ .

١٦ ـ قادة فتح الشام ومصر ـ بيروت ـ ١٩٦٥ .

١٧ ـ قادة فتح المغرب العربى ـ بيروت ـ ١٩٦٦ .
مونتكومرى (المشير) :

١٨ ـ مذكرات مونتكومرى ـ بيروت ـ ١٩٦٤ .
نقولا الدر :

١٩ ـ هكذا ضاعت وهكذا تعود ـ بيروت ـ ١٩٦٤ .
ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى) :

٢٠ - المشترك وضعاً والمفترق صقعاً - لايدن - ١٨٤٦ .

٢١ - معجم البلدان - القاهرة - ١٣٢٣ هـ .

NUTTING, ANTHONY :

22— J Saw For my Self—London—1958 .

***

الفهارس

الأعلام

(أ)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ص)

(ط)

(ع)

(هـ)

(و)

(ى)

الأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(ح)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ف)

(ك)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

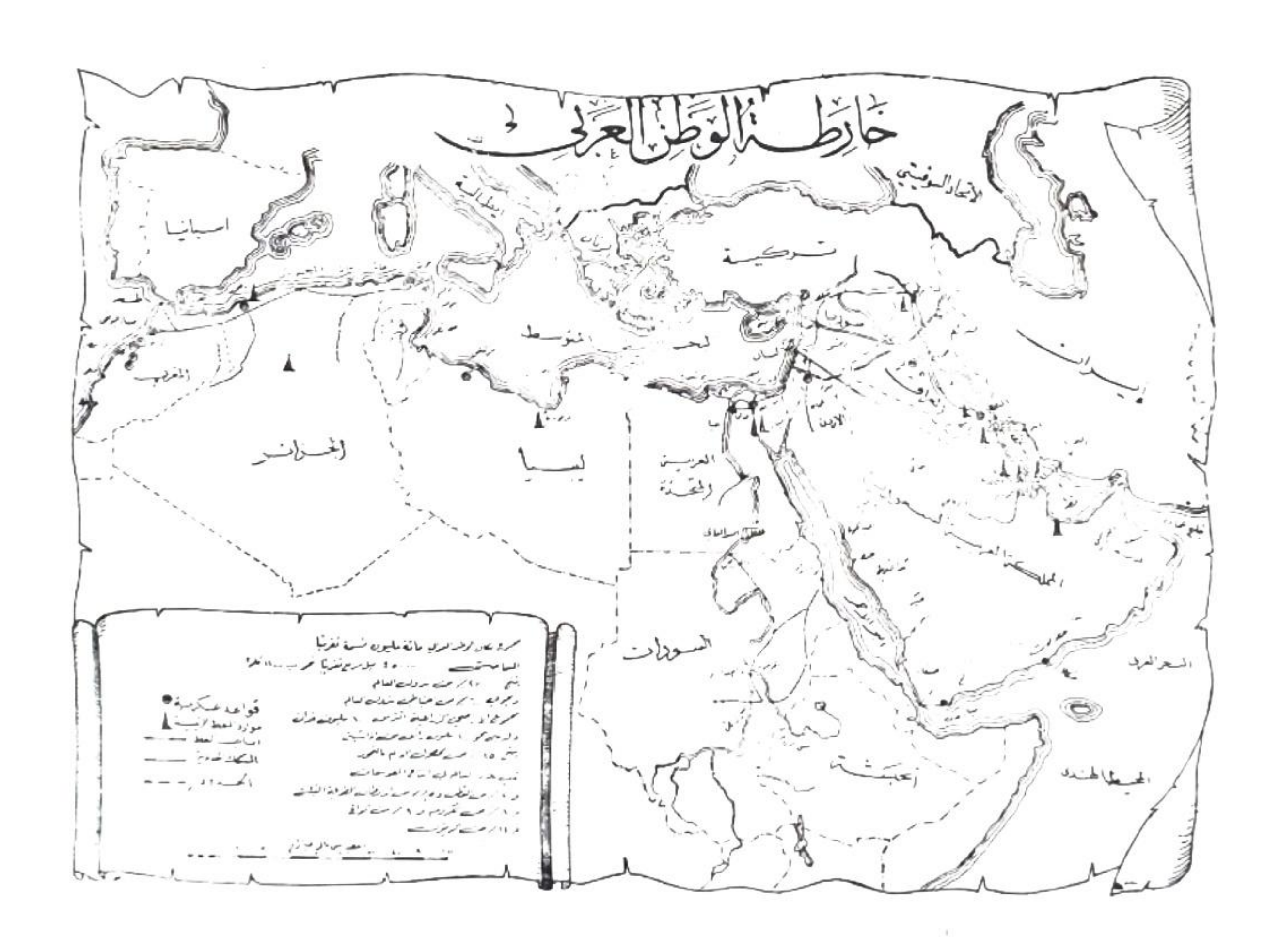
الموضوعات

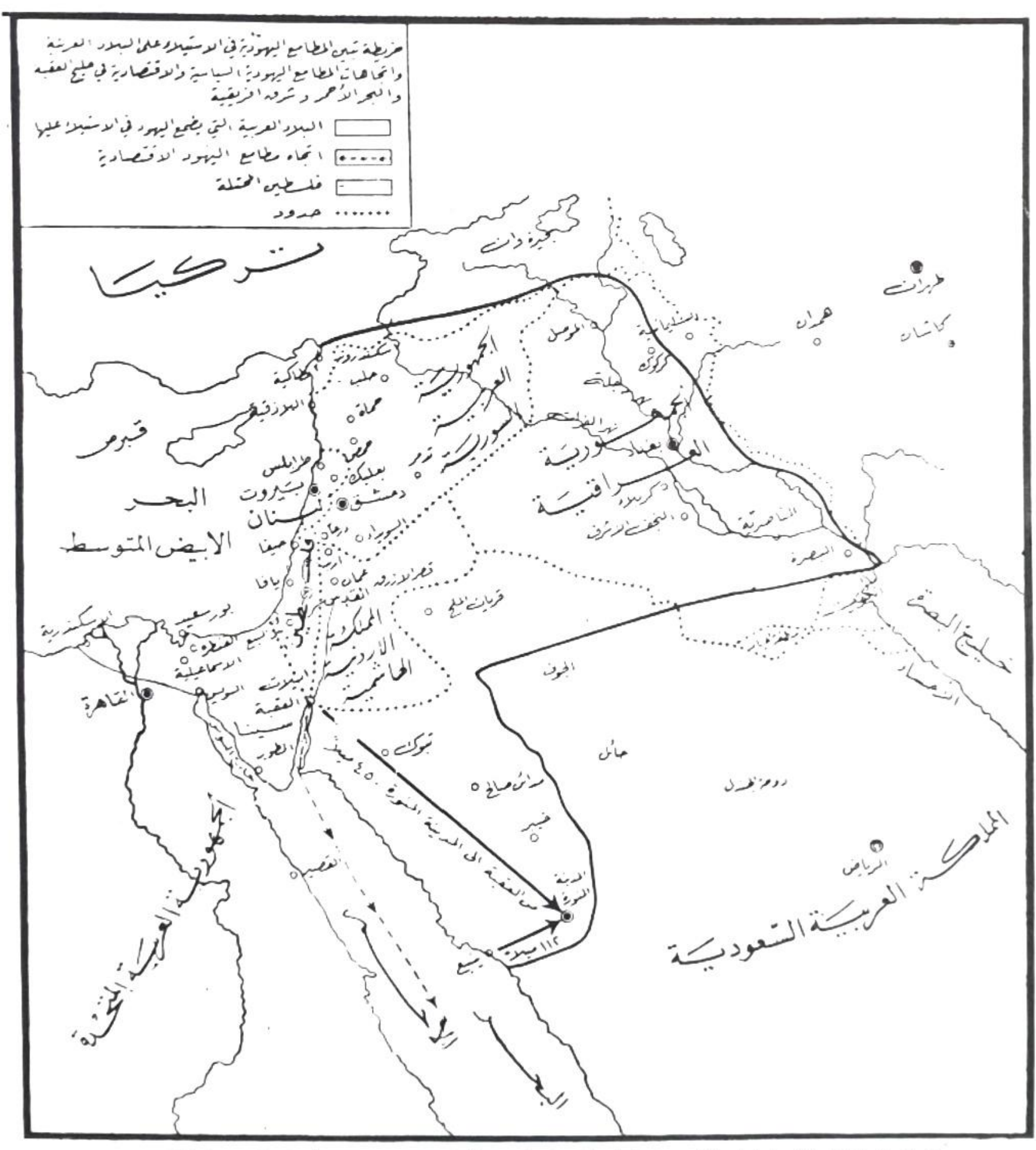
الصفحة

الصفحة

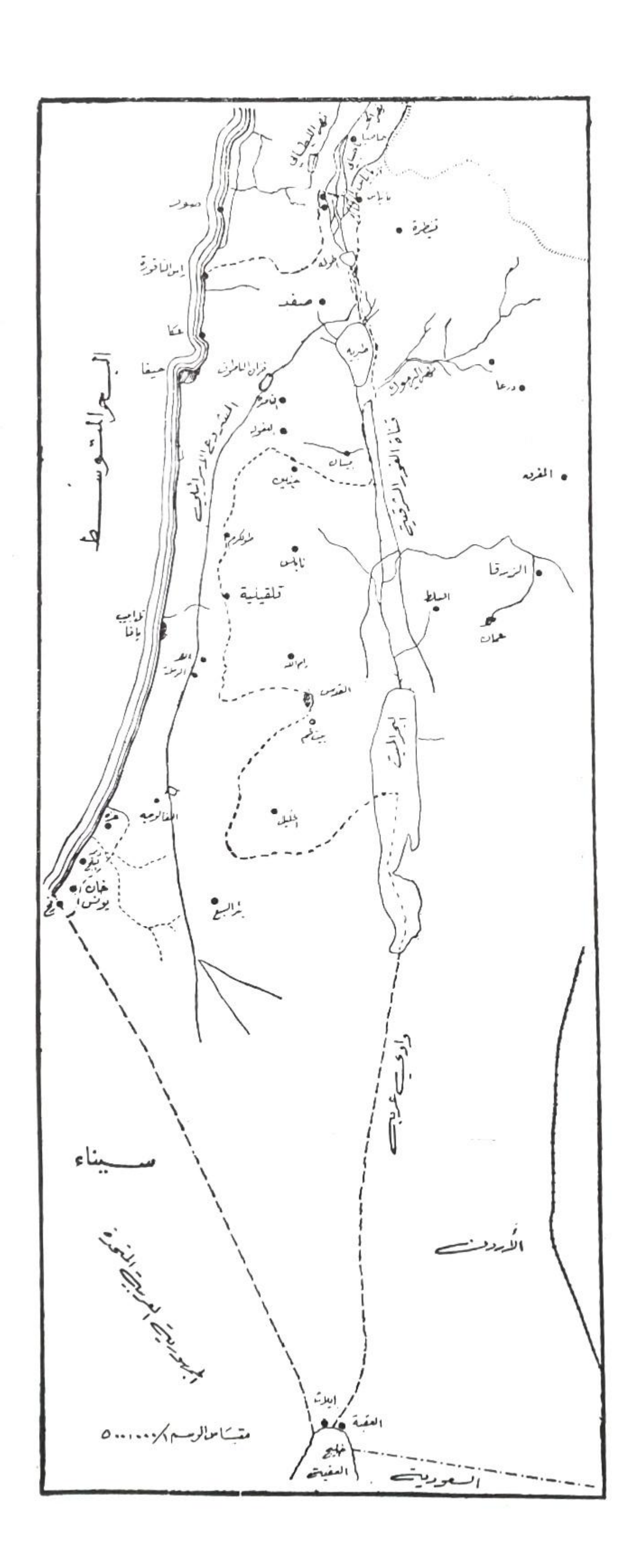
الصفحة

--*


خارطة الوطن العربي
الاتحاد السوفيتي
اسبانيا
تركية
ايران
المغرب
الجزائر
ليبيا
السودان
الحبشة
البحر العرب
المحيط الهندي
قواعد عسكرية



خريطة اسرائيل من الفرات الى النيل ، كما رسموها على باب الكنيست برلمانهم ، وكما وزعوها في نيويورك قبل العدوان بأيام ويبدو فيها كيف انهم لا يكتفون بفلسطين بل يتطلعون الى ضم العراق والاردن وسوريا والمدينة المنورة وجزء من الجمهورية العربية المتحدة .



نهر الليطاني
صور
صفد
عكا
حيفا
البحر المتوسط
طبريه
نهر اليرموك
درعا
المفرق
بيسان
جنين
العفولة
نابلس
قلقيلية
الزرقا
السلط
عمان
يافا
رام الله
القدس
بيت لحم
الخليل
غزة
خان يونس
بئر السبع
سيناء
الأردن
الجمهورية العربية المتحدة
وادي عربة
ايلات
العقبة
خليج العقبة
السعودية
مقياس الرسم ١/٥٠٠٠٠٠

الملاحـــق

الخـــرائط

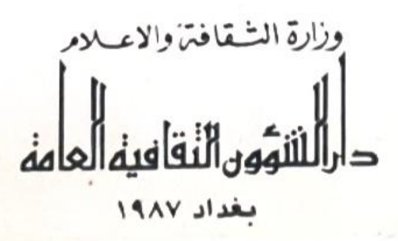
هذا الكتاب، في الاصل، محاضرات أُلقيت على طلاّب الدراسات العليا ـ قسم فلسطين، في معهد البحوث والدراسات العربية، التابع لجامعة الدول العربية، في القاهرة. تلبية لدعوة المعهد الذي خوّل المؤلف اختيار موضوع المحاضرات، فاختار موضوع: «دراسات في الوحدة العسكرية العربية»، للدلالة على الطريق السويّ لانتصار العرب على العدو الصهيوني، بالقوة العربية الذاتية، فكان هذا الكتاب الذي طبع عدة طبعات في مصر ولبنان، وفي العراق، ولا يزال مطلوباً لدراسته، لانه موضوع الساعة، وهو يفيد العسكري وغير العسكري، والسياسي وغير السياسي، والأستاذ والمعلم والطالب والتلميذ، لانه منهج كامل للوحدة العسكرية العربية، حشد فيه مؤلفه اللواء الركن محمود شيت خطاب خبرته العسكرية العملية الطويلة، وخبرته العسكرية الفنية والنظرية، وتجربته العملية المثمرة في ميداني الحرب والسلام.

وهذا الكتاب، اوّل كتاب صدر عن: الوحدة العسكرية العربية، لان الدراسات السابقة عليه إنشائية في غالبها، عاطفية في معناها، نظرية في مبناها، غير عملية يصعب تطبيقها، كتبها مدنيون لا علم لهم بالقضايا العسكرية ولا خبرة لهم فيها غالباً، اما هذا الكتاب فيشرح السبيل السوي بخطوات ثابتة، لوضع الوحدة العسكرية العربية في حيز التطبيق العملي، وإخراجها من نطاق الاماني، الى نطاق التنفيذ المنطقي المعقول.

إنه كتاب مصيري، فيه فائدة ومتعة، جمع فاوعى، واستوعب جميع ما يتهم العربي الوحدوي، في معرفة طريق الوحدة العسكرية العربية، بالتخلي عن الفرقة والتمزق، من اجل استرداد حقوق العرب المغتصبة في فلسطين وفي سائر الأرض العربية المحتلة، ومن اجل عزة العرب ومجدهم.

وهو في كل مكتبة مدنية وعسكرية، وخاصة وعامة، وهو ضروري لكل عربي ومسلم في كل مكان.

الغلاف: رياض عبد الكريم



بغداد ١٩٨٧

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة